م. نيل براون ■ ستيوارت م. كيلي

ترجمة: نجيب الحصادي ■ محمد السيد

رؤية
مكتبة

التفكير الناقد

طرح الأسئلة المناسبة

التفكير الناقد

طرح الأسئلة المناسبة

م. نيل براون ستيوارت م. كيلي

التفكير الناقد

طرح الأسئلة المناسبة

ترجمة

نجيب الحصادي محمد أحمد السيد



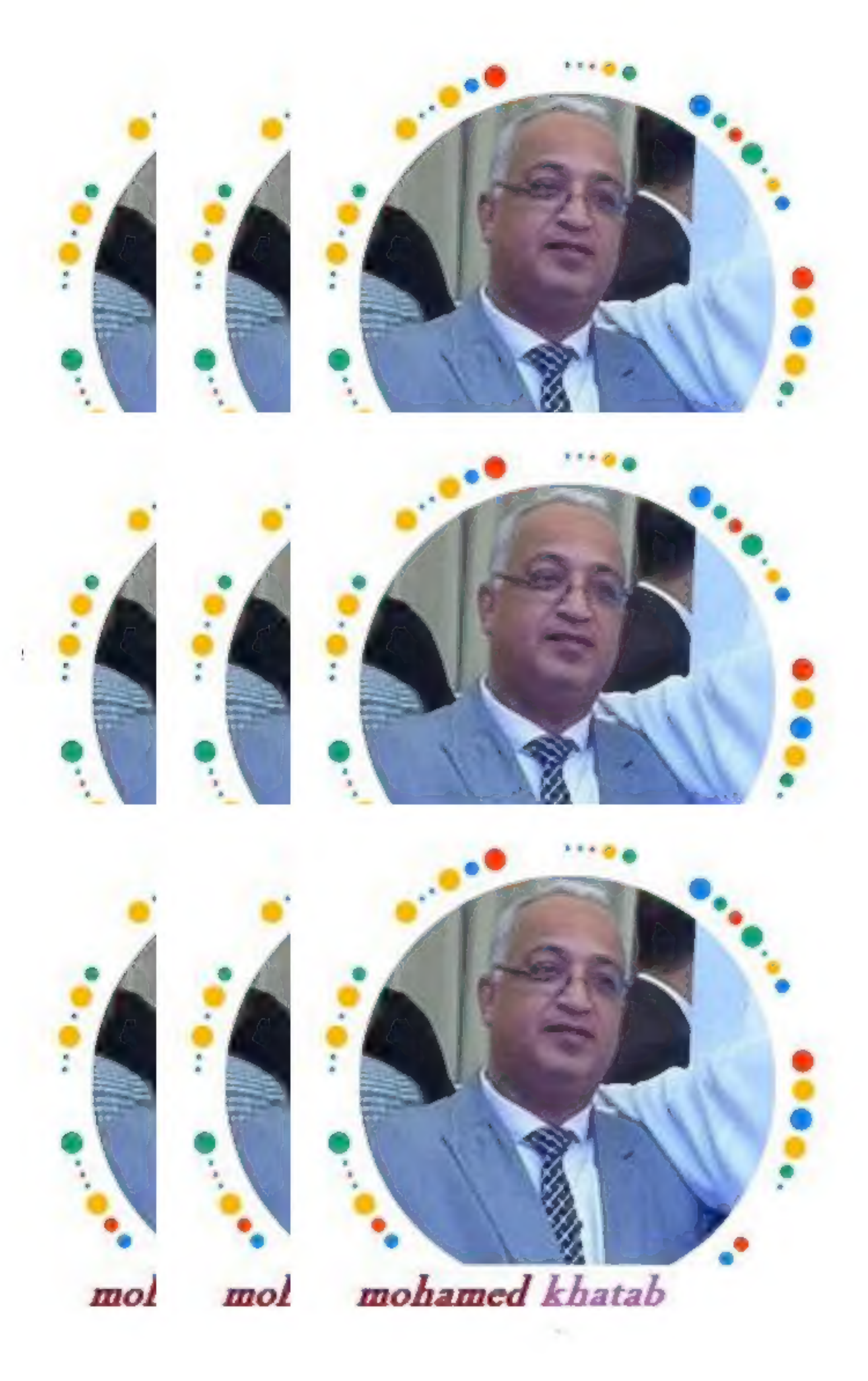
للنشر والتوزيع

2019

مكتبة
t.me/t_pdf

26 11 2022

الكتاب : التفكير الناقد: طرح الأسئلة المناسبة
تأليف : م. نيل براون، ستيوارت م. كيلي
ترجمة : نجيب الحصادي، محمد أحمد السيد
المدير المسؤول : رضا عوض
رؤية للنشر والتوزيع
القاهرة : 0122/3529628
8 ش البطل أحمد عبد العزيز – عابدين
تقاطع ش شريف مع رشدي
Email: Roueyapublishing@gmail.com
فاكس : 25754123 (202) +
هاتف : 23953150 (202) +
الإخراج الداخلي: حسين جبيل
خطوط الغلاف : إبراهيم بدر
جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار
الطبعة الأولى : 2019
رقم الإيداع : 2018/26253
الترقيم الدولي : 978-977-499-322-0



mol
mol
mohamed khatab


مكتبة
t.me/t_pdf

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


تقديم



إلى عهد جدّ قريب، اقتصر تدريس مهارات التفكير الناقد في أغلب جامعات العالم على تدريس مقرر في علم المنطق الصوري، يغمر المتلقين في فيض من القواعد الرمزية، ويخفق في إكساب تلك المهارات. ولئن مكّن هذا المقرر دارسيه من التعرف على سبل تجنب بعض الأغاليط المنطقية، فإنه يعجز غالبا عن جعلهم قادرين على الدفاع عن وجهات نظرهم وتفهم وجهات النظر التي يعترضون عليها. وكما يقر جاكوب هنتيكا، أحد أبرز أعلام المنطق المعاصرين:

> كان المنطق في الأصل دراسة للتفوق في التفكير، لكنه صار مجرد دراسة لكيفية تفادي الوقوع في الأخطاء في المنطق، عوضا عن حفاظ المرء على فضيلته المنطقية، إذ يتم تخصيص معظم الوقت لتعريف الطلاب بقواعد استدلالية لا تعدو أن تكون قواعد احترازية لتفادي الأوهام والضلالات، وتفشل من ثم في تبيان كيف يفكر الناس، وكيف يتوجب عليهم أن يفكروا[1].

(1) جاكوب هنتيكا، "حول المهام التعليمية للفلسفة"، ديوجين، العدد 192 / 136، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، مطبوعات اليونسكو، القاهرة، يناير 2003، ص. 90.

وتمامًا كما أن المرء لا يتقن لعبة الشطرنج بمجرد معرفة قواعدها، وإن تسنت له معرفة متى يتم اختراقها، فإن تعلم قواعد القياس المنطقي لا يضمن تنمية مهارات التفكير الناقد، وإن أمكن توظيفها في الكشف عن بعض الحجج الفاسدة. ثمة حاجة ماسة إلى الدراية بإستراتيجيات تقحم المتعلم في عملية التفكير، ولا تقتصر على تطبيق قواعد شكلية بطريقة آلية صرفة.

معظم المعارف البشرية، التي تشكل قوام الحياة البشرية، استدلالية من حيث بنيتها، فالمرء لا يقف بنفسه على كل معارفه، بل يخلص إلى كثير منها استنادا إلى معارف أخرى استقاها إما من خبرات مباشرة وإما من معتقدات استدل عليها استدلالا. ولأن كثيرا من الاستدلالات البشرية تعاني من اختلالات جمة، ثمة حاجة إلى علوم تعين على التيقن من صحة ما نخلص إليه من نتائج، أو ترجيح صحته على أقل تقدير. هذا هدف العلوم المنطقية على وجه العموم. وعلى وجه الخصوص، فإن الوصول إلى قرار مستنير بخصوص أكثر النتائج وجاهة غاية كل تفكير ناقد.

يتطلب تحقيق هذه الغاية إجراء سلسلة مركبة من العمليات المترابطة. الأعمال التي ترجمناها في هذا الكتاب إنما تفصّل في طبيعة هذه العمليات وتوضح خطوات تطبيقها، وتسهم في إكساب القدرة على توظيفها في الحياة العملية. ورغم اختلاف مصادر تلك الأعمال، فإنها تجمع على وجوب إقحام المتلقي في عملية تفاعل نشط مع ما يكتسب من معتقدات ومعارف؛ تفاعل يسهم في تحديد بنية ما يقال، ويبحث بشكل مستديم عن مبررات تسوغه؛ تفاعل يتعاطف مع ما يقره الآخرون، ولا يحاول أن يطرح أرضا رجالا من قش؛ تفاعل يكشف عن الأحكام المضمرة التي يصادر عليها دون برهنة، ويسهم في الحكم على قدرة ما يُطرح من مبررات على دعم ما يخلص إليه من نتائج.

التفكير الناقد نشاط مقلق بطبيعته، فهو محاولة لامتحان افتراضات نقرها أو نصادر عليها أو نسلك بمقتضاها. غير أن الناس لا يرغبون في أن تمتحن افتراضاتهم وتبتلى تصرفاتهم أكثر مما يجب، ولا يروقهم ـ على حد تعبير إزيا برلن ـ أن تصبح جذورهم بادية في العراء. معظم البشر، فيما ينبهنا رسل، يفضلون الموت على التفكير، غير أن الحياة غير المتفكرة ليست بشرية بأي حال.

ثمة مبدأ يضمره كل تفكير ناقد، مؤداه أن الحقيقة ليست في حوزة أحد، وأن قيمة الفكرة إنما تكمن في وجاهة ما تؤسس عليه من أسباب، وأن الحوار مع الآخرين أفضل سبيل لفهمهم والإفادة من تجاربهم. على هذا النحو يعد الاهتمام بمهارات التفكير الناقد مشروعا تنويريا يكرس قيم العقلانية والموضوعية والتعددية والتسامح الفكري. التغاضي عن رأي الآخر، إسكاته أو التقليل من شأنه لمجرد أنه لا يتسق مع ما نقرُّ من معتقدات، جريمة في حق أنفسنا قبل أن يكون جريمة في حقه. وعلى حد قول وليم جيمس:

فإن خطيئة إخراس التعبير عن الرأي سطو على الجنس

البشري بأسره؛ الجيل القادم فضلا عن الراهن؛ الذين يعارضون الرأي وأكثر منهم من يقولون به. إذا كان الرأي صائبا فإنهم يحرمون من فرصة إبدال الحق بالباطل؛ وإن كان مخطئا، فإنهم يخسرون ما يكاد يجلب نفعا مماثلا: الإدراك الأصفى للحق، والانطباع الأكثر حيوية له، الناجمين عن مقارعته بالباطل[1].

لم يكن اختيار هذا الكتاب أمرا هينا بأي حال، لا بسبب ندرة ما كتب في التفكير الناقد بل بسبب وفرته. لقد كان بالمقدور الركون إلى كتب ونصوص أخرى، إذ ليس لنا أن نزعم أن هذا أفضل ما كتب في ذلك التخصص. المفاضلة نسبية، فهي ترتهن بالمعايير التي تمت وفقها، والقول بوجود بدائل أفضل قد لا يعني سوى الحكم بتوفر معايير مغايرة. غير أننا نحسب أنه وفق معايير الشمولية في تغطية أهم المحاور، والبساطة في العرض، ووفرة الأمثلة التطبيقية، ما كان لنا أن نختار سوى ما اخترنا، أقله بمقتضى درايتنا بما يتوفر من أعمال في هذا المجال.

على ذلك، ثمة معيار لم نأخذ به، ولعله لزام علينا تبرير إحجامنا عن الأخذ به. الأمثلة التي تعرضها الأعمال المترجمة مستقاة في أغلبها من المجتمع الغربي، الأنجلوسكسوني تحديدا، وهي لا تشكل بحال القضايا الأكثر أهمية في ثقافتنا. الإجهاض والاستنساخ والمواد الإباحية وقتل المرحمة وامتلاك الأسلحة والقصاص عبر تنفيذ عقوبة الإعدام، وما في حكمها من قضايا خلافية في كثير من المجتمعات الغربية، مسائل لا تحظى عندنا بالأولوية، بحسبان أن القضايا

(1) John Stewart Mill, "On Liberty", in Max Lerner, ed, *Essential Works of John Stewart Mill* (New York. Bantam Books, Inc., 1961), p. 269.

الأخلاقية التي يتخذ منها الدين موقفا صريحا ـ وكثير من القضايا التي نعرض لها على هذه الشاكلة ـ لا تشكل القضايا الأكثر حظوة باهتمام مجتمعنا.

غير أن هذا بذاته لا يقلل بحال من أهمية هذا الكتاب الذي يفترض ألا يُعنى بالمسائل المناقشة قدر عنايته بمنهج نقاشها. بديل تبيئة هذه المسائل في ثقافتنا العربية، أي ضرب أمثلة مستقاة من الواقع العربي، ظل متاحا، غير أننا آثرنا ألا نتبنى هذا الخيار، حتى لا نجور على الأفكار الواردة في الكتاب، فضلا عن قناعتنا بأن الدارس العربي والقارئ بصفة عامة بات على وعي وقدرة ورغبة في فهم ما يدور حولنا والتعرف عليه.

بداية، القضايا التي يفترض أن يسهم التفكير الناقد في حسم أمرها قضايا خلافية في سوادها الأعظم، إذ لا جدوى عادة من إعمال المرء مهاراته النقدية في مسألة يتفق في الحكم عليها مع الآخرين. الحال أنه كلما كانت المسألة أكثر خلافية، كانت أدعى لإعمال المهارات النقدية. وفق هذا، كان أمامنا خياران: تبني مواقف من القضايا الخلافية التي نعرض لها، أو الاقتصار على طرحها دون اتخاذ مواقف منها.

البديل الأول حري بإثارة حساسيات قد لا يليق المقام بإثارتها، خصوصا في مجتمع يظل أسير العديد من التابوهات الثقافية، كما أنه يقحمنا في جدل قد ينأى بنا عن مقاصد هذا الكتاب، بل لعله يسهم في اتخاذ البعض موقفا سلبيا منه. مهما كانت طبيعة الموقف الذي نتخذ، فإن حقيقة أننا ننشأ في بيئة لا تشجع الحوار تظل عائقا لا يستهان به. صحيح أنه يتعين أن يكون التشجيع على الحوار من ضمن مهام من يقوم بتدريس مهارات التفكير الناقد، غير أننا نفضل إنجاز هذه المهمة بسبل أكثر مناسبة، سوف تستبان عما قليل.

بديل عرض القضايا الخلافية دون اتخاذ موقف منها إنما يتغاضى عن كونها

مسائل أكثر حاسمية من أن يعلق الحكم بشأنها. بتعبير آخر، فإن الاقتصار على سرد الحلول الممكنة، قد يشي بأن كل الحلول ممكنة على حد سواء. ثم إن عرضها دون اتخاذ موقف منها والدفاع عنه، إنما يعني عمليا الإحجام عن توظيفها أمثلة على كيفية إعمال مهارات التفكير الناقد.

من منحى آخر، فإن الدراية بأهم القضايا التي تشغل المجتمع الغربي المعاصر أمر ضروري لثقافتنا العربية والإسلامية، سواء اعتبرت نفسها في صراع مع ذلك المجتمع، أو حاولت إقامة حوار حضاري معه، أو تطلعت إلى محاكاة بعض أنظمته ومؤسساته وسبل عيشه. لم يعد الانفتاح الثقافي الذي يشهده العالم المعاصر يتيح المجال للانكفاء على الذات والتشرنق حول مشاغلها، كما أن المجتمع "الآخر"، مهما اختلفنا معه في رؤيته للواقع، يظل بشريا، والقضايا التي تؤرقه، مهما اختلفنا معه في سبل حسمها، تظل إنسانية.

ينضاف إلى هذا أن الثقافة الغربية أكثر جرأة في نقاش قضاياها، وأكثر حرصا على إعمال ملكات التفكير الناقد في تناولها. حسبنا أن نطّلع على الصحف الغربية لنقدر مدى الاهتمام الذي توليه تلك الثقافة لسرد الحجج والأدلة، ونستشعر المسحة الارتيابية التي تكتنف ما تصدر من أحكام. في المقابل، تحشد صحافتنا العربية بالأحكام الجزمية، وتحفل بالتعبيرات الإنشائية والخطابية، والمسكوت عنه فيها أكثر مما يقال. وبطبيعة الحال، ثمة استثناءات لافتة، في الصحافتين العربية والغربية، تلزمنا بإبداء بعض التحفظات على هذا الحكم، لكنها تظل استثناءات بمقتضى الطابع العام الذي تتسمان به.

يمكن أيضا عدّ عناية ما قمنا بترجمته بقضايا تشغل المجتمع الغربي المعاصر دون أن تشغل مجتمعنا منقبة تُحمد له لا مثلبة يلام عليها، كونها تمكن من ولوج عملية التفكير الناقد عبر دروب ميسرة نسبيا. ذلك أن الخوض في قضايا لا تستثير

الحفائظ ولا تستنفر العواطف ـ لأنها منعزلة عنا بدرجة أو أخرى ـ إنما يسهم في تبيان كيف أن هناك أوجها متعددة ومغايرة للثقافة والعيش والحياة، أوجها لا تقل شرعية من حيث إنسانيتها عن تلك التي ألفناها. الثقافات المختلفة رؤى متباينة في الواقع، لكن العالم نفسه لا يتشبث ضرورة بأي منها، وإن تشبث بأي منها، فإننا نجهل هوية ما تشبث به. الحال أننا بتناول قضايا تشغل أمما أخرى، تأسس الانشغال بها على قائمة مختلفة من الأولويات، إنما نسهم في شحذ رباطة الجأش في مواجهة ما ننكر من قضايا، ونتعلم كيف نجادل الآخرين دون مصادرة على تعاليم نجزم بصحتها. وكما يقول هنري برجسون، فإن صفاء الذهن يستدعي قطعية مؤقتة مع العرف المفيد. هذه هي روح التسامح الفكري التي يكون هذا المقرر أنجز الكثير لو أنه اقتصر على تكريسها.

وبطبيعة الحال، لا يحول هذا دون إثارة مسائل تهم مجتمعنا، يتعين على الطلبة مناقشتها والقراء تأملها، بل إن القيام بذلك رَغيبةٌ تُرام، كونه يبقي على القضايا التي تشغلنا مفتوحة وقابلة لتطبيق المنهج الناقد المقترح، دون التأثر بأية حلول ممكنة، ما يسهم في تكريس المقاصد البيداجوجية التي صمم الكتاب أصلا لتحقيقها.

على ذلك، قمنا في الجزء الخاص بالتفكير الناقد بالقضايا الأخلاقية بتضمين مستلة خاصة بقضية العدالة العالمية، تعرض مسألة لا تتسم بأية خصوصيات ثقافية، مسألة تهم الدول النامية والمتقدمة على حد السواء؛ ولعل في نقاش هذه المسألة ما يشكل معبرا مناسبا يجسّر الهوة التي تفصل بين أساليب هاتين الثقافتين في تناول ما يشغلهما من هموم.

وغني عن فضل البيان أننا لا ندعو بحال إلى تبني أي موقف بعينه من أية مسألة خلافية، فللوعظ مقام يليق به. حسبنا أن يخلص الدارس والقارئ من

قراءة هذا الكتاب إلى تشكيل آراء وقرت في عقله صحتها، وأدرك مبررات الحكم بوجاهتها، وجرؤ على إعلانها على الملأ بغية التعرف على مواطن ضعفها؛ ولنا أن نستشهد بموقف طه حسين، أحد رواد النزعة التنويرية في ثقافتنا العربية، من أستاذ لحقه الأذى من إعلانه رأيا أنكره الناس عليه، حيث قال:

> إن هذا الأستاذ بين اثنين: إما أن يكون قد قال الحق، فليس لأحد عليه من سبيل، وإما أن يكون أخطأ وحاد عن القصد، فليس لأحد عليه من سبيل، إلا أن يرد عليه خطأه، ويبين له وجه الصواب، وينصح الناس ألا يتبعوه. أما ما فوق ذلك، فلا ينبغي لأحد أن يطمع فيه، ذلك أن الله لم يعصم الناس عن الخطأ.

ثمة خصائص عديدة يحفل بها الكتاب الراهن، من بينها شمولية العرض وبساطته، وفرة أمثلته وخلوه من الرموز والقواعد الصورية، من أهم مميزات هذا الكتاب. أيضا، فإن هذه الطبعة، فيما يقر مؤلفا الكتاب في مقدمته، تؤكد الأبعاد الإيجابية في التفكير الناقد على نحو يجعل قرَّاءه أنزع إلى استخدام المهارات والمواقف التي يتعلمونها؛ كما تذكرهم باستمرار بأن كل مهارة ليست سوى جزء من عملية نقدية بناءة، توليفة متماسكة من قدرات يكمل بعضها بعضا، يتوجب أن تتوج بالتزام قابل لتعديل.

يطرح الكتاب خطوات التفكير الناقد على نحو لا يفترض أية خلفية منطقية، كما أنه يتبنى نهجا تساؤليا محددا، حيث يقترح جملة من الأسئلة يتوجب على ممارس عملية التفكير الناقد طرحها تباعا، بحيث يتأكد من أن الرأي الذي خلص إليه لا يركن إلى أية اعتبارات ذاتية. هكذا تؤسس المهارات التي يتم اكتسابها على سلسلة من الأسئلة النقدية المترابطة، بل إن مفهوم التفكير الناقد نفسه إنما يعرّف

في هذا السياق على أنه الوعي بجملة من مثل هذا الضرب من الأسئلة والقدرة على إثارتها والإجابة عنها في أوقات مناسبة.

يتميز هذا الكتاب أيضا بالمسحة الارتيابية التي تكتنفه، إنه يقبل مبدأ تعددية الأجوبة الوجيهة في حل أية مسألة خلافية. وكما أسلفنا، نادرا ما يكون هناك موقف من مسألة خلافية يمكن القطع بصحته. الحال أن المسألة لا تكون مهمة إلا بسبب الخلافات الحادة التي تنشأ حول سبل حسمها. وفق هذا، فإن الكتاب لا يعد بطرح أجوبة صحيحة عن المسائل الخلافية، لكنه يضمن إكساب المهارات اللازمة لتطوير أفضل إجابة وجيهة تسمح بها طبيعة المشكلة والمعلومات المتوفرة.

بيد أنه لا يوصد باب الاجتهاد في وجه الخصوم، بل يؤكد ضرورة أن يختار القارئ الموقف الذي يراه مناسبا، مبينا على وجه الضبط استحقاقات تبني مثل هذا الموقف. أيضا فإنه يعمل على تكريس دور الحقائق في الإسهام في تشكيل الرؤى الأخلاقية والاعتراضات عليها، قدر ما يوضح المصادرات الخفية التي تفعل فعلها في مواقفنا الأخلاقية، مبينا ضرورة فضحها في العراء، توطئة إما للدفاع عنها أو التنصل منها، أو تعديلها.

أيضا قمنا بترجمة بعض الدراسات الحديثة المعروضة على شبكة المعلومات التي تعرّف بالتفكير الناقد وتحدد ممكن أهميته وجدواه، وتبين المهارات المعرفية التي يفترض أن يكتسبها دارس هذا المقرر، كما تؤكد البعد النزوعي في عملية التفكير الناقد. فضلا على ذلك، فإن هناك إشارات إلى مجموعة من المواقع المعروضة على شبكة المعلومات التي تُعنى بعمليات التفكير الناقد، يمكن أن يفيد منها مدرسو المقرر وطلبته على حد السواء.

الدور الذي يقوم به مدرس هذا الكتاب ليس تقليديا بأي حال، إذ لا يفترض أن يمثل دور "الحكيم على المنصة" (The sage on the stage) بل أن

يكون بمثابة "الناصح على الناصية" (The guide on the side). وعلى حد تعبير بيتر فاشينو، ينبغي على الطلبة التحرر من سلطة الأستاذ، والانعتاق من وهم أنه معصوم عن الزلل، بل إن براعة المدرس إنما تقاس بقلة اعتماد طلابه عليه[1].

على ذلك فإن نفع هذا الكتاب لا يقتصر على القطاعات الطلابية. كل ما نقوم به إنما نقوم به وفق بواعث ومبررات بعينها؛ غير أننا نادرا ما نتقصى هذه البواعث والمبررات للتأكد من وجاهتها. هكذا قد يبتاع المرء سلعا دون التفكر في مدى حاجته إليها، وعادة ما يقع ضحية حملات التضليل التي تشنها الحملات الإعلانية عبر مختلف وسائل الإعلام. غالبا ما يسلك الأب مع أبنائه مسلكيات تأتي عفو الخاطر، دون أن يفكر فيما إذا كانت تسهم في تعزيز احترام الابن لنفسه، أو تشجعه على تحمل مسؤولية تصرفاته. كثيرون منا لا يفكرون بطريقة نقدية في علاقاتهم بالآخرين، أكانوا أصدقاء أو زملاء عمل أو شركاء حياة. المريض يصدق ما يقوله الطبيب الذي يثق به، رغم أن ثقته به قد تكون مؤسسة على اعتبارات ليست موضوعية، والمدرس يتشبث بالطريقة التي درس بها طيلة حياته المهنية، ويكلف طلبته بالقيام بأعمال لا تشجع على تشكيلهم رؤى مستقلة في الحياة. هذا يعني أن الحاجة إلى التفكير الناقد لا تقتصر بحال على ذوي الاهتمامات الأكاديمية بل نكاد نلمسها في كل مشاغل الحياة.

إن حياة لا تمتحن، فيما يقول سقراط، ليست جديرة بالعيش، ولا ريب أن الحياة التي تعاش دون تفكير ناقد حياة لا تمتحن. يبدو أن عيش حياة تليق بالإنسان، أي بكائن العقل مكمن تفرده، إنما يرتهن باكتساب مهارات من القبيل التي يعنى هذا المقرر بالتفصيل في استحقاقات اكتسابها. ثمة من يذهب إلى حد إقرار أن:

---

(1) Peter A. Facino, Critical Thinking, What It Is and Why It Counts. www.insightassessment.com

> العاجز عن التفكير بطريقة نقدية عاجز عن اتخاذ قرارات عقلانية؛ والعاجز عن اتخاذ مثل هذه القرارات يتوجب ألا يُترك طليق السراح، فكونه يتصرف بطريقة غير مسؤولة إنما يعني أنه يشكل خطرا على نفسه وعلى الآخرين[1].

لعل هذا يكفي لتبيان أهمية التفكير الناقد، ويبقى أن نحمل هذه الأهمية محمل الجد ونخوض في استيفاء استحقاقات هذا الضرب من التفكير.

قام الدكتور نجيب الحصادي بترجمة الفصول: من الأول حتى السابع، وقام الدكتور محمد السيد بترجمة الفصول: من الثامن حتى الرابع عشر والخاتمة.

(1) Ibid


توطئة

كلما طال الأمد بالكتاب، قل قدر اعتبار مؤلفيه الأصليين منتجين له. إن نجاح *Asking the Right Questions: A Guide to Critical Thinking* إنما تقديرا لنصيحة مجزية كان أسداها إلينا عديد من القراء أفصحوا لنا عن معتقدهم بأن أداءنا سوف يتحسن المرة القادمة. الحال أن التخير بين مقترحاتهم شكل تحديا من ضمن أعظم التحديات التي واجهتنا.

الرغبة في الحفاظ على خصائص *Asking the Right Questions* الأساسية، والتكيف في الوقت نفسه مع مواضع توكيد جديدة ومع حاجات القراء المتنامية، ظلت على حالها تحظى بالقدر الأكبر من الأهمية. مثال ذلك، في حين كان بمقدورنا دائما التفكر في العديد من الإضافات التي نعتقد أنها تعزز طبعة جديدة من هذا الكتاب، رغبنا قبل كل شيء في الاحتفاظ بيسره على القراءة وصغر حجمه. هكذا أبدينا استعدادا لدفع ثمن التغاضي عن العديد من الأشياء التي كان لها أن تكون مناسبة في معالجة أكثر إحكاما للتفكير الناقد، لأن الذين تبنوا أو قرأوا الكتاب لاحظوا مرارا وضوح نهجنا وتماسكه. لا ريب أن القراء الذين لا يجدون ملاحظاتهم قد ضمنت هنا سوف يفهمون أن الكتابة للقارئ غير المتخصص تلزمنا بإغفال الكثير من الأجزاء القيمة التي كنا نؤثر تضمينها لو كنا نكتب لقراء أكثر تخصصية.



هذه الطبعة، شأن سابقاتها، طبعة معدلة، وإن أبقت على الإطار الأساسي لدليل مبسط للتفكير الناقد. لقد أضفنا العديد من التمارين التدريبية، كما أعدنا كتابة الفصل الخاص بالأغاليط برمته كي يصبح أكثر تجانسا ولتأمين أمثلة توضيحية إضافية. غير أن الجديد بوجه خاص في الطبعة السابعة إنما يتعين في ثلاثة أوجه:

1. توكيد الأبعاد الإيجابية في التفكير الناقد على نحو يجعل قراءه أنزع إلى استخدام المهارات والمواقف التي يتعلمونها؛
2. تذكير القراء مرارا بأن كل مهارة ليست سوى جزء من عملية نقدية بناءة يتوجب أن تتوج بالتزام قابل لتعديل؛ و
3. استحداث موقع على الشبكة يعرض تمارين تدريبية عديدة ومتنوعة.

تعلم التفكير بطريقة نقدية ليس أمرا بسيطا ولا هينا. ولكن حتى بعد تعلم مثل هذا الضرب من التفكير وفق مستوى ما، يظل هناك تحدي الرغبة في إجراء عملية غالبا ما تكون متغطرسة، وفظة أو استعلائية. لا أحد منا يرغب في عرض عادات فكرية تجعله عرضة لأن يوصف بأنه متعجرف. على ذلك، إذا رغبنا في ألا نصبح دمى تحركها الحشود، فأحرى بنا أن نحجم عن تشكيل سلوكياتنا وفق ما تثيره من ردود أفعال عند الآخرين.

ثمة مدعاة إذن إلى تشكيل عملية التفكير الناقد على نحو يؤكد دورها في المساعدة على اتخاذ قرارات نفيد منها كما يفيد الآخرون. إن التفكير الناقد يمنعنا من القيام بمسلكيات تتعارض مع ما نود أن نكون عليه. فضلا عن ذلك، فإنه يقدم العون للآخرين الراغبين في تشكيل معتقدات والتزامات مؤسسة على بنى استدلالية صحيحة نسبيا. في هذا الخصوص، يمكن للتفكير الناقد أن يسهم في عقد الصداقات، كونه يعين على توجيه الآخرين شطر معتقدات ومسلكيات لا تعوزها الوجاهة. إن الطبعة السابعة تحاول التعبير عن هذا الأمر في سياقات عديدة.

الوجه الجديد الثاني في هذه الطبعة مؤسس على الخشية من أن تعلم خطوات مفردة في أية عملية قد يحول دون تقدير فعالية العملية في مجملها حال اتخاذ الخطوات الواحدة تلو الأخرى. ذلك أن هذا الكتاب يشكل عملية التفكير الناقد بطريقة ترادفية، فكل فصل يطرح مهارة تفكير - نقدية بعينها. الفصول اللاحقة تضيف إذن إلى قائمة تراكمية من مهارات التفكير الناقد. غير أن مبرر تعلم خطوات هذا النوع من التفكير إنما يتعين أساسا في الاستعداد لاستخدام تلك المهارات حزمة واحدة، توليفة متماسكة من قدرات يكمل بعضها بعضا. استخدام عملية التفكير الناقد بأسرها السبيل الأكثر جدوى في العثور على حجج أفضل.

وأخيرا، من بين الأشياء التي يلح القراء على طلبها المرة تلو الأخرى المزيد من التمارين التطبيقية. إننا نعمل عبر هذه الطبعة مع دار برنتس هول للنشر بغية الاستجابة لذلك المطلب. سوف يعرض الموقع الخاص بـ *Asking the Right Questions* في شكل فصول، تتضمن فقرات تدريبية مختلفة الأحجام. فضلا عن ذلك، يحتاج المتعلمون إلى الاطلاع على حجج محكمة بعض الشيء. قد يؤدي التفكير الناقد بمتعلمه إلى تنمية روح تهكمية إبان تعلمه المزيد عن المشاكل المتعددة التي قد يعاني منها الاستدلال اليومي لهذا السبب يشتمل الموقع على حجة طويلة محكمة نسبيا تتعلق بفعالية تقويم الطلبة للتدريس. بودنا أن نبرز في هذا الموقع مواضع قوة هذه الحجة، كي نؤمن للقراء نموذجا لما يمكن القيام به حين يحاولون الاستدلال بطريقة وجيهة.

ينضاف إلى كل ذلك أننا نرغب في تضمين مثال في ذلك الموقع على تحليل نقدي أكثر واقعية من ذلك الذي يعرضه الفصل الختامي. رغم إقرار العديد من القراء أن هذا الفصل يشكل تتويجا للعملية الخوارزمية الخاصة بطرح الأسئلة المناسبة، حضَّنا العديد منهم على عرض مثال أكثر واقعية. وكما أشاروا محقين، فإننا نمعن في التفاؤل حين نتوقع استيعاب مفاد النموذج الذي يعرضه ذلك الفصل.

الغاية من موجهات الكتاب الجديدة هذه تحسين ما رغب فيه قراؤنا أكثر من أي شيء آخر؛ كتاب يعين الطلبة على تحقيق قدر مناسب من الاستقلالية. نجاح الطبعات السابقة شهادة دامغة على توقنا جميعا لمعرفة ما يتوجب علينا اعتقاده. إن عقولنا تتعرض لمختلف أنواع الهجوم التي يشنها المحتالون من الخبراء والفنانين على حد السواء. التخير بين مزاعمهم حول ما ينبغي علينا تناوله من أطعمة، وممارسته من مسلكيات، والاعتقاد فيه من آراء مسؤولية جد جسيمة. نعلم أننا نحتاج إلى كل العون الذي نستطيع الحصول عليه لحماية أنفسنا من المخاطر المتضمنة في التُّرَّهات. باختصار، فإننا نرغب في التفكر بحرص شديد قبل الالتزام بأي معتقد.

منذ مستهل تاريخ هذا الكتاب، أفدنا من مختلف الخبرات والملاحظات الشخصية. بداية، أرعبنا قدر اعتماد الطلبة والمواطنين بوجه عام على "الخبراء"، مؤلفي الكتب المرجعية، المدرسين، المحامين، الساسة، الصحفيين، ومعلقي برامج التلفزة. بتنامي حدة تعقيد العالم وفق معدل متسارع، ثمة نزوع أشد شطر التشرب السلبي للمعلومات، ما يجعلنا نقبل ما نسمع وما نقرأ بسبل ليست نقدية. نخشى أن كثيرا منا لا يقوم باتخاذ قرارات شخصية فعالة بخصوص ما يتوجب عليهم قبوله وما يتوجب عليهم رفضه.

هكذا تصبح الحاجة إلى مثل هذا الكتاب جد ماسة. إن معدل استخدام "المماحكات اللفظية"، شيوع الحجج الممعنة في التسبيط، وقدر المعلومات الذي نتعرض له كل يوم قد ارتفع بطريقة دراماتية. نأمل أن يسهم كتابنا هذا في تشجيعنا جميعا على زيادة معدل استخدام التفكير الناقد علاجا "لانفجار المعلومات".

خبرتنا في تدريس مهارات التفكير الناقد لطلابنا عددا من السنين أقنعتنا بأنه في حال تدريس هذه المهارات في صياغة مبسطة لأفراد تتباين قدراتهم، فإنهم يغدون قادرين على توظيفها بنجاح. أثناء تلك العملية، تراهم يصبحون أكثر ثقة بقدرتهم على تبني خيارات عقلانية تتعلق بمسائل اجتماعية، مهما كان قدر درايتهم بها.

هكذا قمنا بكتابة مادة تنجز مهامًا أخفقت كتب أخرى في إنجازها. إن هذا الكتاب ينمي سلسلة متكاملة من مهارات طرح الأسئلة، مهارات يمكن توظيفها في شتى المجالات، مهارات لا تعرض بطريقة صورية (فقد كتب الكتاب للجمهور العام ولم يكتب لأية مجموعة متخصصة بعينها).

اعتمد تطوير هذا الكتاب كثيرا على خبرة في تدريس التفكير الناقد استغرقت في مجموعها ستة عقود. لقد تطورت أفكارنا استجابة للعديد من الخبرات الصفية التي اكتسبناها من طلبة يدرسون في مختلف المستويات، بدءا بطلبة السنة الجامعية الأولى، وانتهاء بطلبة الدكتوراه.

تعلمنا من هذه الخبرات التركيز على بعض الأشياء المفيدة خصوصا في تعلم التفكير الناقد، كأن نتيح للقراء الكثير من الفرص لاستخدام مهاراتهم والحصول على استجابة مباشرة عقب إتمام التمارين. أيضا، فإن هذا الكتاب يعج بالأمثلة المقتبسة من أعمال كرست لمواضيع خلافية معاصرة. نطاق المواضيع المعروضة الواسع إنما يسهم في تعريض القارئ العادي للعديد من حالات الجدل التي قد لا يألفها. لقد صمم هذا الكتاب بحيث يكون مترابطا، فالأسئلة النقدية تناقش بشكل متسلسل إبان انتقال القارئ من مرحلة الفهم إلى مرحلة التقييم، كما أنه ينجز تكاملا بين الأبعاد الإدراك - معرفية والأبعاد القيمية - وهذا جانب غاية في الأهمية من عملية التفكير الناقد واتخاذ القرارات الشخصية.

من بين الجوانب الجديرة بالتنويه قابلية هذا الكتاب للتطبيق على العديد من الخبرات الحياتية التي تتجاوز قاعة الدرس. هكذا تتسنى الإفادة من العادات والمواقف المرتبطة بالتفكير الناقد في اتخاذ قرارات تتعلق بأمور من قبيل

الاستهلاك، الطب، القانون، والأخلاق بوجه عام. حين يقر الطبيب ضرورة إجراء عملية جراحية، قد يكون العثور على أجوبة عن أسئلة نقدية سبيلا لحفاظ المرء على حياته.

من الذين سوف يفيدون من هذا الكتاب إفادة خاصة؟ بحسبان خبرتنا التدريسية مع قراء يمثلون مستويات مختلفة من حيث قدراتهم، يصعب علينا تخيل أي مقرر أو برنامج أكاديمي لا يفيد منه. الراهن أن الطبعات الخمس الأولى منه استخدمت في مقررات في القانون، اللغة الإنجليزية، الصيدلة، الفلسفة، التربية، علم النفس، علم الاجتماع، الدين، العلوم الاجتماعية، فضلا عن مقررات تدرس في المدارس الثانوية.

على ذلك، ثمة استخدامات للكتاب تبدو أكثر مناسبة من غيرها. قد يرغب مدرسو البرامج التربوية العامة في تكليف طلبتهم بقراءته، فهو يشكل ردا متسقا على سؤالهم عما هو مطلوب منهم. قد تستخدم مقررات اللغة الإنجليزية التي تركز على الكتابة التأويلية هذا الكتاب أساسا لتقييم الحجج قبل الشروع في كتابة الأبحاث، قدر ما يمكن لها استخدامه في تحديد قائمة مرجعية للمشاكل التي يتوجب على الكاتب تنكبها إبان كتابته. أيضا فإن الكتاب مفيد على نحو خاص في المقررات التي تدرّس في معاهد إعداد المعلمين ومساعدي الخريجين لأنه يصرح بالكثير مما يودون حض طلبتهم على القيام به. إضافة وصفنا التفصيلي لعملية القراءة الناقدة والتفكير الناقد إلى محتوى المقررات الخاصة بتنمية مهارات المذاكرة قد تسهم في جعلها أكثر ثراء. وأخيرا، يمكن استخدام هذا الكتاب موضع التركيز الأساسي في المقررات المصممة خصوصا لتدريس مهارات التفكير والقراءة الناقدة.

في حين انبثق هذا الكتاب أساسا من خبرتنا التدريسية، فقد كتب بحيث يوجه عادات القراءة والاستماع عند كل شخص تقريبا. المهارات التي ينشد تنميتها هي تلك التي يحتاجها أي قارئ ناقد كي يجعل من قراءته أساسا لاتخاذ قرارات عقلانية. الحال أن الأسئلة النقدية التي يتم التركيز عليها قادرة على تعزيز استدلالات أي شخص، بصرف النظر عن مدى تعليمه الرسمي.

الطبعة السابعة مدينة للعديد من الناس. بودنا أن نعترف بفضل النصائح المجزية التي قدمها لنا مراجعو برنتس هول التالية أسماؤهم:

Allan Wooters, Metropolitan Community College,

John Carter-Wells, California State University at Fullerton,

Jack R. Simmons, Savannah State University,

Lisa Barnes, Delaware County Community College,

Theresa Sullo, Albuquerque TVI Community College,

David Critchett, Community College of Rhode Island,

Paul R. Frommer, University of Southern California, Marshall School of Business.

في حين يظل طلبتنا دوما المصدر الأساسي للتحسينات المقترحة، تميز بعض منهم في هذا الخصوص. لقد أفادت الطبعة السابعة من العون القيم الذي حصلنا عليه من:

Emily Coplin,
Allison Balcetis,
and Jacob Castillo.

م. نيل براون

ستيوارت م. كيلي

1

جـدوى طـــرح

الأسئلـة المناسبـة

تقديم

دأب الرئيس ورن هاردنج على التساؤل بصوت مسموع:

ما الذي يتسنى لي القيام به؟

إنني أستمع إلى خبير ينصحني بالقيام بفعل ما.

ثم أستمع إلى خبير آخر ينصحني بالقيام بفعل آخر.

فما الذي يتسنى لي القيام به؟

كلنا مررنا بالموقف الذي مر به الرئيس هاردنج. ما الذي يتوجب علينا القيام به؟ ثمة بديل يتعين في الموافقة على ما تصادف أن سمعنا أو قرأنا، والأخذ بنصيحة آخر من سمعنا. غير أن مآل هذا النهج أن يقحمنا في مشاكل عصية.

اعتبر قصة القاضي الذي لم يمض على انتخابه زمن طويل، كي تقدر مدى خطورة ذلك النهج:

بعد الاستماع إلى كلمة المدعي العام الافتتاحية، يعلن القاضي على الملأ "أنت محق". ينبهه الكاتب بأسلوب كيِّس

إلى أنه يتعين على القضاة الانتظار إلى أن يستمعوا إلى الطرف الآخر قبل الحكم في القضية. بعد أن يستمع إلى كلمة محامي الدفاع الافتتاحية، يعلن القاضي مبتهجا "أنت محق". يوضح له الكاتب مرة أخرى كيف أن الإنصاف يستدعي انتظاره حتى انتهاء المحكمة قبل إصدار حكمه. يجيب القاضي "أنت محق".

لا ريب أن القاضي يبدي استعدادا مستمرا للموافقة على ما يسمع. غير أن مهمته، شأنها شأن حياة كل منا، تشترط التمييز بين ما يحمل نسبيا بعض المعنى وما يعوزه المعنى كلية. عملية التمييز هذه تشكل مشروع هذا الكتاب.

إننا نُمطَر بوابل من المعلومات. في كل يوم نواجه حقائق وآراء جديدة. في الكتب المرجعية، في الصحف والمجلات، وفي شبكة المعلومات، يعرض علينا الكتّاب أفكارا يرغبون في قبولنا إياها.

في مختلف مجالات المعرفة، ثمة مسائل يختلف الخبراء بخصوصها. هكذا تواجه المرء مهمة صعبة تتعين في إقرار السلطة التي يتوجب عليه الثقة بأحكامها.

سوف يواجــه ـ أكان يقرأ مجلــة متخصصة في علــم التمــريض، نقــدا لقــصيدة، كتابا دراسيا، أو حتى صفحــة الرياضة - إشكالية تحديد أي النتائج ينبغي عليــه قبولها، أو رفضها، وأيها تظل في حاجة إلى المزيد من التقصي قبل أن يلزم نفسه بأي قرار.

إذا كان المرء يفكر بطريقة معمقة، يتوجب عليه اختيار كيفيـة الاسـتجابة لما يقرأ ويسمع. بديل قبول كل ما يعرض عليه، على طريقة القاضي، متـاح؛ غـير أن مآله المحتم تبني آراء شخص آخر. ثمة بديل أكثر جدوى يتعين في طرح الأسـئلة في محاولة للوصول إلى قرار شخصي حول قيمة ما تسنى له اختباره. الحال أن هذا الكتاب قد صمم أساسا من أجل أولئك الذين يؤثرون هذا البديل.

التفكير الناقد منقذا

الاستماع والقراءة بأسلوب نقدي ـ أي الاستجابة عبر تقييم منتظم لما نـسمع ونقرأ ـ إنها يشترطان جملة من المهارات والمواقف المؤسسة على سلسلة من الأسئلة النقدية المترابطة. في حين أننا سوف نتعلم هذه المهارات والمواقـف الواحـدة تلـو الأخرى، فـإن هـدفنا أن نغـدو قـادرين عـلى اسـتخدامها معـا في تحديـد أفـضل الخيارات المتاحة.

في وسع المرء التعبير عن تلك المهارات والمواقـف في قائمـة مـن المهـام التـي يتوجب إنجازها، بيد أن الإفصاح عنها في نسق من الأسئلة أكثر اتساقا مـع روح الفضول والدهشة والمغامرة الفكرية التي تعد أساسـية للتفكـير الناقـد. التفكـير بعناية مشروع لا يكتمل أبدا؛ إنه قصة تبحث عـن نهايـة لا وجـود لهـا. الأسـئلة النقدية تؤمّن مثيرا وموجها للتفكير الناقد؛ إنها تمضي بنا قدما شطر بحث مـستمر ومتواصل عن آراء أو قرارات أو أحكام أفضل.

وفق ذلك، يشير التفكير الناقد، حسب استخدامنا لهذا المصطلح، إلى التالي:

1. الوعي بجملة من الأسئلة النقدية المترابطة،

2. القدرة على إثارة أسئلة نقدية والإجابة عنها في أوقات مناسبة، و
3. الرغبة في توظيف تلك الأسئلة النقدية توظيفا فاعلا.

غاية هذا الكتاب تشجيع القارئ في الخصوص الذي تحدده تلك الأبعاد.

تتطلب الأسئلة ممن توجه إليه أن يستجيب بالقيام بفعل بعينه. حين تسأل شخصا، فإنك تقول له: لدي فضول؛ أرغب في معرفة المزيد؛ قدم لي يد العون؛ وهذا طلب يشي باحترامك إياه. غاية الأسئلة إعلام كل من يستمع إليها وتأمين وجهة لهم. من هذا المنحى، يبدأ التفكير الناقد بالرغبة في تحسين معتقداتنا. مفاد السؤال أن السائل في حاجة إلى عون يمكّن من تحقيق فهم أو تقدير أعمق لما قيل.

سوف تكون مشاركتنا إياك في الأسئلة النقدية عملية تدريجية، بحيث نتناول سؤالا واحدا في كل مناسبة. سوف تكون الأسئلة في مجموعها مفيدة في أي سياق تقرر فيه الاستجابة لما سمعت أو قرأت. أيضا، فإنها سوف تكون مفيدة في تحسين أسلوبك في الكتابة والتحدث، لأنها سوف تقدم لك العون حين:

1. تستجيب نقديا لمقالة أو شواهد يعرضها كتاب مرجعي، مجلة دورية، أو موقع على شبكة المعلومات،
2. تحكم على نوعية محاضرة أو خطبة استمعت إليها،
3. تشكل حجة،
4. تكتب بحثا مؤسسا على تكليف بالقراءة، أو
5. تسهم بمشاركة صفية.

انتبه: يكمن التفكير الناقد في الوعي بجملة من الأسئلة النقدية المترابطة، فضلا عن القدرة والرغبة في طرحها والإجابة عنها في أوقات مناسبة.

سوف تجد الأسئلة النقدية، بوصفك مواطنا، مفيدة بوجه خاص في تشكيل سلوكك الانتخابي وخياراتك الاستهلاكية، كما أنها تعزز ثقتك بنفسك عبر تعميق إحساسك بالاستقلالية الفكرية.

الإسفنجة وفرز الذهب: أساليب تفكير بديلة

من بين مناهج التفكير منهج شبيه بطريقة استجابة الإسفنجة للماء: إنه نهج الإسفنجة سائد الاستخدام، وهو لا يخلو من بعض المناقب الواضحة.

أولا، كلما تعاظم قدر ما تتشرب من معلومات عن العالم، تعاظمت قدرتك لاحقا على تأمين أسس لتفكير أكثر تركيبا.

ثانيا، لا يتطلب نهج الإسفنجة الكثير من إعمال الفكر، فهو خامل نسبيا. عوضا عن اشتراط جهد ذهني مضن، ينزع هذا النهج إلى أن يكون سريعا وسهلا، خصوصا حال عرض المواد بأسلوب واضح ومثير. الجهد هنا لا يبذل أساسا إلا في عمليتي التركيز والتذكر.

في حين يشكل تشرب المعلومات خطوة استهلالية مجدية على درب إصباح المرء شخصا معمق التفكير، فإن منهج الإسفنجة يعاني اختلالات جسيمة. إنه عاجز عن تأمين طريقة في تحديد المعلومات والآراء التي يتوجب قبولها أو رفضها. إذا كنت تركن دوما إلى هذا النهج، فسوف تقر آخر ما تصادف أن عرض عليك. بيد أن فكرة أن يكون المرء دمية فكرية تحركها أيدي من يصادف، تصوير مرعب لحال الفرد والمجتمع. هكذا تصبح القرارات عوارض تداعيات، عوضا عن أن تكون أحكاما تأملية.

في تقديرنا أنك تؤثر أن تختار لنفسك ما يتعين عليك تشربه أو التغاضي عنه. كي تقوم بذلك، لزام عليك أن تقرأ وفق موقف خاص: موقف طرح الأسئلة. يتطلب هذا الأسلوب في التفكير مشاركة فاعلة. إن كاتب ما تقرأ يحاول التحدث إليك، ويتوجب من ثم أن ترد عليه، رغم أنه ليس ماثلا أمامك.

نسمي هذا الأسلوب التفاعلي نهج فرز الذهب في التفكير. تؤمّن عملية فرز الذهب نموذجا للقارئ أو المستمع العامل الذي يحاول تحديد قيمة ما يقرأ أو يسمع. هذه مهمة صعبة، وقد تبعث في بعض الأحيان على الضجر. غير أن قيمة المردود هائلة. عملية فرز الذهب من الحصى، حين تتم في سياق المحادثة، إنما تتطلب طرح العديد من الأسئلة والتفكر في أجوبتها.

يؤكد نهج الإسفنجة على اكتساب المعارف، فيما يؤكد نهج فرز الذهب التفاعل النشط مع المعارف إبان اكتسابها. وفق هذا، فإن الواحد منهما يكمل الآخر. فرز الذهب يشترط وجود شيء في حوزتك تقوم بتقييمه. لتقييم الحجج، ثمة حاجة إلى معرفة.

دعونا نتقصّ كيف يفضي كل نهج إلى سلوك مختلف. ما الذي يفعله مستخدم نهج الإسفنجة حين يقرأ مادة ما؟ إنه يقرأ بعناية مجموعة من الجمل، ويحاول تذكر القدر الأعظم منها. قد يضع خطوطا تحت الكلمات والجمل الرئيسة، وقد يرصد ملاحظات توجز المواضيع والنقاط الأساسية. أيضا فإنه يراجع ملاحظاته والعبارات التي وضع تحتها خطوطا كي يتأكد من أنه لم يغفل شيئا مهما. مهمته إنما تتعين في العثور على ما قاله المؤلف وفهمه. باختصار، فإنه يتذكر الاستدلال ولا يقوم بتقييمه.

مستخدم نهج فرز الذهب، شأنه في هذا شأن مستخدم نهج الإسفنجة، يقارب ما يقرأ آملا الظفر بمعارف جديدة. غير أن التشابه بينهما ينتهي هنا. ذلك أن نهج فرز الذهب يشترط على مستخدمه أن يطرح على نفسه عددا من الأسئلة المصممة لكشف النقاب عن أفضل الخيارات أو المعتقدات المتاحة.

يتساءل مستخدم نهج فرز الذهب دوما عن المبررات التي جعلت كاتب المقال الذي يقرأه يقول ما يقول. إنه يرصد ملاحظات على الهوامش تشير إلى مشاكل يعاني منها الاستدلال. إنه يتفاعل باستمرار مع ما يقرأ. غايته أن يقيِّم المادة التي يقرأ بطريقة نقدية وأن يصوغ نتائج شخصية مؤسسة على هذا التقييم.

عرض 1.1 فحص ذهني: هل أنا فارز ذهب؟

√ هل سألت "لماذا" يرغب شخص ما في إقناعي بشيء ما؟

√ هل رصدت ملاحظات تتعلق بالمشاكل الممكنة التي اعتقدت أن المقال قد يعاني منها؟

√ هل قمت بتقييم المقال؟

√ هل قمت بصياغة نتيجتي الخاصة فيما يتعلق بالموضوع؟

مثال على نهج فرز الذهب

من المسائل الأساسية المستديمة التي تثار في المجتمع الأمريكي، مسألة تتعلق بتحديد قوانين تنظيم حمل السلاح التي نحتاج إلى سنها. دعونا نعاين أحد المواقف التي اتخذت من هذه المسألة. حاول أن تقرر ما إذا كانت الحجة مقنعة.

> الحجج المدافعة عن حظر الأسلحة خرافات في معظمها. لسنا في حاجة إلى المزيد من القوانين، بل في حاجة إلى التأكد من فرض ما سبق لنا سنّه منها. ثمة خرافة مفادها أن معظم القتلة مواطنون عاديون يحترمون القانون، يرتكبون جرائم قتل أقارب أو معارف لديهم في لحظة غضب، فقط لأن السلاح توفر لديهم. الحال أن كل الدراسات التي أجريت على جرائم القتل إنما تثبت أن الغالبية العظمى من القتلة مجرمون امتهنوا الإجرام، أشخاص تحفل تواريخ حياتهم بالحوادث العنيفة. لدى القاتل النمطي تاريخ إجرامي سابق يبلغ في المتوسط ست سنوات على الأقل، تتخللها أربع حالات اعتقال بتهم جنائية.
>
> ثمة خرافة أخرى تفيد أن مالك السلاح قروي أمريكي جاهل من الجنوب اعتاد على القيام بأعمال عنيفة لا معنى

لها. على ذلك، تبين الدراسات بشكل متسق أن ملاك الأسلحة، في المتوسط، تحصَّلوا على تعليم أفضل ولديهم وظائف أكثر مهابة من تلك التي حصل عليها غير ملاكها. إذا حكمنا وفق تقدمهم بطلب تصريح لحمل السلاح في كل الأوقات، فإن الأشخاص الآتية أسماؤهم يمتلكون أسلحة (أو سبق لهم امتلاكها): إلينور روزفلت، جون ريفز، دونالد ترمب، وديفيد روكفلر.

أيضا، هناك خرافة مؤداها أن السلاح لا يفيد في الدفاع عن النفس. على العكس تماما! إذ تبين كل الدراسات أن المسدسات توظف في صد الجرائم أكثر مما توظف في ارتكابها. في حين تستخدم المسدسات في حوالى 581,000 جريمة سنويا، فإنها تستخدم في صد ما يقرب من 645,000 جريمة.

حتى لو كان بمقدور قوانين تنظيم حمل السلاح التقليل من عدد الجرائم التي تستخدم فيها الأسلحة، فإن القوانين الراهنة تكفي حال فرض تطبيقها. ما جدوى قانون أكثر صرامة إذا استبين أن المحاكم عاجزة عن الإلزام بتطبيقه؟

إذا استخدمت نهج الإسفنجة في تحليل هذه الفقرات، يرجح أنك سوف تحاول تذكر المبررات التي تجعلنا نستغني عن المزيد من القيود التي تنظم حمل السلاح. لكن هذا لا يعني سوى أنك تشربت بعض المعلومات. ولكن، إلى أي حد يتوجب أن تقتنع بالمبررات التي أتينا على ذكرها؟ لن يكون في وسعك تقييمها إلا إذا طبقت نهج فرز الذهب ـ أي إذا قمت بطرح الأسئلة المناسبة.

بإثارة مثل هذه الأسئلة، سوف تكتشف عددا من نقاط الضعف في حجة الكاتب. مثال ذلك، قد يشغلك ما يلي:

1. ما الذي يعنيه الكاتب بـ "الأغلبية العظمى" أو "القاتل النمطي"؟ هل ثمـة عدد لا يستهان به من أعضاء الأقليات يقتلون أقاربهم في لحظة غضب؟
2. ما الذي تعنيه عبارة "ملاك السلاح"؟ هل هم الأشخاص الـذين يـشترون نوع الأسلحة الذي يحاول حظرَه المدافعون عن تنظيم حمل السلاح؟
3. ما مدى جدارة الدراسات البحثية المستشهد بها بالثقـة؟ هـل كـان حجـم العينات كبيرا، وهل كانت العينات عشوائية ومتنوعة إلى حد كاف؟
4. هل استخدم الكاتب الإحصائيات في الكذب عبر التأثير علينا بـذكر أعـداد كبيرة، عوضا عـن أن تكـون دقيقـة، مثـال 581,000 و 645,000. عـلى أي أساس اعتمدت هذه الأعداد؟ هل بمقدورنا التعويل عليها؟
5. ما الفوائد الممكنة للتحكم في حمل السلاح التي لم تُذكر؟ هل تم التغاضي عن دراسات مهمة تخالف موقف المؤلف؟
6. هل لنا أن نفترض أن كـون بعـض المـشاهير يمتلكـون أسـلحة يـستلزم أن امتلاك الأسلحة شيء مرغوب فيه؟ هل لدى هؤلاء المشاهير خبراء مختصون في مناقب ملكية السلاح ومثالبها؟
7. لماذا لم يقم الكاتب بتوضيح كيف يمكن لنا التشجيع على أسلوب أفـضل في فرض قوانين تنظيم حمل السلاح الراهنة كي يبين تقديره الأضرار التي تسهّل الأسلحة أحيانا إلحاقها بالآخرين.

إذا كنت تستمتع بطرح هذا النوع من الأسئلة، فإنك المستهدف بوجه خاص من قبل هذا الكتاب؛ ذلك أن غايته الأساسية إنما تتعين في مساعدتك على معرفـة متى وكيف تطرح أسئلة تعينك على اختيار ما يتوجب عليك اعتقاده.

الخاصية الأكثر أهمية التي يختص بها نهج فرز الذهب هي الخوض التفـاعلي ـ الحوار بين الكاتب والقارئ، أو بين المتحدث والمستمع.

يستبان أن هناك أوقاتا يكون فيها نهج الإسفنجة مناسبا، معظمكم استخدمه بشكل منتظم وحقق باستخدامه مستوى من النجاح. اعتيادك على استخدام نهج فرز الذهب أقل رجحانا – جزئيا – لأنك لم تحصل على التدريب والتطبيق المناسبين. لن يعينك هذا الكتاب فحسب على طرح الأسئلة المناسبة، بل سوف يتيح لك أيضا فرصا عديدة لتوظيفها.

فرز الذهب: طرح الأسئلة النقدية

ما كان لنا أن نواجه صعوبات لو كان ما يقوله الآخرون واضحا دائما، لو كانت كل أفكارهم الأساسية معنونة بوضوح، لو أن الكتّاب والمتحدثين لا يخطئون إطلاقا في استدلالاتهم، ولو أن كل العارفين يتفقون على أجوبتهم عن الأسئلة المهمة. لو كان ذلك كذلك، لتسنّى لنا أن نقرأ ونستمع بشكل خامل، وأن ندع الآخرين يفكرون بدلا منا.

غير أن الوضع مختلف تماما. غالبا ما تكون استدلالات الآخرين مبهمة. العناصر المهمة غالبا ما تكون غائبة، وكثير من العناصر المتوفرة ليست واضحة. نتيجة لذلك، يحتاج الواحد منا إلى قراءة نقدية ومهارات سماعية تعينه على تحديد ما هو وجيه وتمييز التفكير الواضح عن التفكير المشوش الذي يتسم به كثير مما يعرض له.

الاختلالات التي يعاني منها ما يقوله الآخر ليست بيّنة دائما. يتوجب عليك أن تكون باحثا *فاعلا*. تستطيع القيام بذلك عبر *طرح الأسئلة*. إستراتيجية التساؤل النقدي أفضل إستراتيجية بحثية. من ضمن مناقب هذه الإستراتيجية أنها تمكنك من طرح تساؤلات بحثية حتى حين تكون درايتك بالموضوع المناقش محدودة. لا تحتاج مثلا لأن تكون خبيرا في حضانة الأطفال حتى تتمكن من طرح أسئلة نقدية عن مدى ملاءمة مراكز حضانتهم.

خرافة "الإجابة الصحيحة"

في أحيان كثيرة، ترتهن قدرتنا على العثور على أجوبة محددة بنوع الأسئلة التي تُربكنا. الأسئلة العلمية المتعلقة بالعالم المادي هي الأسئلة الأرجح أن تكون لها أجوبة يقبلها الناس الذين يفكرون بطريقة وجيهة، لأن العالم المادي أكثر جدارة بأن يعتمد عليه وبأن يتنبأ بمستقبله من العالم الاجتماعي. مثال ذلك أنه في حين أن تحديد المسافة التي تفصلنا عن القمر أو تحديد عمر قطعة عظام اكتشفت حديثا تنتمي إلى حضارة قديمة قد لا يكون موضع تيقن مطلق، فإن الاتفاق بخصوص الجوانب البيئية المادية اتفاق شائع. هذا يعني أننا غالبا ما نظفر في العلوم الفيزيقية "بالإجابة الصحيحة".

الأسئلة المتعلقة بالسلوك البشري مختلفة. أسباب السلوك البشري معقدة إلى حد أننا نقتصر غالبا على تشكيل تخمينات ذكية عن علة أو زمن حدوث فعل بعينه. فضلا على ذلك، لأن كثيرا منا يهتمون كثيرا بتفسير السلوك البشري ووصفه، فإننا نفضل أن تكون تفسيرات أو أوصاف معدلات الإجهاض، نسبة البطالة، أو أسباب إساءة معاملة الأطفال، متسقة مع ما نرغب في اعتقاده. هذا ما يجعلنا نقحم تفضيلاتنا حين نناقش مثل هذه المسائل ونقاوم الحجج التي تتعارض مع تلك التفضيلات.

ولأن السلوك البشري خلافي ومركب، فإن أفضل أجوبة يمكن لنا العثور عليها لكثير من الأسئلة المتعلقة به احتمالية في طابعها. حتى لو كنا على دراية تامة بكل الشواهد المتعلقة بآثار التمارين البدنية على الصحة العقلية، نظل عاجزين عن التيقن من تلك الآثار.

وبصرف النظر عن نوع الأسئلة المثارة، عادة ما تكون المسائل التي تتطلب تدقيقا محكما مسائل يختلف حولها "الأشخاص الذين يفكرون على نحو وجيه". الحال أن كثيرا من المسائل تعد مهمة أساسا بسبب الخلافات الحادة التي تنشأ حول سبل حسمها. يتضمن كل خلاف أكثر من موقف، وقد تكون هناك

مبررات وجيهة تدعم العديد من المواقف. نادرا ما يكون هناك موقف من مسألة اجتماعية خلافية تستطيع أن تقول عنه: "يتضح أن هذا هو الموقف الصحيح من تلك المسألة". لو كان مثل هذا التيقن ممكنا، ما كان "للذين يفكرون على نحو وجيه" الجدل حوله. سوف نركز في هذا الكتاب على مثل هذه المسائل الاجتماعية الخلافية.

رغم أنك لن تظفر ضرورة "بالإجابة الصحيحة" عن المسائل الاجتماعية الخلافية، فإن هذا الكتاب مصمم لمنحك المهارات اللازمة لتطوير أفضل إجابة وجيهة تسمح بها طبيعة المشكلة والمعلومات المتوفرة. في غياب اليقين، يتوجب عادة اتخاذ بعض القرارات. مثال ذلك، ليس من الحكمة أن تطرح كل الأسئلة المناسبة حين يشكو عزيز لديك من ألم حاد في صدره ويود أن تقوم بنقله إلى غرفة الطوارئ.

التفكير والشعور

حين تواجه نتيجة أول مرة، فإنك تقوم بذلك وفق تاريخ بعينه. لقد سبق لك أن تعودت على الاهتمام بأمور بعينها، أن تدعم مصالح دون غيرها، وأن تتغاضى عن مزاعم من نوع محدد. لديك التزامات عاطفية إزاء آراء راهنة. هذه رؤاك، وتنتابك على نحو نقدره مشاعر دفاعية نحوها.

هذا الأمر جدير بتوكيد خاص. إننا نقحم الكثير من الأمور الشخصية في كل قرار نتخذه ـ الخبرات، الأحلام، القيم، التدريب، والعادات الثقافية.

على ذلك، إذا أردت أن تحقق مستوى متقدما من النضج، فإنك في حاجة إلى إدراك تلك المشاعر، وأن تعمل قدر استطاعتك على اطّراحها جانبا، أقله أن تكمل عملية التقييم. وحده هذا الجهد سوف يمكنك من الاستماع بعناية حين يعرض الآخرون حججا تهدد أو تعارض معتقداتك الراهنة. إن هذه الانفتاح على آراء الآخرين مهم لأن كثيرا من المواقف التي نتخذها من مختلف المسائل ليست وجيهة بشكل خاص؛ إنها آراء اكتسبناها من آخرين، وبمرور الزمن

ارتبطنا بها عاطفيا. الحال أننا غالبا ما نشعر أننا نتعرض إلى هجوم شخصي حين نقف على نتيجة تعارض نتيجتنا. خطر أن نقحم عاطفيا في أية مسألة أنه يرجح الفشل في اعتبار مبررات قد تكون وجيهة تعزز مواقف مغايرة ـ مبرارات قد تكفي لجعلنا نغير رأينا لو اطلعنا عليها.

تذكر: يتوجب ألا يكون الارتباط العاطفي أساسا رئيسا لقبول أي موقف أو رفضه. مثاليا، يتوجب أن تكون كثافة الارتباط العاطفي أشد ما تكون عقب استكمال الاستدلال. وفق هذا، حاول أثناء القراءة تجنب جعل الارتباط العاطفي يعزلك عن استدلالات من تختلف معهم ابتداء. المتعلم الفاعل الناجح هو الشخص المستعد لتغيير رأيه. إذا رغبت في تغيير رأيك، يتوجب أن تكون منفتحا قدر الإمكان على أفكار قد تبدو لك غريبة أو خطرة حين تواجهها أول مرة.

غير أن المفكر الناقد ليس آلة. إنه يهتم بشكل معمق بالكثير من المسائل. يمكن رؤية عمق اهتمامه هذا في رغبته في القيام بكل العمل الذهني المضني المرتبط بالتفكير الناقد. على ذلك، فإن حدة العواطف التي قد يستشعرها المفكر الناقد إنما يسكنها إدراكه أن معتقداته الراهنة قابلة للتعديل.

جدوى طرح السؤال "من يحفل بهذا؟"

طرح أسئلة وجيهة مهمة صعبة لكنها مجدية. سوف تحوز بعض المسائل الخلافية عندك أهمية أكثر من غيرها. حين تكون عواقب المسألة الخلافية عليك وعلى مجتمعك طفيفة، سوف ترغب في قضاء وقت وبذل جهد أقل في التفكير الناقد بخصوصها (مما كان لك أن تقضيه وتبذله في حالة المسائل الخلافية الأكثر أهمية). مثال ذلك، من الوجيه أن تقيِّم نقديا حججا تدعم حماية الحيوانات المعرضة للانقراض وأخرى تعارضها، لأن المواقف المختلفة التي يمكن اتخاذها من هذه المسألة تُفضي إلى عواقب مهمة نسبة إلى المجتمع. غير أن بذل جهد لتقييم الحكم بأن اللون الأزرق أفضل الألوان عند مدراء الشركات التنفيذيين تصرف أقل وجاهة.

وقتك ثمين. قبل قضائه في تقييم مسألة نقديا، اسأل: "هل ثمة من يحفل بهذا؟".

التفكير الناقد بالمعنى الضعيف والتفكير الناقد بالمعنى المحكم

أشارت الأجزاء السابقة إلى أن لدينا أصلا آراء في الكثير من المسائل الشخصية والاجتماعية. إننا مستعدون لاتخاذ موقف من مسائل من قبيل: هل يتوجب سن قوانين تسمح بالبغاء؟ هل إدمان الخمر مرض أم سلوك عمدي شائن؟ أو هل كان جورج بوش رئيسا ناجحا؟ الحال أننا نسمع ونقرأ من منظور مثل هذه المواقف.

يمكن استخدام التفكير الناقد إما (1) للدفاع عن معتقداتنا المبدئية أو (2) تقييمها وتعديلها. التميز الذي يعقده البروفيسور ريتشارد باول بين التفكير الناقد بالمعنى الضعيف والتفكير الناقد بالمعنى المحكم يعين على تثمين هذين الاستخدامين المتعارضين للتفكير الناقد.

إذا قارب المرء التفكير الناقد بوصفه نهجا في الدفاع عن معتقداته المبدئية أو تلك التي يؤجر على الاعتقاد فيها، فإنه يقحم نفسه في عملية *تفكير ناقد بالمعنى الضعيف*. استخدامه مهارات التفكير الناقد على هذا النحو إنما يعني أنه لا يهتم بالسعي وراء الحقيقة أو الفضيلة. الغاية من التفكير الناقد بالمعنى الضعيف مقاومة وتقويض الآراء والاستدلالات المغايرة لآراء المرء واستدلالاته. غير أن اعتبار الهيمنة والظفر على من يختلفون معنا غاية التفكير الناقد إنما يقوض الجوانب الإنسانية والمنتجة من هذا الضرب من التفكير.

في المقابل، يشترط *التفكير الناقد بالمعنى المحكم* تطبيق الأسئلة النقدية على كل المزاعم، بما فيها مزاعمنا. بإرغام أنفسنا على النظر بأسلوب نقدي إلى معتقداتنا المبدئية، فإننا نسهم في حماية أنفسنا من تضليل الذات والامتثال لما تصادف أن التزمنا بإقراره. من السهل أن يتشبث المرء بمعتقداته الراهنة،

خصوصا حين يشاركه فيها الكثيرون. غير أنه بولوجه هذا الدرب، إنما يغامر بارتكاب أخطاء كان أجدر أن يتجنَّبها.

لا يرغمنا التفكير الناقد بالمعنى المحكم ضرورة على التخلي عن معتقداتنا المبدئية، إذ بمقدوره تأمين أسس لدعمها. ذلك أن الفحص الناقد لمثل هذه المعتقدات قد يعزز التزامنا الأصلي بها. منذ عهد طويل، حذرنا جون ستيورات مل من خواء الآراء التي تراكمت دون عون من التفكير الناقد بمعناه المحكم:

> الذي لا يعرف سوى منظوره للقضية لا يعرف سوى القليل عنها. قد تكون مبرراته وجيهة، وربما لم يتسن لأحد دحضها. غير أنه إذا كان عاجزا بالقدر نفسه عن تفنيد الموقف المعاكس، فلن يكون لديه أساس لتفضيل أي من الموقفين.

كي تشعر بالاعتزاز إزاء رأي بعينه، يتوجب أن يكون سبق لك انتخابه من بين آرء بديلة قمت بفهمها وتقييمها.

الرضا الناجم عن استخدام نهج فرز الذهب

الفعل عادة أكثر إمتاعا من المشاهدة؛ والفعل المتقن أكثر إمتاعا من مجرد الفعل. إذا شرعت في استخدام العملية التفاعلية التي يدرّسها هذا الكتاب، فسوف ينتابك من القراءة والاستماع الشعور بالاعتزاز الذي ينتابك نتيجة المشاركة الناجحة في أنشطة بدنية.

> **انتبه**: التفكير الناقد بالمعنى الضعيف هو استخدام التفكير الناقد للدفاع عن معتقدات راهنة. التفكير الناقد بالمعنى المحكم هو استخدام المهارات نفسها في تقييم كل المزاعم والمعتقدات، بما فيها المزاعم والمعتقدات التي نلتزم بها.

يشعر المفكر الناقد بالرضا حين يعرف متى يرفض فكرة أو رأيا ويعرف لماذا تعد استجابته هذه مناسبة. إذا استخدمت بشكل منتظم منهج فرز الذهب، فلن تعتقد في أمر إلا بعد أن تكون قمت بفحصه بطريقة منتظمة. حين تستوفي الفكرة أو المعتقد المعايير النقدية المطورة هنا، سوف يكون من الوجيه الموافقة عليها ـ أقله إلى أن يستبان شاهد جديد.

تخيل إلى أي حد سوف تشعر بالامتنان حين تعرف لماذا يتوجب عليك قبول دليل أو التغاضي عنه. غالبا ما يستجيب من يعرض لرأي يغاير معتقده بقوله "حسن، هذا هو رأيك". غير أن المسألة ليست مسألة رأي من هو، بل ما إذا كان رأيا وجيها. حين تتمترس خلف الأسئلة النقدية التي يناقشها هذا الكتاب، سوف تشعر بالرضا الناجم عن معرفة أن بعض النصائح ليست مجزية.

غالبا ما يكون نهج الإسفنجة مُرضيا كونه يمكنك من مراكمة المعارف. رغم أن هذا النهج منتج، ثمة قدر أعظم من الرضا ينجم عن المشاركة في حوار عقلاني مع الكاتب أو المتحدث. هنا تصبح القراءة والاستماع تجربة أكثر ثراء، حيث تشرع في رؤية أشياء أغفلها الآخرون. بتعلم اختيار المعلومات والآراء بطريقة منتظمة، قد ترغب في قراءة المزيد في محاولة تستمر طيلة العمر لتحديد أي النصائح تُعدُّ مجزية.

تجريب أجوبة جديدة

رغم أنه ليست هناك في الغالب إجابة صحيحة مطلقا، يحاول هذا الكتاب تشجيع البحث عن أجوبة أفضل. لاريب في أن بعض الأجوبة أكثر دقة، أكثر مناسبة، أكثر نفعا، وأكثر أخلاقية من غيرها. كي تقوم بالعمل المضني اللازم للحصول على أجوبة أفضل، تحتاج إلى قدر كبير من الفضول وحتى الشجاعة.

الأمر يحتاج إلى التحلي بالشجاعة لأن الاستمرار في البحث عن أجوبة أفضل يشترط التخلي عن معتقدات ومواقف راهنة. حين نواجه سؤالا ما، من المحتمل

أن تكون لدينا إجابة عنه. هب شخصا قال لنا شيئا عن وجاهة تصرف نشطاء الإجهاض. من جد المحتمل أن يكون لدينا أصلا رأي في هذا الموضوع.

إننا لا نستمع إلى حجج الآخرين وفق سجل ناصع، فنحن نشعر بملكية الآراء التي نتبناها. التخلي عن رأي أقررناه زمنا طويلا، عقب الاستماع إلى آخرين، غالبا ما يتطلب الكثير من الشجاعة. يتوجب على المرء، مفكرا ناقدا، النضال من أجل إرغام نفسه على تجريب أجوبة جديدة. التفاعل بين أجوبتنا القديمة وأجوبتنا الجديدة إنما يؤمّن أساسا للنمو.

الاتصال الفعال والتفكير الناقد

سوف تسهم كثير من المهارات التي سوف تتعلمها، إبان غدوك أقرب إلى أن تكون مفكرا ناقدا، في تحسين أسلوبك في الكتابة والحديث. من المفيد أثناء الكتابة والاستماع أن تكون مدركا لتوقعات المفكرين الذين يبدون قدرا كافيا من الحرص. لأن غايتك هي الاتصال، يتوجب أن توظف الأسئلة العديدة التي يطرحها ذوو التفكير المعمق في تقييم ما تكتب أو تقول، في توجيه محاولتك الاتصال بطريقة جيدة. يسهم عديد من الأسئلة النقدية التي نحضك على طرحها في إبراز المشاكل التي ترغب في تجنُّبها إبان الكتابة والتحدث.

في حين أن موضع تركيز هذا الكتاب هو التفكير الفعال، فإن الارتباط بالاتصال الكفي مباشر إلى حد يوجب أن يكون محورا عبر فصوله. سوف نذكر أنى سنحت الفرصة كيف تعين المهارة المقترحة على تحسين الاتصال.

أهمية التطبيق

تعلم مهارات التفكير الناقد يشبه كثيرا تعلم مهارات بدنية. الاستماع إلى النصائح أو الاقتصار على مشاهدة الآخرين لا تكفل التعلم. يتوجب عليك أن تطبق، وغالبا ما يكون التطبيق مجديا ومضنيا. هدفنا جعل تعلمك بسيطا قدر

المستطاع. غير أن اكتساب عادة التفكير الناقد تتطلب في البداية الكثير من التطبيق.

التمارين التطبيقية وعينات الأجوبة في نهاية كل فصل أجزاء مهمة من هذا الكتاب. حاول أن تقوم بالتمارين قبل أن تقارن أجوبتك بأجوبتنا. أجوبتنا ليست بالضرورة الأجوبة الصحيحة الوحيدة، غير أنها تؤمّن أمثلة على كيفية استخدام مهارات التفكير الناقد. لقد أحجمنا قصدا عن توفير عينات للأجوبة في الفقرة الثالثة من نهاية كل فصل، حتى نتيح لك فرصة البحث عن إجابة باستخدام المعلومات التي يوفرها الفصل المعني. إننا لا نرغب في حرمانك من الشعور بأنك لم تعد في حاجة إلى عوننا.

الأسئلة المناسبة

كي تكون لديك فكرة عن المهارات التي سوف يعينك هذا الكتاب على اكتسابها، سوف نسرد عليك هنا قائمة بالأسئلة النقدية. حين تنهي قراءة الكتاب، سوف تعرف متى وكيف تطرح هذه الأسئلة بطريقة منتجة:

1. ما المسألة وما النتيجة؟
2. ما المبررات؟
3. أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟
4. ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟
5. ما الافتراضات الوصفية؟
6. هل هناك أية أغاليط في الاستدلال؟
7. ما مدى وجاهة الشواهد؟
8. هل هناك أسباب منافسة؟
9. هل الإحصاءات مضللة؟
10. أية معلومات مهمة استُبعدت؟
11. ما النتائج الوجيهة الممكنة؟

مختارات من أسئلة (وأجوبة) الموقع الخاص بالكتاب

1. هل سوف يجعلني هذا الكتاب مرتابا في كل ما أقرأ أو أسمع؟

نأمل أنك سوف ترتاب في كل فكرة تهمك شخصيا. ثمة مدعاة لأن ترتاب بشكل خاص في المزاعم الخلافية أو الاستثنائية بدرجة كبيرة. وكما يقول كارل ساجان، فإن "المزاعم الاستثنائية تتطلب شواهد استثنائية". في تقديرنا أن الهدف من الارتيابية فحص مزاعم يصدرها آخرون باستخدام معايير التفكير الناقد المحكمة. لا يتعين الأمر الأكثر أهمية فيما إذا كان قد استبين أن الزعم صادق أو باطل، بل فيما إذا كان تم تقييمه نقديا بشكل محكم. يتوجب أن توجهنا الشواهد والمبررات إلى نتيجتنا. من المفضل أن نقيم موازنة بين *إرادة الاعتقاد وإرادة الشك؛ غير أنه بالنسبة للمفكر الناقد، تسبق إرادة الشك والسؤال تبني المعتقدات.*

2. تتحدثون عن الحاجة إلى طرح أسئلة. ولكن هل يمكن أن يسرف المرء في طرح الأسئلة أو يبالغ في تحليل الأشياء؟

نعم. ولكنك تستطيع أن تحمي نفسك من ذلك. يتوجب أن تقبل حقيقة أنه في مواجهة عوَز اليقين سوف يتوجب عليك أن تجيب عن الكثير من الأسئلة. بعض من أفضل القادة ومتخذي القرارات في بلادنا خبراء في التفكير الناقد. أيضا فإن المفكرين النقاد يدلون بأصواتهم. إنهم يجمعون ويقيّمون أفضل المعلومات المتوفرة ويتخذون أفضل قرار ممكن في ظل قيود الوقت. اليقين المطلق ليس غاية التفكير الناقد. غايته اتخاذ أفضل قرارات ممكنة في ظل الظروف الراهنة. بالتمرين على التفكير الناقد سوف تبدأ تعتاد تدريجيا على عدم احتياز *كل* الأجوبة قبل اتخاذ القرار. في معظم الحالات، يتوحب أن يكون هدفك "المضي بالحوار قدما" إلى حد يجعلك أكثر ثقة بقرارك المؤقت، ولكن عليك أن تعرف أنه يبقى على الحوار أن يكتشف الكثير.

3. هل يحدث أن يبلغ المرء مرحلة يكون فيها التفكير الناقد عملية يسيرة لا تتطلب بذل أية جهود تقريبا؟

تقريبا، *في بعض الأحيان*. لا ريب أن العملية تصبح أقل صعوبة طالما استمررت في التمرن، وشرعت في دمج الأسئلة في سبل تفكيرك المعتادة. ولكن بوجه عام، التفكير الناقد عمل مضن حتى بالنسبة لخبراء هذا المجال، وهو يتطلب تركيزا وانتباها أكثر من ذلك الذي يتطلبه نموذج الإسفنجة. غير أن لدينا يقينا بأن هذا ثمن زهيد لما نحصل عليه من نفع. تعلُّم أن تكون خبيرا في التفكير الناقد شبيه بتعلم أن تكون لاعب كرة سلة محترف. لقد تعلم محترفو السلة العديد من المهارات الصعبة عبر القيام بالكثير من التمارين الشاقة، وبمقدورهم الآن استخدام الكثير منها بطريقة منسقة؛ غير أن الأداء على مستوى عال يظل يتطلب منهم بذل جهد كي يحققوا النجاح على مستوى عال.

5. هل يضم كتابكم كل أسئلة التفكير الناقد؟

لا. سوف نفاجأ إذا اتضح أن هناك كتابا يقوم بذلك. بإكمال هذا الكتاب تكون بدأت رحلتك في التفكير الناقد، ونأمل أن تستمر في إضافة أسئلة التفكير الناقد عبر مراحل تعليمك. لقد درّس كل منا التفكير الناقد أكثر من ثلاثين عاما، وما زلنا نتعلم سبلا جديدة في تقييم الحجج بطريقة كفية. غير أن كتابنا يعكس بالفعل معظم المهارات والميول التي يعدها من درّس التفكير الناقد سنوات عديدة مهمة. بمقدورنا أيضا أن نعدك بأنك إذا استطعت تعلم أسئلة هذا الكتاب، سوف يكون في وسعك إصدار أحكام تقييمية عالية الجودة. لقد بينت أبحاثنا أن درجات الطلبة الذين استخدموا هذا الكتاب في دراستهم أفضل بكثير من درجات الطلبة الذين لا يعنون باختبارات التفكير الناقد.

6. ألن يضيق الناس ذرعا بي إذا استمررت في طرح أسئلة عليهم؟

بالتوكيد. إذا طرحت أسئلتك بطرق بعينها، من المرجح أن تكون مصدر إزعاج للآخرين. معظم الناس لا يرحبون بتعرضهم للمساءلة. نعتقد أن هذا أمر غاية في الأهمية للعلاقات الشخصية، كما يتضح من العناية التي أوليناها له في نهاية الكتاب (راجع آخر صفحات الكتاب). بقراءة المزيد من فصول الكتاب، ننصح أن تجرب سبلا مختلفة في طرح الأسئلة على الآخرين، إلى أن تجد سبيلا مريحة ولا يبدو أنها تخلق مقاومة أو تسبب مواقف دفاعية. غير أننا ننصح أيضا بأن تتغاضى عن بعض مشاعر الإزعاج التي تنتاب الآخرين. الحاجة الملحة لأن نكون موضع حب الجميع تعرقل التفكير الناقد الكفي. بمقدور الآخرين أن يفيدوا من طرح أسئلتك عليهم، حتى إذا لم يبد أنهم يستمعون بتلك الخبرة إبان اختبارها. اختر مواضيعك. حاول أن تقنع الآخرين بأنك تطرح عليهم الأسئلة كي تفهم استدلالاتهم، وليس لإحراجهم. نعتقد أن تحمُّل بعض الإزعاج ثمن يتوجب على الجميع دفعه إذا رغبنا في اختيار نتائجنا بحرص شديد.

7. هل ثمة فرق بين أن يكون المرء منفتحا وأن يعوزه الحزم؟

نعم. بمقدور المنفتح أن يكون حازما. الفرق هو أن المنفتح يعرف أن بعض التصرفات يجب أن تتخذ بسرعة، رغم أنه *ليس واثقا ثقة مطلقة* بصحة نتيجته. الحزم مأتاه معرفة أنه تم الوصول إلى النتيجة عبر عملية تساؤل محكمة. الانفتاحية مأتاها معرفة إمكان أن تستجد معلومات تغير هذه النتيجة. مثال ذلك، نحن جد حازمين بخصوص إستراتيجيات التدريس. لكننا نستمر في الاطلاع على حجج الآخرين وإستراتيجياتهم في التدريس، ونبدي استعدادا لتغيير الإستراتيجيات التي تبنيناها حال العثور على حجج أقوى تستدعي مثل هذا التغيير.

8. هل يتوجب علينا البدء بنهج الإسفنجة، ثم تطبيق نهج فرز الذهب، بحيث نحصل على قدر كاف من المعلومات؟

نحن من أنصار *تشكيل المعارف على نحو شخصي فاعل*، ولذا فإننا نعتقد بأنه حتى في المراحل المبكرة من التعليم الجامعي من المفضل غالبا أن تقوم منذ البداية بتشكيل ما تتعلم بطريقة فاعلة، عوضا عن الاقتصار على إعادة إنتاجه. القيام بهذا إنما يضمن وضع المعلومات في صورة تفضي إلى فهم أعمق، في مقابل الفهم السطحي. سوف تعينك الفصول التالية على الإفادة من مثل هذا التشكيل الفاعل.

9. هل أحتاج إلى معرفة الكثير عن الموضوع المناقش كي أتمكن من استخدام مهارات التفكير الناقد؟

بالتوكيد أن مثل هذه المعرفة مفيدة، وسوف تجد أن التفكير الناقد أيسر حال تقييم مواضيع تألفها. غير أنه يمكن تطبيق الكثير من الأسئلة التي سوف تتعلم طرحها من هذا الكتاب على مواضيع لست على دراية كافية بها. الأسئلة ليست متعلقة بتخصصات بعينها، بل يمكن تطبيقها على مختلف المجالات. مثال ذلك، طرح أسئلة عن تحيز العينات قد يكون مفيدا في معظم التخصصات التي تعول على إجراء التجارب.

10. لماذا نحتاج إلى دروس في التفكير الناقد كي نتعلم تلك المهارات. ألا نتعلمها تلقائيا في المقررات الأخرى؟

لن تتعلم هذه المهارات تلقائيا، وذلك لأسباب عديدة. أولا، تقترح كثير من الأبحاث أنه لا يتم في معظم الجامعات التوكيد على التفكير الناقد "عبر المناهج الدراسية" بحيث يكتسب الطلبة مهاراتهم. كثير من الطلبة يتخرجون دون أن يكتسبوا مستوى عاليا من مهارات التفكير الناقد. ثمة أبحاث أخرى تبين أن

الكتب الدراسية في بلادنا تُعنى بعرض الحقائق ولا تكاد تشترط التفكير الناقد، وفق تعريفنا إياه. فضلا على ذلك، ينزع كثير من المدرسين إلى التركيز على إعادة إنتاج المحتوى، عوضا عن الاهتمام بفهم المواد الدراسية فهما معمقا. عادة ما يدرّس المدرسون بالطريقة التي درسوا بها هم أنفسهم. أيضا، يؤمن المقرر المكرس للتفكير الناقد إحساسا شموليا متماسكا بعملية التفكير الناقد بالطريقة التي يؤمن بها مقرر في *الإنشاء باللغة الإنجليزية* إحساسا متماسكا بأسلوب الكتابة المحكمة. في الحالين، يمكن الإفادة من مثل هذا التمرين في مقررات أخرى، ويتوجب أن يكون غاية في الإفادة حتى إذا كان مدرسوك يركزون على مهارات التفكير الناقد.

2

المسألة والنتيجة

قبل أن نقيِّم استدلالات الآخرين، يتوجب علينا أولا العثور عليها. يبدو إنجاز مثل هذه المهمة أمرا هينا؛ غير أنه ليس كذلك. كي تشرع في ممارسة عملية التفكير الناقد، يتوجب عليك التمرن على تحديد المسألة والنتيجة.

> عادة ما تنخرط جمعيات التآخي في أنشطة خيرية. إنها توفر متطوعين لجمع المال بغية تمويل العديد من القضايا المهمة. وفق هذا فإن إسهاماتها جديرة بالثناء.
>
> على ذلك، لا يكتمل وصفنا للمنظمات اليونانية بمثل هذا التصور الناقص. إن ما تنجزه من مآثر يغمره التشجيع على التواؤم، المزاح الصبياني، والمسلكيات العفوية. يتوجب إيجاد قنوات أخرى لمواهب أعضائها الجمة.

كاتب هذا التقييم للمنظمات اليونانية يرغب كثيرا في إقناعنا بشيء ما. وبوجه عام، مستحدثو المواقع على شبكة المعلومات، مؤلفو الكتب، كاتبو المقالات التي تنشر على صفحات المجلات، ملقو الخطب، كلهم يحاولون تغيير مدركاتنا أو معتقداتنا. كي تشكل استجابة وجيهة، يتعين عليك بداية أن تحدد

القضية الخلافية أو *المسألة* وأن تحدد المبدأ أو النتيجة التي يرام إقناعك بها. (النتيجة التي يقرها المرء هي رسالته المقصود توجيهها إليك. الغاية منها تشكيل معتقداتك أو سلوكياتك). خلافا لذلك، سوف تستجيب لصيغة شائهة من الحجة المعنية.

حين تكمل هذا الفصل، يتوجب أن تكون قادرا على الإجابة بشكل ناجح عن أول أسئلتنا النقدية.

سؤال نقدي: ما المسالة وما النتيجة؟

انتبه: المسألة سؤال أو قضية خلافية تثير حوارا أو نقاشا. إنها المثير لما يقال.

أنواع المسائل

من المفيد في هذا المقام تحديد نوعين من المسائل التي تواجه عادة. الأسئلة التالية توضح أحدهما:

هل يسهم امتلاك الأسرة حيوانات أليفة في التقليل من الخلافات الناشئة بين أفرادها؟

ما الذي يسبب ضغط الدم؟

من اتخذ قرار زيادة الضرائب على المبيعات؟

كم تكلف الدراسة في الجامعات عام 2010؟

ثمة شيء مشترك بين كل هذه الأسئلة. إنها تطلب أجوبة تحاول وصف وضع العالم الراهن، أو الماضي، أو المستقبلي. مثال ذلك، قد نجيب عن السؤالين الأولين بالقول "بوجه عام، يسهم امتلاك الأسرة حيوانات أليفة في التقليل من الخلافات الناشئة بين أفرادها"، و"التعود على وجبات سعراتها الحرارية منخفضة يسبب ارتفاع ضغط الدم".

مثل هذه المسائل وصفية، وعادة ما نجدها في الكتب المرجعية، المجلات، شبكة المعلومات، وبرامج التلفزيون. إنها تعكس فضولنا لمعرفة نماذج العالم أو نظمه. لاحظ الكلمة الداكنة التي يستهل بها سؤال. حين تستهل الأسئلة بمثل هذه المفردات، يرجح أن تكون أسئلة وصفية.

انتبه: المسائل الوصفية هي تلك التي تثير أسئلة عن مدى دقة أوصاف الحاضر، الماضي، أو المستقبل.

دعونا الآن نضرب أمثلة على النوع الثاني من الأسئلة:

هل ينبغي إلغاء عقوبة الإعدام؟

ما الذي يتوجب فعله إزاء البطالة؟

هل يتعين علينا حظر الشحانات الرياضية الخفيفة، أو مواجهة ارتفاع في معدل الإصابة بالأمراض الربوية؟

كل هذه الأسئلة تتطلب أجوبة تقترح الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه العالم. مثال ذلك، قد تقر الإجابة عن السؤالين الأولين "ينبغي إلغاء عقوبة الإعدام"، و"يتوجب علينا تخفيض معدل البطالة".

هذه مسائل أخلاقية، فهي تثير أسئلة تتعلق بما هو صائب أو مخطئ، مرغوب فيه أو مرغوب عنه، حسن أو شائن. إنها تتطلب أجوبة معيارية، ولذا سوف نصفها بـ*المسائل المعيارية*. المسائل الخلافية الاجتماعية معيارية في أغلب الأحيان.

ربما نكون أسرفنا في التبسيط إلى حد. أحيانا يصعب تحديد نوع المسألة المناقشة. على ذلك، فإنه من المفيد الحفاظ على هذا التمييز، لأن ضروب التقييم النقدي التي سوف تنتهي بإنجازها إنما تختلف وفقا على نوع المسائل التي تستجيب لها.

انتبه: المسائل المعيارية هى تلك التى تثير أسئلة عما ينبغى علينا القيام به، أو عما هو صائب أو مخطئ، حسن أو شائن.

البحث عن المسالة

كيف نحدد السؤال أو المسألة الأساسية؟ أحيانا يكون الأمر غاية في اليسر: فالكاتب أو المتحدث يخبرك عنها. عوضا عن ذلك، قد يتم تحديد المسألة في المتن، عادة في مستهله، بل إنك قد تعثر عليها في عنوانه. حين تصاغ المسألة صراحة، سوف يشار إليها باستخدام عبارات من قبيل:

السؤال الذي أثيره هو: لماذا يتوجب أن تحدد السرعة في الطرق العامة؟

تقييد العمر الذي يسمح فيه بتناول المسكرات: *هل هذا هو الفعل الصائب؟*

هل ينبغي تدريس الثقافة الجنسية في المدارس؟

لسوء الحظ أنه لا يصرح عادة بالسؤال بل يتوجب اشتقاقه من مفاتيح أخرى في النص. مثال ذلك، يستجيب العديد من الكتاب والمتحدثين لحدث يشغلهم، كسلسلة الحوادث العنيفة التي تشهدها المدارس. غالبا ما يقترح السؤال "ما الذي يستجيب له المؤلف" المسألة المركزية في النص. ثمة مفتاح مفيد آخر يتعين في

معرفة خلفية المؤلف، من قبيل الجمعيات التي ينتمي إليها. لذا ابحث عن معلومات تتعلق بخلفية المؤلف إبان محاولتك تحديد المسألة.

حين تحدد المسالة، قاوم فكرة وجود طريقة وحيدة في صياغتها. ما أن تعثر على سؤال يتناوله البحث أو الخطبة، ويتسنى لك تبيان ما يربط السؤال بالبحث أو الكلمة، حتى *تكون عثرت على المسألة*. فقط تأكد أن ما تعتبره مسألة يستوفي معايير تلك الفكرة.

غير أن أضمن سبيل لاكتشاف المسألة، في حال عدم ذكرها صراحة، هو تحديد النتيجة. في حالات كثيرة يتوجب العثور على النتيجة قبل أن يتسنى تحديد المسألة. في هذه الحالات، تتعين نقطة بدء التقويم النقدي في العثور على النتيجة ـ وهذه مهمة صعبة في أغلب الأحوال.

لا نستطيع إنجاز تقويم نقدي إلا عقب العثور على النتيجة!

دعونا نر كيف نبحث عن هذا العنصر البنيوي المهم.

انتبه: النتيجة هي الرسالة التي يأمل المتحدث أو الكاتب قبولك إياها.

البحث عن نتيجة المؤلف أو المتحدث

لتحديد النتيجة، يتوجب على المفكر الناقد أن يسأل "ما الذي يحاول الكاتب أو المتحدث إثباته؟" أو "ما النقطة الرئيسة التي يحاول المؤلف الأساسي إقناعنا بها؟". الإجابة عن أي من هذين السؤالين هي النتيجة. أية إجابة للسؤال الذي يطرحه المتحدث أو الكاتب تشكل نتيجته.

سوف تفتش إبان بحثك عن النتيجة عن جملة أو مجموعة من الجمل يرغب الكاتب أو المتحدث في إقناعك بها. إنه يريد أن تعتقد في نتيجته تأسيسا على سائر جمله. باختصار، البنية الأساسية للاتصال الإقناعي أو الحجة هي: *هذا* لأن *ذاك*.

هذا تشير إلى النتيجة، *ذاك* يشير إلى الدعم المقدم للنتيجة. إن هذه البنية إنما تعرض عملية/*الاستدلال*.

النتائج يستدل *عليها*؛ أي تشتق من عملية الاستنتاج. النتائج أفكار تحتاج إلى أفكار أخرى تدعمها. لذا، حين يزعم شخص أن أمرا ما صحيح أو ينبغي القيام به، ولا يؤمّن جملا تدعمه، فإن زعمه ذاك ليس نتيجة، لأنه لم يوفر أي أساس للاعتقاد فيه. المزاعم التي يعوزها الدعم مجرد آراء.

الفقرة الأخيرة تقول الكثير، ولذا فإنك سوف تفيد كثيرا من إعادة قراءتها. فهم طبيعة النتيجة خطوة أساسية في درب القراءة الناقدة والاستماع الناقد. فيما يلي فقرة موجزة؛ حاول تحديد النتيجة، ثم حاول تحديد الجمل التي تدعمها.

إننا نعارض تجهيزات النفاية النووية التي تقام في ولاية نيفادا. نعتقد أن هناك سبل آمنة لتخزين نتاجات الطاقة النووية المصاحبة.

> "إننا نعارض تجهيزات النفاية النووية التي تقام في ولاية نيفادا" هي إجابة الكاتب عن السؤال عما إذا كان يتوجب علينا تخزين النفايات النووية في نيفادا؛ إنها نتيجته. إن الكاتب يدعم النتيجة (معتقد) بمعتقد آخر: "هناك سبل آمنة لتخزين نتاجات الطاقة النووية المصاحبة".

هل ترى لماذا لا يشكل المعتقد الأخير نتيجة؟ لأنه لا يوظف في إثبات شيء آخر. *تذكر*: أن تعتقد في جملة (النتيجة) لأنك تعتقد أنها تحصل على دعم قوي من معتقدات/*أخرى*، إنما يعني أنك تقوم بعملية استدلال. حين ينخرط الناس في هذه العملية، فإنهم يستنتجون؛ النتيجة هي نتاج هذه العملية.

أحيانا لا يصرح المتحدث أو المتكلم بنتيجته؛ في مثل هذه الحالات يتوجب عليك أن تستدل على النتيجة مما تعتقد أن المؤلف يحاول إثباته عبر حملة ما يعرض من أفكار.

استخدام هذا السؤال النقدي

حين تعثر على النتيجة، اجعلها موضع تركيز تقويمك. إنها المحطة الأخيرة التي يرغب الكاتب أو المتحدث في وصولك إليها. شاغلك المستمر هو: هل ينبغي علي قبول النتيجة تأسيسا على ما يؤمّن لها من دعم؟

مفاتيح الاكتشاف: كيف تعثر على النتيجة

ثمة عدد من المفاتيح التي تعين على تحديد النتيجة.

المفتاح 1. **اسأل ما المسألة.** لأن النتيجة عادة ما تكون استجابة لمسألة، سوف يعينك العثور على النتيجة حال درايتك بالمسألة. بداية انظر إلى العنوان، ثم اعتبر الفقرات الاستهلالية. إذا لم تفد من هذه الطريقة، قد يكون تصفح عدة صفحات أمر ضروري.

المفتاح 2. **ابحث عن المؤشرات اللفظية.** غالبا ما تسبق النتيجة مؤشرات لفظية تنبئ بمجيء النتيجة. حين تراها، ضع علامة تذكرك بها. إن هذه المؤشرات قد تعني أن النتيجة قادمة. فيما يلي قائمة بهذه المؤشرات.

وفق ذلك	من ثم	الحقيقة
لذا	هكذا	باختصار
يلزم عن ذلك	يبين أن	يشير إلى أن
يقترح أن	يتوجب أن	يستبان أن
لنا أن نشتق أن	تشير إلى نتيجة مفادها	الأمر الذي أحاول إقراره
التفسير الأوضح هو	من جد المرجح	يثبت أن
حقيقة الأمر هي		

اقرأ الفقرة التالية، ثم حدد المؤشرات اللفظية وضع تحتها خطا. بقيامك بذلك تكون حددت الجمل التي تشتمل على النتيجة.

الآن، وبعد مرور أكثر من عامين على موافقة المصوتين بأغلبية ساحقة على اليانصيب، ثبت أن اللعبة لم تكن مشروعا رابحا؛ الحقيقة أنه يمكن اعتبارها مشروعا فاشلا.

أولا، أثناء حملة الترويج للسماح باليانصيب، أُخبر الناس مرارا بأن العائدات سوف توظف في معالجة المشاكل المالية التي تعانيها المؤسسات التعليمية العليا والمدارس الإعدادية والثانوية المحلية. لقد حصل اليانصيب على دعم الأغلبية بناء على هذه المقدمة. غير أن الناس لم يكونوا يعرفون أن عائدات اليانصيب سوف تذهب إلى الخزانة العامة بدلا من ميزانية التعليم في الولاية إلا بعد المصادقة على مقترح اليانصيب. أقل من نصف عائدات اليانصيب تذهب إلى التعليم.

يفترض أن تكون وضعت خطا تحت العبارتين: *ثبت أن، الحقيقة*؛ فالنتيجة هي الجملة الواردة بعد كل منهما.

لسوء الحظ، كثيرا مما يكتب ويقال لا يعرض النتيجة باستخدام مؤشرات لفظية. على ذلك، حين تكتب، يتوجب عليك أن تلفت انتباه القارئ لنتيجتك باستخدام مثل تلك المؤشرات. إن هذه المفردات تقوم بدور اللافتة الضوئية، إذ إنها تلفت الانتباه إلى الأمر الذي تود من القارئ قبوله.

المفتاح 3. ابحث في المواضع المحتملة. تنزع النتائج إلى شغل مواضع بعينها. أول موضعين تبحث فيهما هما البداية والنهاية. كثير من الكتّاب يستهلون مقالاتهم بجملة تحدد المقصد، تشتمل على ما يودون إثباته. آخرون يوجزون نتائجهم في النهاية. إذا كنت تقرأ فقرة طويلة مركبة، ووجدت صعوبة في تحديد مسارها، انتقل مباشرة إلى نهايتها.

المفتاح 4. تذكر ما لا تكونه النتيجة. النتائج ليست أيا مما يلي:

- أمثلة
- إحصائيات
- تعاريف
- معلومات تشكل الخلفية
- شواهد

المفتاح 5. **تقصَّ سياق المقال وخلفية مؤلفه.** غالبا ما يتخذ الكتّاب والمتحدثون ومواقع الشبكة مواقف متوقعة من المسائل المناقشة. الدراية بمحاباة المصدر المحتملة وخلفية مؤلفه قد تكون مفاتيح مفيدة في حال عدم التصريح بالنتيجة. اهتم خصوصا بالمعلومات المتعلقة بالمنظمات التي قد يرتبط بها الكتّاب أو المتحدثون.

المفتاح 6. **اسأل السؤال** "ومن ثم؟". لأن النتائج غالبا ما تكون مضمرة، حدد ما يجيب عن السؤال "ومن ثم؟". اسأل "هل يريد منا المؤلف أن نستنبط نتيجة مضمرة من المعلومات التي يبلغنا بها؟". النتائج التي تكون من قبيل "سوف يكون المرشح س متساهلا مع الجريمة" غالبا ما تترك للقارئ أو المشاهد كي يستدل عليها من المعلومات المحدودة التي يعرضها الإعلان السياسي.

التفكير الناقد وأسلوبك الخاص في الكتابة والتحدث

لأن قراءك سوف يبحثون عن نتيجتك، ساعدهم بمنحها الوضوح الذي تستحق. إنها الرسالة المحورية التي تريد تبليغها. اعمل على توكيدها؛ لا تدع الشكوك تساور أحدا بخصوص هويتها. إن جعل نتيجتك سهلة التحديد لا يسهل فحسب من مهمة القارئ، بل يحسن أيضا من منطق كتابتك. من ضمن سبل توكيد النتيجة الفعالة حشرها في بداية المقال أو نهايته، واستهلالها بمؤشر لفظي.

فضلا عن ذلك، افحص نتيجتك بعناية كي تتأكد أنها تشكل استجابة

مباشرة للمسألة التي ترغب في تناولها. مثال ذلك، إذا كانت المسألة التي تحاول نقاشها هي: هل يطيل امتلاك الحيوانات الأليفة من أعمارنا؟ وإذا كانت نتيجتك "نعم، سوف يطيلها 15 عاما في المتوسط"، فإن ثمة تناظرا بين المسألة والنتيجة. ولكن لو كانت تقر أن الحيوانات الأليفة تجلب البهجة على أنفس ملاكها، فإن استدلالك يعاني من تشوش. ذلك أن هذه النتيجة إنما تستجيب إلى مسألة أخرى، ما إذا كانت الحيوانات الأليفة تجلب البهجة على أنفسنا؟

تمارين تطبيقية

حدد في النصوص التالية كلا من المسألة والنتيجة. إبان بحثك عنها، انتبه للمؤشرات اللفظية.

النص 1

حققت مراكز الحضانة وحاضنات الأطفال رواجا متزايدا بانضمام عدد أكبر من النساء إلى سوق العمل. رغم أن الأم قد تستمتع بالعمل خارج البيت، فإنها قد تلحق الضرر بأطفالها حين تتخلى عنهم إلى آخرين أثناء ساعات الدوام.

هذا الاتجاه الراهن إنما يعني أن بعض النساء يرجعن إلى أعمالهن حالما يلدن أطفالهن. رغم أن استحقاقات العمل قد تحث على هذه العودة المتعجلة للعمل، يتوجب على النساء أن يُعدن حساب أولوياتهن. الأمومة مسؤولية جسيمة، ويتوجب على الأم أن تلحظ وجوب حظوة أطفالها بالأولوية.

من بمقدوره تأمين الحب والرعاية اللتين يحتاجها الصغار حاجة ماسة من أجل نموهم العاطفي والجسماني؟ في حين أن الحاضنة قد ترتبط عاطفيا بالطفل، وحدها الأم التي تستطيع منحه قدرا غير محدود من الحب والتشجيع. فضلا على ذلك، فإن الأطفال لا يحصلون على الكثير من الاهتمام على المستوى الفردي في مراكز الحضانة.

ولئن كانت الوظائف تؤمّن مبالغ إضافية تعين على تدبر شؤون المنزل، يتوجب على الأم أن تلحظ أن أطفالها أهم من المال. لذا، يتوجب على الأمهات أن يبقين في منازلهن مع أطفالهن.

النص 2

حين يعتبر الناس موضوع الذكريات الزائفة أو المكبوتة، يبدو أن كثيرا منهم يسقطون التنويم المغناطيسي من حسابهم بوصفه إجراء مناسبا. لقد نشرت وسائل الإعلام العديد من القصص التي تحكي عن تهم زائفة يوجهها أناس تم تنويمهم مغناطيسيا. الحقيقة، التنويم المغناطيسي أسلوب رصين في التعامل مع مجالات متنوعة. يمكن استخدام التنويم المغناطيسي في العلاج الطبي أداة للاسترخاء. يتعلم المنوم مغناطيسيا تركيز انتباهه على جوانب بعينها من بيئته وإغفال الباقي. فضلا عن ذلك، يستخدم علماء النفس التنويم المغناطيسي في علاج الأعراض العصابية، الذهان، ومشاكل الذاكرة.

لقد ألقى الاستخدام السلبي للتنويم المغناطيسي بظلاله على جوانب مفيدة من هذا الإجراء. ورغم أنه نتج عن استخدامه حالات قليلة من الذاكرة الزائفة، يظل غالبا إجراء علاجيا مفيدا.

النص 3

تقترح الدراسات أن تخصيص وقت للاستراحة لطلبة الثانوية يجعلهم أكثر يقظة، ما يعين على حصولهم على تقديرات أفضل.

لقد جربت العديد من المدارس في مختلف أرجاء البلاد منح الطلبة 20 أو 30 دقيقة من الوقت الحرِّ كي يمضوها في التدريبات البدنية أو مع الأصدقاء. إن هذا الوقت يسمح للطالب بأن يسترخي وألا يصاب بالإجهاد بسبب ممارسة عملية التفكير سبع ساعات يوميا.

لاحظ البحاث أن طلبة المقررات التي تدرّس في ساعات متأخرة من النهار يحصلون على تقديرات أفضل من المتوسط (ممتاز وجيد جدا). يبدو من الواضح أن الاستراحة تعين الطلبة على تحقق إنجازات تعليمية أفضل في المدارس.

عينات من الأجوبة

النص 1

لأن المؤلف لا يصوغ صراحة أي سؤال أو مسألة، يتوجب علينا الاستدلال عليها من نتيجته ومن الانشغالات التي يثيرها عبر النص. تذكر الفقرات الثلاث الأولى مشاكل تنشأ حال عمل الأمهات خارج المنزل. المؤشر *لذا* الوارد في الجملة الأخيرة من الفقرة الرابعة وموضع هذه الجملة يقترحان أنها نتيجة المؤلف. لاحظ أن الجملة الأخيرة تؤمّن إجابة عن المسألة، وهذا ما يتوجب على النتيجة أن تقوم به. لاحظ أيضا أن المسألة معيارية؛ فهي تسأل عما ينبغي لنا القيام به؟

المسألة: *هل ينبغي على الأمهات العمل خارج المنزل؟*

النتيجة: *ينبغي على الأمهات التخلي عن العمل خارج المنزل كي يرعين أطفالهن.*

النص 2

تؤسس الفقرة الأولى المسألة. إنها تخبرنا عما يدور في خلد المؤلف. الفقرة الثانية تصحح الوضع من منظور الكاتب. عبارة *في الحقيقة* تنبئك أن النتيجة في طريقها إليك. الفقرة الثالثة تشير إلى ندرة سوء استخدام التنويم المغناطيسي. مفاد الأمر هنا أن آثار التنويم المغناطيسي السلبية نادرة مقارنة بآثاره الإيجابية.

لاحظ أن للمسألة جانبا معياريا وآخر وصفيا. يتوقف الأمر على ما إذا كنا نعتبر مقصد المؤلف معياريا يقر وجوب استخدام التنويم المغناطيسي، أو وصفيا يحدد آثاره. نعتقد أنه حين يلتمس المرء فوائد إجراء (أو فيلم، أو مطعم، أو مرشح) ما، فإنه يضمّن وجوب القيام بأفعال بعينها. لذا فإنه يقر المسألة في صياغة معيارية.

المسألة: *هل يتوجب اعتبار التنويم المغناطيسي أداة سيكولوجية؟*

النتيجة: *نعم، التنويم المغناطيسي إجراء مفيد.*

تلخص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المسألة وما النتيجة؟

قبل أن يتسنى لك تقييم حجة المؤلف، يتوجب عليك أن تحدد بوضوح المسألة والنتيجة. كيف يتسنى لك تقييم حجة إذا كنت لا تعرف على وجه الضبط ما يحاول المؤلف إقناعك به؟ العثور على النقطة الأساسية التي يرغب المؤلف في دعمها أول خطوة في قرار ما إذا كنت سوف تقبلها أو ترفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المسألة والنتيجة في كل من النصوص التالية:

1. يُعنى مدراء الشركات دائما بأساليب زيادة إنتاجية عمالهم. من بين الاقتراحات المثيرة التي عرضها مستشارو الإنتاجية مقترح مؤداه إذاعة قطع موسيقية في مواقع العمل. لقد بحثت دراسات عديدة أجريت مؤخرا في مدى تأثير مختلف أنواع الموسيقا على مخرجات العمل. مفاد الفرض الأساسي الذي اختبر في تلك الدراسات أن موسيقا الروك الناعمة توفر العون الأعظم للإنتاجية. لقد بينت تلك الدراسات أن الموسيقا الشعبية والموسيقا الغربية تشكل بوجه شبه عام أعظم حوافز الكفاءة. لذا، يتوجب على القائمين على الشركات أن يحملوا بجدية إذاعة موسيقا شعبية وغربية مثيرا للإنتاجية العمالية.

2. من أجل بيئة تعليمية جامعية أفضل، ينبغي أن تبدأ كل المحاضرات في الفترة المسائية. معظم الطلبة يحاولون أصلا اختيار المقررات التي تطرح بعد الظهر أو مساء؛ نادرا ما تجد طالبا غاضبا بسبب إغلاق شعبة الثامنة صباحا مثلا. أيضا، يفيد الخبراء بأن قدر تعلم الطالب اليقظ أكبر وكذا قدر سرعة تعلمه. مثال ذلك، درست مجموعة في جامعة سذرن ستيت مقررا في علم النفس يدرسه في الثامنة صباحا د. ملر، فيما درست مجموعة أخرى مع المدرس نفسه المقرر نفسه في الساعة الثانية ظهرا، وقد اتضح أن متوسط درجات المجموعة الثانية أفضل بقليل من متوسط درجات المجموعة الأولى. إن تغيير موعد بدء الدراسة في الجامعة إلى الفترة المسائية سوف يكون مفيدا للطلبة.

3. احتمال قيام الذين يعانون من أمراض عقلية بتدخين السجائر ضعف احتمال قيام غيرهم بتدخينها، وفق ما تفيد دراسة جديدة أعدها بحاث كلية الطب

في جامعة هارفرد. لقد كشف هؤلاء البحاث عن أن الأشخاص الذين يعانون من أمراض عقلية يمكن تشخيصها يشكلون نسبة 45٪ تقريبا من مجموع مدخني التبغ في أمريكا. تقترح الدراسة أن الذين يعانون مس أمراض عقلية عالبا ما يستخدمون نيكوتين السجائر في تعديل أمزجتهم، والتخفيف من حدة الضغط النفسي.

3

المبـــررات

تؤمّن المبررات استجابات لتطلع البشر لمعرفة لماذا يتخذ شخص ما قرارا مـا أو يقر معتقدا ما.

ينبغي أن ينتهي كل درس بتقييم يكلف به الطلبة.

الخنزير أذكى من البغل.

يتوجب أن يكون رب العمل قـادرا عـلى إنهـاء خـدمات أي موظـف يرفض إجراء اختبار المخدرات.

يفتقد كل من هذه المزاعم الثلاثة شيئا. قد نتفق معها أو نخالفهـا، لكنهـا في وضعها الراهن ليست قوية ولا ضعيفة. لا زعم منها يشتمل على تفسير أو مسوغ يبرر *لماذا* يتوجب علينا أن نتفق معه. لـذا، إذا سـمعنا شخصا يطلـق أحـد هـذه المزاعم، نظل في حاجة إلى المزيد.

المفقود هو المبرر أو المبررات المسؤولة عن المزاعم. *المبررات* مزاعم، شواهد، مجازات، مقارنات، وجمل أخرى تطرح لدعم النتائج أو تسويغها. إنها الجمل التي تشكل في مجموعها أساس إثبات مصداقية النتيجة. لقد عرضنا عليك في الفـصل الثاني بعض الموجهـات التي تعين على موضعـة جزأين مهمين في بنية الحجة:

المسألة والنتيجة. في هذا الفصل، سوف نركز على أساليب تحديد عنصر أساسي ثالث في الحجة: المبررات.

حين يكون لدى المؤلف نتيجة ما، يرغب في قبولك إياها، فإنه يتوجب عليه أن يعرض مبررات تقنعك بصحة ما يقول، ويبين لك *لماذا*.

دعم المعتقدات بإثباتات مناسبة، خصوصا حين تكون المعتقدات خلافية، علامة التفكير العقلاني الفارقة. مثال ذلك، حين يقر شخص ما أنه ينبغي علينا استبعاد المحامين الذين تنقصهم الخبرة من تمثيل المتهمين بجنايات، فإن هذا الإقرار سوف يواجه بالتحدي "لماذا تقول ذلك؟". يتعين عليك أن تثير هذا السؤال، أكنت موافقا أم رافضا.

مبررات المرء إما أن تكون وجيهة أو واهية، لكنك لن تعرف حتى تطرح السؤال وتحدد المبررات. إذا كانت الإجابة "لأنني أعتقد ذلك"، يتوجب ألا تكون راضيا عن الحجة، لأن "المبرر" مجرد إعادة صياغة للنتيجة. على ذلك، إذا كانت الإجابة شواهد تتعلق بأخطاء جسيمة ارتكبها محامون تنقصهم الخبرة في قضايا جنائية، سوف ترغب في اعتبار مثل هذه الشواهد حين تقيّم النتيجة. تذكر: *لن يتسنى لك تحديد قيمة النتيجة إلا بعد تحديد المبررات.*

تحديد المبررات خطوة مهمة بشكل خاص في التفكير الناقد. لا نقيّم الرأي تقييما منصفا ما لم نسأل عن علة إقراره ونرضى عن الإجابة. التركيز على المبررات إنما يشترط عينا أن نظل قادرين على الانفتاح على رؤى قد تغاير رؤانا والتسامح معها. إذا كنا نستجيب للنتائج عوضا عن الاستجابة للمبررات، فسوف ننزع إلى التشبث بالنتائج التي جلبناها معنا للنقاش، وسوف تحظى النتائج التي تتسق مع نتائجنا بقبولنا المتسرع. إذا رغبنا حقيقة في فحص آرائنا، يتوجب أن نظل مفتوحين على المبررات التي يؤمّنها أشخاص يقرون آراء نختلف معها.

سؤال نقدي: ما المبررات؟

المبررات + النتيجة = حجة

في المحادثات العادية، تشير كلمة حجة (argument) إلى خلاف، إلى وقت يرتفع فيه ضغط الدم. سوف نستخدم هذا المفهوم بطريقة مختلفة. *الحجة* توليفة تجمع نوعين من الجمل: النتيجة والمبررات التي يزعم أنها تدعمها. تشكل الشراكة بين المبررات والنتيجة حجة المرء. الحجة شيء نؤمّنه لأننا نعنى بكيفية عيش الناس حياتهم ونهتم بمعتقداتهم. التحسن المستمر الذي ننجزه إنما يرتهن بوجود من يهتم بنا إلى حد يجعله يطرح علينا حججه ويقيّم حججنا.

أحيانا تتكون الحجة من مبرر واحد ونتيجة: غير أنه غالبا ما تتعدد المبررات المطروحة لدعم النتيجة. لذا فإننا حين نشير إلى حجة شخص ما، قد نشير إلى مبرر مفرد ونتيجته المرتبطة به، أو جملة من المبررات والنتيجة التي يراد دعمها بها.

انتبه: المبررات تفسيرات أو مسوغات لوجوب اعتقادنا في نتيجة بعينها. إنها ما يطرح بوصفه أساسا لعلة وجوب قبول النتيجة.

وفق استخدامنا لمصطلحي *حجة* و*استدلال*، ليس ثمة فرق في المعنى - استخدام فكرة أو مجموعة أفكار لدعم فكرة أخرى. إذا كانت المقالة خلوا من المبررات، فإنها ليست حجة ولا استدلالا لهذا السبب، الحجج والاستدلالات

وحدها التي يمكن أن تعاني من اختلالات منطقية. لأن المبرر *بذاته* فكرة منعزلة، فإنه لا يمثل علاقة منطقية.

ثمة خصائص عديدة تختص بها الحجة يتوجب الاهتمام بها:

- للحجة مقصد. من يطرح علينا حجة يأمل في إقناعنا بالاعتقاد في أشياء أو مسلكيات بعينها بطرق بعينها. وفق ذلك، فإن الحجة تطالب باستجابة. نستطيع محاكاة منهجي الإسفنجة والذهب، ولكن يتوجب علينا عادة أن نستجيب بطريقة ما.
- تتنوع الحجج من حيث الوجاهة. ثمة حاجة إلى التفكير الناقد لتحديد مدى وجاهة الحجة.
- تتشكل الحجة من مكونين واضحين ـ النتيجة والمبررات. الإخفاق في تحديد أي منهما يضيع فرصة تقييم الحجة. ليس بمقدور المرء تقييم شيء يعجز عن تحديده.

الحكم الأخير جدير بالتكرار والشرح. لا جدوى من التعجل في التفكير الناقد. من المنصف لمن يعرض علينا حججا أن نمضي بعض الوقت في تحديد حججه قبل تقييم مقالته.

الشروع في عملية التساؤل

تتعين الخطوة الأولى في تحديد المبررات في مقاربة الحجة بموقف سؤالي. السؤال الأول الذي يتوجب طرحه هو السؤال *اللماذي*. لقد سبق لك تحديد النتيجة، وترغب الآن في معرفة لماذا تعد النتيجة وجيهة. إذا كانت الجملة لا تجيب عن السؤال "لماذا يعتقد كاتبها أو قائلها فيها؟"، فإنها لا تشكل مبررا. كي تكون مبررا، يتوجب على الجملة (أو مجموعة الجمل) أن تؤمّن دعما لنتيجة.

دعونا نطبق هذا الموقف السؤالي على الفقرة التالية. بداية سوف نعثر على

النتيجة، ثم نثير السؤال *اللماذي* المناسب. تذكر موجِّهات البحث عن النتيجة (مؤشرات النتيجة اللفظية طبعت بخط مائل).

(1) هل تعد تكاليف الرعاية الطبية في المستشفيات باهظة؟ (2) يعرض مسح أجرته في الآونة الأخيرة جمعية المتقاعدين الأمريكية شواهد جديرة بالثقة في هذه المسألة. (3) لقد اكتشفت لجنة مستقلة كلفت بمراجعة فواتير 2000 مريض أن المستشفيات تضيف في المتوسط إلى التكاليف الحقيقية ما مقداره 15 بالمائة. (4) فضلا على ذلك، كشفت مقابلات أجريت مع 400 مريض عقب خروجهم من المستشفيات عن نوبات احتجاج وغضب انتابتهم حين علموا بالمبالغ التي يتوجب عليهم دفعها. (5) *باختصار*، تكاليف الرعاية الطبية في المستشفيات جد باهظة.

ما يرد عقب *باختصار* يجيب عن السؤال الذي تثيره الجملة (1). هكذا نخلص إلى النتيجة (5) "... تعد تكاليف الرعاية الطبية في المستشفيات جد باهظة".

انتبه: تتكون الحجة من نتيجة ومبررات يزعم أنها تدعمها.

بعد ذلك نسأل "لماذا يعتقد المؤلف في النتيجة؟" الجمل التي تجيب عن هذا السؤال هي المبررات. في حالة الفقرة السابقة، يعرض علينا الكاتب مبرراته في شكل شواهد. الجملتان (3) و(4) تؤمّنان معا هذه الشواهد، بمعنى أنهما توفران الدعم للنتيجة. إنهما تشكلان مبرر النتيجة. هكذا يتسنى لنا إعادة صياغة المبرر على النحو التالي: ثمة مسح يبين أن المستشفيات تلزم مرضاها بدفع مبالغ إضافية، وحجم الفواتير يسبب صدمة للمرضى.

حاول الآن العثور على المبررات في الفقرة التالية. مرة أخرى، ابدأ بالعثور على النتيجة، ضع تحتها خطا، ثم اسأل السؤال *اللماذي*.

(1) تلحق اليوثنيزيا (قتل المرحمة) الضرر برفاهة المجتمع لأنها تقوض فكرة التضحية، والولاء، والشجاعة في تحمل الألم. (2) يقبل بعض المحتضرين القيام بهذه التضحية سبيلا لدفع ثمن خطاياهم. (3) يجب السماح لأولئك الناس بالموت وفق مشيئتهم ـ دون مساعدة يقدمها آخرون تعجل من موتهم.

ليست هناك مؤشرات لفظية واضحة تشي بالنتيجة في هذه الفقرة، غير أنه يستبان أن المؤلف يجادل ضد أخلاقية اليوثنيزيا. النتيجة هنا هي: "اليوثنيزيا تلحق الضرر برفاهة المجتمع". لماذا يعتقد الكاتب في ذلك؟ المبرر الأساسي المطروح هو أنها "تقوض فكرة التضحية، والولاء، والشجاعة في تحمل الألم". الجملتان التاليتان في النص تشكلان دعما إضافيا لهذا المبرر.

من أفضل سبل معرفة ما إذا كان تسنى لك تحديد المبرر أن تقوم بدور صاحب المقالة. ضع نفسك في موقفه واسأل "لماذا أوثر النتيجة التي أقوم بدعمها؟" حاول أن تعبر بكلماتك الخاصة عن الكيفية التي سوف يجيب بها عن هذا السؤال. إذا كان بمقدورك إعادة صياغة الإجابة، فمن المرجح أنك عثرت على مبرراته.

إبان تحديد بنية استدلال المؤلف، يتوجب التعامل مع أية فكرة تستخدم في دعم نتيجته على أنها مبرر، حتى إذا لم تكن تعتقد أنها تشكل دعما للنتيجة.

مؤشرات المبررات اللفظية

كما في حالة النتيجة، ثمة كلمات بعينها تقدم للمبررات. تذكر: بنية الاستدلال هي: لأن. وفق هذا، فإن كلمة لأن ومرادفاتها التي تؤدي وظائفها، تشير غالبا إلى وجود مبررات. فيما يلي قائمة بمؤشرات المبررات اللفظية:

نتيجة لـ	بسبب حقيقة أن	أولا، ... ثانيا	ذلك أن
مثال ذلك	بسبب المبرر أن	بحسبان يدعمه أن	
باعتبار الشاهد	اكتشف البحاث أن		

أنواع المبررات

ثمة أنواع عديدة من المبررات، وقفا على نوع المسألة. كثير من المبررات تصاغ في جمل تعرض شواهد. *الشواهد* معلومات محددة تستخدم في تأمين "إثباتات" على شيء تزعم صحته. يركن المؤلفون إلى أنواع عديدة من الشواهد "لإثبات معتقداتهم". تشتمل هذه الشواهد على "حقائق"، اكتشافات بحثية، أمثلة من الحياة الواقعية، إحصائيات، ركون إلى الخبراء والسلطات، شهادات شخصية، مجازات، ومقارنات. بعض أنواع الشواهد مناسبة أكثر من غيرها في بعض المواقف، وسوف تجد أنه من المفيد أن تطور لنفسك قواعد تحدد أنواع الشواهد المناسبة في كل موقف.

سوف تتساءل غالبا "ما نوع الشواهد اللازمة لدعم هذا الزعم؟"، ثم تقرر ما إذا كانت مثل هذه الشواهد قد توفرت. يتوجب أن تعرف أنه ليست هناك "قواعد للشواهد" قابلة للتطبيق على كل حالات الاستدلال الجادة. ثمة تناول أكثر تفصيلا للشواهد في الفصول 8-11 من هذا الكتاب.

حين يحاول المؤلف دعم نتيجة وصفية، عادة ما تشكل الشواهد إجابة على السؤال *اللماذي*.

التالي مثال على الحجة الوصفية؛ حاول العثور على مبررات المؤلف.

> (1) الحقيقة أن طالبات الجامعة [في أمريكا] يدخنَّ في الوقت الراهن السجائر وفق معدلات يتعاظم قدرها. (2) تبين مسوح أجريت مؤخرا أن طلاب الجامعات خفضوا من استهلاك السجائر بنسبة 40 بالمائة، فيما ارتفع معدل استهلاك الطالبات بنسبة 60 بالمائة.

يتوجب أن تكون اعتبرت الجملة الأولى النتيجة. إنها جملة وصفية تتعلق بمعدل تدخين طالبات الجامعة. سائر الفقرة عرض لشواهد ـ مبررات النتيجة. *تذكر*: النتيجة نفسها لا تشكل شاهدا؛ إنها معتقد تدعمه الشواهد أو معتقدات أخرى.

في الحجج المعيارية، عادة ما تكون المبررات جملا عامة أو معيارية، لكنها قد تكون أيضا معتقدات أو مبادئ وصفية. فيما يلي توضيح لاستخدام هذه الأنواع من الجمل في دعم نتائج الحجج المعيارية.

(1) بخصوص الجدل الحاد الدائر حول تضخم الدرجات، بودي أن أطرح بعض الأسئلة. (2) أي فرق ينجم عن عدم تمييز المتفوقين عن متوسطي القدرات؟ (3) هل يوجد في مجتمعنا نظام تمييزي مؤسس على متوسط الدرجات؟

(4) هل ذوو المتوسط المرتفع من الدرجات أفضل من أصحاب المتوسطات المتدنية؟ (5) في أغلب الحالات، لا تعكس الدرجات حقيقة قدر ما تم تحصيله من تعليم؛ إنها تقيس فحسب إلى أي حد تشرب الطالب مجموعة من المعلومات في فترة قصيرة ثم قام بإرجاعها في الامتحان.

(6) لا يحتفظ الطلبة إلا بالمعلومات التي تثيرهم ويعتبرونها مهمة. (7) لماذا لا نستطيع التخلص من نظام الدرجات والتعويل فحسب على الفضول الفطري والحماس للتعلم الكامنين أصلا في كل واحد منا؟

يتمحور الجدل هنا حول ما يتوجب القيام به إزاء تضخم الدرجات. حل المؤلف للمشكلة إلغاء نظام الدرجات، وفق ما تشير (7). دعونا نبحث عن الجمل التي تجيب عن السؤال "لماذا يعتقد المؤلف في هذه النتيجة؟" أولا، لاحظ أنه لا يؤمّن أية شواهد. الجملتان (2) و(3) تشكلان مبررا واحدا: ليس من المهم التمييز بين الطالب المتوسط والطالب الجيد. لاحظ أن هذا مبدأ عام يشير إلى رؤية الكاتب في الوضع الذي يتعين أن يكون عليه العالم. الجملتان (4) و(5) تضيفان مبررا آخر: لا تعكس الدرجات قدر ما يتم تحصيله من تعليم. هذا معتقد عام يتعلق بمثالب نظام الدرجات. الجملة (6) تؤمّن مبررا ثالثا: لا يحتفظ الطلاب إلا بالمعلومات التي تثيرهم ويعتبرونها مهمة لهم (الدرجات لا تعين المتعلم على التذكر). هذا المبرر معتقد عام آخر. لو فصّل المؤلف في حجته، لربما تسنى له توفير شواهد لهذه المعتقدات نفسها.

الحفاظ على المبررات والنتائج في صياغة واضحة

كثير من الاستدلالات طويلة ومشوشة. أحيانا تدعم مجموعة من المبررات نتيجة واحدة، في حين توظف النتيجة مبررا لنتيجة أخرى. المبررات قد تدعمها مبررات أخرى. في الحجج المركبة بشكل خاص، يصعب غالبا الحفاظ على البنية واضحة في الذهن إبان تقييم المقالة نقديا. للتغلب على هذه المشكلة، حاول تطوير إجراء تنظيمي يخصك لعزل المبررات عن النتائج بشكل منطقي.

مفاتيح لتحديد وتنظيم استدلال النص

1. **ضع دائرة حول كل مؤشر لفظي.**
2. **ضع خطوطا مختلفة الألوان تحت المبررات والنتيجة، أو أبرز النتيجة وضع خطوطا تحت المبررات.**
3. **ضع عناوين فى الهامش تشير إلى المبررات والنتيجة.**
4. **بعد قراءة فقرات طويلة، قم بإعداد قائمة بالمبررات فى نهاية النص.**
5. **فى حالة الاستدلالات المركبة بشكل خاص، ضع مخططا للبنية، باستخدام أرقام تشير إلى النتيجة وكل مبرر من مبرراتها، وأسهما توضح اتجاه العلاقات القائمة بينها. أحيانا يكون هذا الأسلوب جد مفيد حال إعادة صياغة المبررات والنتيجة في الهوامش، ثم ترقيمها.**

يمكن توضيح هذه الأساليب بمحاولة العثور على النتيجة والمبررات في النص التالي المركب نسبيا:

(1) هل لدى الطبيب إلزام أخلاقي بتأمين رعاية طبية مجانية للمعوزين؟
(2) نعم. (3) *أولا*، يقصر المجتمع ممارسة الطب في معظمها على الأطباء، ما يؤدي إلى احتكار طبي يتضح أنه يعود بالنفع على الأطباء.

(3) *هكذا يبدو أنه من السديد* أن تعترف مهنة الطب بمسؤوليتها الجماعية على تأمين رعاية حتى للعاجزين عن الدفع.

(5) *ثانيا*، التزام الأطباء/*الأفراد* أخلاقيا بتأمين رعاية مجانية مؤسس على فهم لخصوصية دورهم. (6) يتوجب ألا نقارن الطبيب بالسباك أو عامل المجاري أو فني السيارات، أو بأصحاب مهن أخرى تتعامل مع أشياء لا حياة فيها. (7) خلافا لإصلاح السيارات، مشاكل الناس الصحية ليست قابلة للتأجيل أو المساومة. (8) قيام الأطباء بعلاج البعض دون مقابل أمر مهم إذا رغب الأطباء في أن يظلوا أطباء ولم تعد الخدمات الطبية مجرد نشاط تجاري آخر مؤسس على الربح.

يفترض بداية أن تكون لاحظت أننا طبعنا النتيجة والمؤشرات اللفظية الأساسية بخط مائل. أيضا، لا ريب أنك لاحظت أثناء قراءة النص أن بنية الاستدلال غاية في التركيب. في مثل هذه النصوص، ثمة حاجة لفهم تسلسل الجمل المنطقي حتى يتسنى عزل البنية الاستدلالية. التالي مخطط لعلاقة المبررات بالنتيجة. حاول تخطيط النص دون عون، ثم قارن مخططك بمخططنا:

(7) → (6) → (5) → (8) → (2) ← (4) ← (3)

يعكس مخططنا تأويلا مفاده أن الجملة (4) في الفقرة الأولى والجملة (8) في الفقرة الثانية تجيبان مباشرة عن السؤال "لماذا تعد النتيجة، الجملة (2)، صحيحة؟". اتجاه مسار الأسهم إنما يشير إلى تقديرنا لكيفية دعم سائر المبررات لهذين المبررين. مثال ذلك، الجملة (6) توفر دعما للجملة (5).

المخططات مفيدة في فهم الحجج المركبة بشكل خاص. حين تقرأ مقالات طويلة، عادة ما يكون من المفيد إعادة صياغة المبررات الأساسية في الهامش. هكذا يتسنى لنا، نسبة إلى النص السابق، عرض المبررات التالية المعاد صياغتها:

الفقرة 1: الأطباء مدينون للمجتمع.

الفقرة 2: دور الطبيب دور خاص؛ الطبيب يختلف عن رحل الأعمال.

ذكرنا عددا من الأساليب التي يمكن استخدامها في تطوير صورة واضحة لبنية الاستدلال. إذا اكتشفت أساليب أفضل، لا تتردد في استخدامها. الأمر المهم هو وضوح المبررات والنتيجة في ذهنك إبان تحضيرك لعملية التقييم.

ما إن تعثر على المبررات حتى تحتاج إلى الرجوع ثانية إليها خلال المزيد من القراءة أو الاستماع. وجاهة المبررات أمر حاسم للحجة المنطقية. الحال أن النتيجة ترتهن بمناقب مبرراتها. *المبررات الواهية إنما تشكل استدلالات واهية!*

المبررات أولا، ثم النتائج

حذرك الفصل الأول من مخاطر التفكير النقدي بالمعنى الضعيف. يتوجب أن تنطفي علامة الإنذار التي تحذرك من مثل هذا الضرب من التفكير حال ملاحظة أن هناك محاولة لخلق مبررات (في الموضع المناسب) فقط لأن هذه المبررات تدعم رأيا سبق إقراره. حين يتطلع المرء إلى مشاركة الآخرين إياه في رأي (نتيجة)، لكن علامات الارتباك أو الغضب ترتسم على محياه، عادة ما يكون التفكير الناقد بالمعنى الضعيف هو المسؤول.

من المؤكد أن لديك مجموعة كبيرة من المعتقدات المبدئية، تقوم بدور النتائج المبدئية إبان مواجهة مسائل خلافية. بتعاظم قدر احترامك للمبررات، سوف تتوقع مرارا أن ترتهن قوة تلك النتائج بالأسس التي تدعمها. أقوى نتائجك إنما ينشأ عن التأمل في المبررات وما تعنيه.

كن رقيبا على نفسك في هذا الصدد. يتوجب أن تمحص ما لديك لفرز ما فيه من ذهب. حاول تجنب "المنطق المعكوس" أو "الاستدلال الخلفي"، حيث المبررات أفكار تالية تعقب اختيار النتائج. مثاليا، المبررات أداة لشحذ النتائج وتعديلها.

المبررات «الطازجة» والنمو

نحتاج إلى تذكير أنفسنا المرة تلو الأخرى بأهمية إرغامها على الاهتمام بالمبررات "الطازجة"، المبررات التي لم يسبق لنا اعتبارها. إنصاف مثل هذه المبررات صعب لكنه مجد. آراؤنا الراهنة هي ما يجعل هذه المهمة صعبة. إنها تشكل نقطة بدء استجابتنا للاستدلال. إننا نواجه كل محادثة، مقالة، أو محاضرة بولاء مسبق لمعتقدات راهنة. هكذا قد تكون معتقداتنا الراهنة عائقا يحول دون الاستماع والتعلم. غير أننا نعرف على مستوى آخر أن هناك مبررات وجيهة لم تسبق لنا مواجهتها. كي نحقق نمونا الشخصي، يتوجب علينا أن نتيح للمبررات "الطازجة" فرصة حقيقية في التحدث إلينا.

التفكير النقدي وأسلوبك في الكتابة والتحدث

حين تكتب أو تتحدث، فإنك ترغب في جعل المتلقي يتفق معك. يستدعي هذا أن يتضح في ذهنه ما تود استنتاجه وعلة استنتاجك إياه. لا تخفِ نتيجتك ومبرراتها، بل اعرضها على الملأ. أعط المتلقي فرصة واضحة في رؤية ما تقصد. هكذا تتعين مهمتك في استخدام كلمات، وجمل، ومؤشرات لفظية توضح العلاقات المنطقية القائمة بين مكونات حجتك.

تمرينات تطبيقية

سؤال نقدي: ما المبررات؟

بداية اقرأ النص وضع خطا تحت نتيجته. بعد ذلك اطرح السؤال اللماذي وحدد موضع المبررات. استخدم المؤشرات اللفظية في تسهيل مهمتك. اعزل النتائج عن المبررات.

النص 1

حالات الطلاق في ارتفاع مستمر، وهذا يثير في أنفسنا الكثير من المخاوف. أخيرا حدد علماء النفس السبب الرئيس للطلاق. بعد

ملاحظة أن أسرا بعينها تتعدد فيها حالات الطلاق، اكتشف أولئك العلماء أن هناك مورثات تقوم بدور أساسي في تسبيب الطلاق.

رغم أن معدل الطلاق بوجه عام يبلغ 20 بالمائة، اكتشف علماء النفس أن نسبة الطلاق عند التوائم تصل إلى 45 بالمائة، *إذا* سبق لأحد التوأمين تطليق حليلته. فحص معدل الطلاق بين آباء التوائم يؤمّن شواهد دالة إضافية على أن المورثات هي السبب الأساسي. إذا سبق أن حدث طلاق بين والدي التوائم، فإن فرصة كل منهما في الطلاق تزيد بما قدره 10 بالمائة.

النص 2

تحقق الدراجات المائية رواجا سريعا. يمكن لقائدي هذه الدراجات السفر إلى أي مكان باستخدام قارب صغير، وهذه هواية محببة عند الشباب. أثار هذا الرواج مسألة ضوابط استخدام البحر. في هذه الحالة، الحجة المدافعة عن فرض ضوابط صارمة حجة مقنعة. استخدام الدراجات المائية شكل مميت من الترفيه المائي.

مثال ذلك، كانت هناك امرأتان تمضيان عطلتهما في لونجبوت كي. بينما كانتا تطفوان فوق قطعة خشبية بمحاذاة الشاطئ، اصطدمت بهما دراجة مائية، ما أدى إلى وفاتها. أيضا تعرض قادة درجات مائية للقتل أو لإصابات بالغة نتيجة الاصطدام بدراجات مائية أخرى. آخرون جنحوا إلى البحر بعد أن تعطلت دراجاتهم المائية أو غرقوا بعيدا عن الشاطئ. كثير من قادة مثل هذه الدرجات تنقصهم الخبرة ويجهلون قواعد الإبحار، ما يصعد من احتمال الحوادث.

فضلا عن المخاطر الكامنة في الدراجات المائية، ثبت أنها مصدر إزعاج بيئي. هكذا يشكو سكان الشواطئ من الضوضاء التي تسببها تلك الدراجات. أيضا عبرت "مؤسسة حوت المحيط الهادي" في الشاطئ

الغربي الأمريكي عن خشيتها من أن تشيع الدراجات المائية الذعر في الحوت المحدب المعرض للانقراض الذي يهاجر إلى هاواي من أجل التكاثر.

القيود التي تشترط حدا أدنى من العمر لقيادة الدراجات المائية، وتحدد المناطق التي يسمح فيها باستخدامها، وتفرض تقسيما إجباريا للمناطق البحرية الآمنة، قيود ضرورية. في غياب مثل هذه الضوابط، من المؤكد أن المآسي الناجمة عن الدراجات المائية سوف تتضاعف، ما يجعل الكثير من الشطآن مناطق لا يؤمَن الترفيه فيها.

النص 3

تعتبر الخبرة بشكل سائد أفضل أنواع التعليم. اختبار الثقافة مباشرة السبيل الوحيدة لفهم كيف يعيش الآخرون فهما حقيقيا. غالبا ما يكون الطلبة الأكثر غنى هم القادرين على السفر واختبار حياة غريبة، ولكن إذا تسنى ذلك لعدد أكبر من الطلبة، خصوصا طلبة الثانوية، قد لا تقتصر حياتهم على اختيار الملابس لشريكات حياتهم.

ينبغي أن تمول المدارس رحلات عبر البحار لإتاحة الفرص لعدد أكبر من الطلبة في التعلم عبر الخبرة. فضلا على ذلك، يجب ألا تعطى هذه المنح لذوي أفضل المعدلات، إذ يتوجب إتاحتها للجميع. غالبا ما يكون ذوو المعدلات المتدنية الأحوج إلى خبرات تغير أسلوب حياتهم، من قبيل السفر، على نحو يحضهم على التطلع إلى خطط مستقبلية. الرحلات التي تمولها المدارس تمكن الطلبة من معرفة السوق العالمي الذي سوف يحتاجون قريبا للعمل فيه.

عينات من الأجوبة

النص 1

المسألة: *ما أسباب الطلاق؟*

النتيجة: *المورثات سبب رئيس.*

المبررات: (1) *احتمال أن يختبر توأم، سبق لتوأمه الطلاق، الخبرة نفسها أكبر من احتمال أن يختبرها غيره.*

(2) *إذا سبق أن حدث طلاق بين والدي التوائم، فإن فرصة كل منهما في الطلاق تزيد بما قدره 10 بالمائة.*

تذكر أننا نبحث عن دعم للنتيجة. إننا نسأل أنفسنا: لماذا يزعم هذا الشخص أن المورثات تقوم بدور رئيس في تسبيب الطلاق؟ النتيجة مبررة من قبل اكتشافين بحثيين؛ يشكل هذان الاكتشافان المبررات. المؤشرات اللفظية في الفقرتين الأوليين هي "اكتشف علماء النفس"، "شواهد دالة إضافية".

النص 2

المسألة: *هل يتوجب فرض ضوابط صارمة على استخدام الدراجات المائية؟*

النتيجة: *نعم، يتوجب فرض ضوابط صارمة على استخدام الدراجات المائية.*

المبررات: (1) *الدراجات المائية غاية في الخطورة.*

(مبررات داعمة)

أ) *يعرض قادة الدراجات المائية أنفسهم ونفوس الآخرين للقتل.*

ب) *معظم قادة الدراجات المائية تنقصهم الخبرة ويجهلون القواعد.*

ت) الازدحام زاد الأمر سوءا.

(2) تشكل الدراجات المائية مخاطر بيئية.

(مبررات داعمة)

أ) تزعج الضوضاء سكان الشواطئ.

ب) قد تخيف الدراجات المائية الحوت الأحدب المعرض للانقراض.

لماذا نخبر بأنه يتوجب فرض ضوابط صارمة على الدراجات المائية؟ تشكل الإجابة عن هذا السؤال مبررات المؤلف. المبرر الأول مدعوم بمجموعة من الأمثلة والمزاعم، تحاول كلها جعلنا ندرك المخاطر الجمة التي يواجهها من يجرؤ على استخدام الدراجات المائية. *فضلا على ذلك* مؤشر لفظي ينبهنا إلى المبرر الثاني. مفاد هذا المبرر المخاطر البيئية الناجمة عن الاستخدام غير المنضبط للدراجات المائية. لهذا المبرر مبرران داعمان. هذا نص جيد للتدريب على تخطيط الاستدلالات.

ملخص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

ما إن نحدد المسألة والنتيجة، حتى نحتاج إلى فهم *لماذا* خلص المؤلف إلى نتيجة بعينها. المبررات هي *اللماذا*. إذا أمن المؤلف مبررات وجيهة، فقد يقنعك بقبول النتيجة. غير أننا معنيون هنا فحسب بتحديد المبررات. تحديد المبررات هو الخطوة التالية في اتخاذ قرار بخصوص ما إذا كان يتوجب عليك قبول نتيجة المؤلف أو رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المبررات.

1. توم واحد من أكثر اللاعبين الذين أعرف مهارة. إنه يلعب جميع الألعاب المتوفرة في المدرسة، حتى كرة القدم الأمريكية، المصارعة، وكرة القدم. إنه قبطان فريق المقاطعة، وفي العام الماضي حقق فريق السباحة الذي ينتمي إليه نتائج جيدة.

3. لم أعد أطيق الذين يتحدثون عن توفر فرص متساوية للجميع في الولايات المتحدة. إن نظرة سريعة للحقائق تبين أنه لا وجود لشيء اسمه "الفرصة المتساوية" المتاحة لكل شخص. اعتبر مثلا الأعمار المتوقعة: السكان البيض الذين تتجاوز أعمارهم 65 عاما أكثر بكثير من نظرائهم السود: هناك 29 مليون أبيض تتجاوز أعمارهم 65 عاما، في حين لا يوجد سوى 2.6 مليون أسود ممن تفوق أعمارهم 65 عاما. إذا لم تحصل كل الأجناس على متوسطات أعمار متقاربة تنجز فيها ما تستطيع إنجازه، فإنه يصعب إقرار أن فرصها في النجاح متساوية.

4. تسألني عن الفيلم الذي شاهدت؛ لقد كان رديئا ـ إنني لا أنصح أحدا بمشاهدته. لقد أصبت بالملل لدرجة أنني لم أحضر سوى نصفه. المحاكاة الحاسوبية رديئة؛ لقد كان في وسعي أن أعرف أنهم كانوا يستخدمون أشكالا حاسوبية بدلا من التصوير الحي. نكات الممثلين لم تكن مضحكة. رغم أنه مكتوب على الإعلان أنه "فيلم رعب"، كان الفيلم خاليا من الحركة. أقترح أن تنفق مالك على شيء آخر.

4

الكلمات والعبارات الغامضة

تعينك الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب على تحديد العناصر البنيوية الأساسية في أية رسالة. في هذه المرحلة، إذا كنت تستطيع تحديد موضع نتيجة الكاتب أو المتحدث ومبرراته، فإنك تمضي قُدما شطر الغاية النهائية: تشكيل خيارات عقلانية. الخطوة التالية إلقاء المزيد من الضوء على هذه الصورة البنيوية.

في حين يمنحك تحديد النتيجة والمبررات البنية المرئية الأساسية، تشترط الاستجابة المنصفة للأفكار المعروضة فحص *المعنى* الدقيق لكل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة. تحتاج الآن إلى اهتمام أعمق بتفاصيل اللغة.

تحديد المعنى الدقيق للكلمات أو العبارات الرئيسة خطوة أساسية في اتخاذ قرار بخصوص قبول رأي شخص آخر أو رفضه. إذا أخفقت في تقصي معاني الحدود أو العبارات الحاسمة، قد تستجيب لرأي لا يقره المؤلف.

دعونا نر لماذا تحوز الدراية بألفاظ المؤلف مثل هذا القدر من الأهمية.

> باختبار تتعاظم حدته آثار ما يبدو زيادة في درجة حرارة العالم، نحتاج إلى اعتبار فرض قيود على طريقتنا الراهنة في الحياة. ما لم نتوقف عن العيش بالأسلوب التي دأبنا على

العيش وفقه، محتم أن تغمرنا المياه، لأن المحيطات سوف تكبر بسبب ذوبان الأنهار الجليدية.

لاحظ أنه يصعب اتخاذ موقف من هذه الحجة ما لم نعرف المزيد عن القيود التي يشير إليها المؤلف. فرض الغرامة قيد؛ وكذا شأن إغلاق المصانع الكبرى. لن نحدد موقفنا إلى أن نعرف المزيد عن القيود المقترحة.

يوضح هذا المثال نقطة مهمة: لا تستطيع الاستجابة إلى أية حجة ما لم تفهم المعنى (الصريح أو الضمني) الذي تحوزه الحدود أو العبارات الرئيسة. الكيفية التي تؤول بها هذه الألفاظ يؤثر غالبا في قبول الاستدلال. لذا، قبل أن تستطيع تحديد مدى رغبتك في قبول نتيجة أو أخرى، يتوجب أن تحاول أولا اكتشاف المعنى الدقيق الذي تحمله النتيجة والمبررات. مثال ذلك، في حين أن كلمة *تبدو* معانيها واضحة، غالبا ما تكون خلاف ذلك.

يتطلب اكتشاف المعنى وتوضيحه إدراك ما تتخذ من خطوات. يقترح هذا الفصل مجموعة من مثل هذه الخطوات. إنه يركز على السؤال التالي:

سؤال نقدي: أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟

الكلمات مرنة على نحو مربك

لغتنا غاية في التركيب. لو كان لكل لفظة معنى واحد مجمع عليه، لكان الاتصال الفعال جد محتمل. غير أن معظم الألفاظ تحوز أكثر من معنى.

اعتبر المعاني المتعددة التي تحملها كلمات من قبيل *الحرية، الفحش، والسعادة.* قد تنشأ عن تعددية المعاني مشاكل خطيرة فيما يتعلق بتحديد قيمة الحجة. مثال ذلك، حين يجادل شخص ما بوجوب حظر مجلة ما لأنها *فاحشة*، لن تستطيع تقييم حجته إلى أن تعرف ما يعنيه من كلمة "فاحشة". في هذه الحجة الموجزة، ليست هناك صعوبة في تحديد نتيجة المؤلف ومبرره الداعم، غير أنه يصعب تقييم وجاهة الاستدلال بسبب الاستخدام الغامض لكلمة *فاحشة*. وفق هذا، حتى لو تسنى لنا تحديد البنية الأساسية للحجة، يظل محتم علينا أن الانشغال بمعاني بعض الألفاظ التي تشتمل عليها تلك البنية. تحذير: *غالبا ما نسيء فهم ما نقرأ أو نسمع لأننا نفترض أن معاني الألفاظ واضحة.*

أنّى قرأت أو استمعت، أرغم نفسك على البحث عن *الغموض*؛ خلافا لذلك، قد تسيء فهم بيت القصيد. الحد أو اللفظة تكون غامضة حين لا يكون معناها مؤكدا في الحجة التي نقوم بفحصها إلى حد يوجب المزيد من التوضيح قبل إمكان الحكم على وجاهة الاستدلال.

موضعة الحدود والعبارات الرئيسة

تتعين الخطوة الأولى في تحديد الحدود والعبارات الغامضة في توظيف المسألة مفتاحا للحدود الرئيسة. الحدود أو العبارات الرئيسة هي تلك التي قد تحمل أكثر من معنى مناسب ضمن سياق المسألة. إنها الحدود التي تعرف أنه محتم توضيحها قبل أن يتسنى لك أن توافق أو تختلف مع المؤلف. لتبيان جدوى فحص مفردات المسألة، دعونا نتقصّ المسائل التالية:

1. هل يؤثر عنف البرامج التليفزيونية سلبا على المجتمع؟

2. هل تقلل مسابقات ملكة جمال أمريكا من قدر المرأة؟

....

انتبه: يشير الغموض إلى وجود تعددية في المعاني التي قد تحملها الكلمة أو العبارة.

تشتمل كل مسألة على عبارات محتم على المؤلف توضيحها قبل أن يتسنى تقييم استجابته للمسألة. الكلمات التالية قد تكون غامضة: "عنف البرامج التليفزيونية"، "تؤثر سلبا على المجتمع"، "تقلل من قدر المرأة"، ... لهذا السبب، حين تقرأ أية مقالة تستجيب لمثل هذه المسائل، يتوجب أن تهتم بوجه خاص بكيفية تعريف المؤلف لها.

تتعين الخطوة الثانية من خطوات تحديد الحدود والعبارات الغامضة في تعيين الحدود أو العبارات التي تبدو حاسمة لمدى دعم مبررات المؤلف لنتيجته، أي تحديد الحدود *الرئيسة* في البنية الاستدلالية. ما أن تموضع هذه الحدود، حتى يتسنى تحديد ما إذا كانت معانيها غامضة.

إبان البحث عن الحدود والعبارات الرئيسة، يتوجب عليك أن تعي باستمرار علة بحثك عنها. ثمة شخص يرغب في قبولك نتيجة ما. لذا فإنك تبحث فحسب عن تلك الحدود أو العبارات التي تؤثر في قبولك تلك النتيجة. لذا، *ابحث عنها في المبررات والنتيجة*. لك إذن إن تسقط من حسابك الحدود والعبارات غير المتضمنة في البنية الأساسية.

ثمة موجّه آخر يعين على البحث عن الحدود والعبارات الأساسية. تأكد من تطبيق القاعدة التالية: كلما كانت الكلمة أو العبارة أكثر تجريدا، تعاظم احتمال عُرضتها لتأويلات متعددة، ما يستوجب قيام المؤلف بتوضيحها. لتحديد ما نعنيه من كلمة *تجريد*، نقول: يصبح الحد أكثر تجريدا كلما كان يشير إلى حالات أقل تحددا أو عينية. هكذا تعد الكلمات *مساواة*، *مسؤولية*، *المواد الإباحية*، *الاعتداء* أكثر تجريدا من العبارات "توفير ضروريات الحياة بالتساوي"، "تسبيب الحدث

مباشرة"، "صور أعضاء الرجل والمرأة التناسلية"، "إلحاق ضرر مادي بشخص آخر". إن هذه العبارات تؤمن صورة أكثر عينية، ما يجعلها أقل غموضا.

بمقدورك أيضا موضعة العبارات الغامضة المهمة المحتملة عبر القيام بعكس *الأدوار*. اسأل نفسك: لو كنت *تتبنى موقفا مخالفا لموقف المؤلف*، أكان لك أن تعرّف حدودا أو عبارات بعينها بطريقة مختلفة؟ إذا كان ذلك كذلك، فقد حددت موضع غموض ممكن. مثال ذلك، من تروق له مسابقات الجمال أنزع إلى تعريف "التقليل من قدر المرأة" بطريقة تختلف عن تعريف من يعترض عليها.

ملخص مفاتيح موضعة الحدود الرئيسة

1. راجع المسألة بحثا عن الحدود الرئيسة.
2. ابحث عن الكلمات أو العبارات الحاسمة ضمن المبررات والنتيجة.
3. راقب باستمرار الكلمات والعبارات المجردة.
4. استخدم طريقة عكس الأدوار لتحديد كيف يمكن لشخص آخر تعريف كلمات وعبارات بعينها بطريقة مختلفة.

فحص الغموض

تعرف الآن أين تعثر على الحدود والعبارات الغامضة. في الخطوة التالية ركز على كل حد أو عبارة واسأل نفسك "هل أفهم معناها؟". كي تجيب عن هذا السؤال، تحتاج إلى التغلب على عوائق أساسية متعددة.

من ضمن هذه العوائق افتراض أنك تتفق مع المؤلف بخصوص المعنى. يتوجب أن تشرع في البحث متجنبا "قراءة الأفكار"؛ أن تعتاد على طرح السؤال "ما الذي تعنيه من هذا؟"، بدلا من "أعرف تماما ما تعنيه". هناك عائق آخر يتعين في افتراض أن الحد يحتمل تعريفا واضحا واحدا. ولأن كثيرا من الحدود تحتمل أكثر من تعريف، اسأل دائما "هل يمكن لأي من الحدود أو العبارات أن يحمل معنى مغايرا؟".

تستطيع التيقن من أنك حددت حدا غامضا مهما بإجراء الاختبار التالي. إذا استطعت التعبير عن معنيين بديلين أو أكثر، يتسق كل منها مع سياق الحجة، وكان مدى دعم المبررات للنتيجة يتأثر بأي المعاني تفترض، فقد نجحت في موضعة غموض مهم. هكذا يتعين هذا الاختبار الجيد لما إذا كنت حددت غموضا مهما في *الاستعاضة* بالمعاني البديلة في البنية الاستدلالية ومعرفة ما إذا كان تغيير المعنى */حدث فرقا* في مدى دعم المبررات للنتيجة.

استخدام هذا السؤال النقدي

الفقرة السابقة جديرة بالاهتمام الكامل. إنها توضح كيفية استخدام السؤال النقدي الخاص بالغموض. ما إن تطبق هذا الإجراء، حتى يتسنى لك أن تبين لنفسك والآخرين لماذا يحتاج الاستدلال إلى المزيد من بذل الجهد. حاول قدر استطاعتك الاعتقاد فيما قيل، فإنك ـ بوصفك مفكرا ناقدا ـ لن تتفق مع الاستدلال حتى تنجح في تبديد الغموض الذي يؤثر فيه.

تحديد الغموض

دعونا الآن نُفد من التلميحات السابقة في تحديد الحدود الرئيسة التي أخفق المؤلف في جعلها واضحة. تذكر: إبان إجراء هذا التمرين، اسأل دائما "ما الذي يعنيه المؤلف من هذا؟" واهتم اهتماما خاصا بالحدود المجردة.

سوف نبدأ ببنية استدلالية بسيطة: إعلان.

Lucky Smokes تدبر الأمر وبثلاثة ميلجرامات من القطران فقط حصل على نكهة.

المسألة: *أي أنواع السجائر يتوجب علي ابتياعها؟*

النتيجة: (ضمنية): *اشتر Lucky Smokes.*

المبرر *يعطيك نكهة بثلاثة ميلجرامات من القطران فقط.*

العبارتان "اشتر *Lucky Smokes* " و" ثلاثة ميلجرامات من القطران" عبارتان عينيتان وواضحتان تماما فيما يبدو. ولكن ماذا عن "حصل على نكهة"؟ هل المعنى واضح؟ في تقديرنا أنه ليس كذلك. دعونا معا نطبق الاختبار التالي. هل يمكن لكلمة "نكهة" أن تحمل أكثر من معنى؟ نعم. قد تعني مذاق تبغ معتدل لا يكاد تلحظ، وقد تعني مذاقا مرا لا يستساغ، وقد تحمل دلالات أخرى. أليس صحيحا أنك سوف تكون أنزع إلى الأخذ بنصيحة الإعلان لو كانت النكهة تناسب ما تفضل؟ الغموض إذن مهم لأنه يؤثر في مدى اقتناعك بالإعلان.

غالبا ما تعج الإعلانات بالعبارات الغامضة. الحال أن المعلنين يقومون عمدا باستخدام تعبيرات غامضة بغية إقناعنا بأن منتجاتهم أفضل من منتجات منافسيهم. فيما يلي عينة من المزاعم الإعلانية الغامضة. حاول تحديد معاني محتملة بديلة للكلمات والعبارات المطبوعة بخط مائل.

No-Pain مسكن الآلام *ذو الفعالية الإضافية*.

عطر Vanmusk يسبق *أحلامك* بخطوة واحدة فقط.

ألبوم Ray Rhinestone الجديد: ألبوم *الخبرة*.

Vital Hair Vitamins تبين لك *ما* تستطيع أن تفعله الفيتامينات بشعرك.

أخيرا، هذا كتاب يوضح لك كيف تعثرين وتحافظين على *رجل مناسب*.

في كل حالة، يأمل المعلن أن تعزو المعنى الأكثر فتنة للكلمات الغامضة. بمقدور القراءة النقدية أن تحميك أحيانا من اتخاذ قرارات شرائية سوف تندم عليها.

دعونا الآن نتقصَّ مثالا أكثر تركيبا على الغموض. تذكر أن تبدأ بتحديد المسألة، والنتيجة، والمبررات. قاوم إغواء رصد ملاحظة عن المعنى الغامض لأية كلمة وكل كلمة. غموض **الاستدلال** وحده الحاسم عند المفكرين النقاد.

حان الوقت لاتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف في البرامج التليفزيونية. إن تأثيره السلبي واضح للعيان، وفق ما يشهد العديد من الدراسات البحثية التي أجريت مؤخرا. هكذا تشير عدة دراسات بحثية إلى أن الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أمام شاشات التلفزة يميلون إلى المبالغة في تقدير مخاطر العنف البدني في الحياة الواقعية. هناك دراسات كثيرة أخرى تبين أن الأطفال الذين يعتادون قضاء ساعات عديدة أمام شاشات التلفزة قد يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعي. العديد من الدراسات الأخرى تثبت الآثار السلبية الناجمة عن العنف الذي يعرضه التليفزيون.

تتناول هذه المقالة مسألة ما إذا كان يتوجب علينا القيام بشيء إزاء العنف في البرامج التليفزيونية، وهي تخلص إلى وجوب اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر ذلك العنف. مفاد مبرر المؤلف الأساسي الذي يطرحه لدعم نتيجته أن مثل هذا العنف يؤدي إلى آثار سلبية. بعد ذلك يستخدم الكاتب شواهد بحثية لدعم استدلاله. دعونا نفحص هذا الاستدلال بحثا عن أية كلمات أو عبارات قد تؤثر في رغبتنا في قبوله.

أولا، سوف نفحص المسألة بحثا عن حدود تستدعي قيام الكاتب بتوضيحها. بيّن أننا لن نستطيع الاتفاق أو الاختلاف مع نتيجته ما لم يحدد ما يعنيه من عبارة "عنف البرامج التليفزيونية". لذا فإننا نرغب في معرفة إلى أي حد قام بطرح تعريف واضح لهذه العبارة في استدلاله.

بعد ذلك، نسرد قائمة بالحدود والعبارات المتضمنة في النتيجة والمبررات: "اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف في البرامج التليفزيونية"، "الآثار السلبية"، "العديد من الدراسات البحثية التي أجريت مؤخرا "، "دراسات

كثيرة"، " الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أمام شاشات التلفزة"، "يميلون إلى المبالغة في تقدير مخاطر العنف البدني في الحياة الواقعية"، "دراسات أخرى"، "الأطفال الذين يعتادون قضاء ساعات عديدة أمام شاشات التلفزة"، "قد يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعي"، "عديد من الدراسات الأخرى"، "تثبت"، "الآثار السلبية الناجمة عن العنف الذي يعرضه التليفزيون". دعونا نمعن النظر في بعض هذه العبارات لتحديد ما إذا كانت تحمل دلالات متعددة قد تؤثر في كيفية استجابتنا للاستدلال.

أولا، النتيجة غامضة. ما الذي يعنيه على وجه الضبط "اتخاذ خطوات فعالة للتقليل من قدر العنف"؟ هل يعني فرض حظر قانوني ضد عرض أية مشاهد عنف بدني، أو يعني ممارسة المشاهدين ضغوطات على شبكات التلفزة بحيث تقصر عرض حوادث العنف على ساعات الليل المتأخرة؟ قبل أن يتسنى لك الاتفاق مع المؤلف، عليك أن تحدد ما يرغب في إقناعك به.

ثانيا، يجادل الكاتب بأن "الذين يعتادون قضاء عدة ساعات أمام شاشات التلفزة" "يميلون إلى المبالغة في تقدير مخاطر العنف البدني في الحياة الواقعية" و"يصبحون أقل حساسية تجاه عنف العالم الواقعي". ولكن ما قدر الساعات التي يتوجب أن يمضيها المرء في مشاهدة التليفزيون حتى يصبح في عداد الذين يمضون عدة ساعات في مشاهدته؟ ربما لا يتأهل معظم المشاهدين لأن يكونوا أعضاء في هذه الطائفة، بحسبان تعريف الدراسة البحثية الفعلي لتلك العبارة. إذا كان ذلك كذلك، فإن هذا المبرر يقصر عن تقديم دعم قوي للنتيجة لأنه لا يتعلق بمعظم مشاهدي التليفزيون. ثم ما الذي تعنيه المبالغة في مخاطر العنف البدني، أو إصباح المرء أقل حساسية؟ حاول تشكيل صورة ذهنية لما تعنيه هذه العبارات. إذا لم تستطع، فهذا يعني أنها عبارات غامضة. إذا أدت الصور المختلفة إلى استجابات مختلفة للمبررات، فقد نجحت في تحديد غموض مهم.

افحص الآن سائر بنود قائمة العبارات السابقة. هل تراها في حاجة هي

الأخرى لتوضيح؟ إذا قبلت حجة الكاتب دون اشتراط قيامه بتوضيح تلك العبارات، فإنك لم تفهم ما وافقت على قبوله.

السياق والغموض

لا يعرّف المتحدثون والكتاب ألفاظهم إلا نادرا. وفق ذلك فإن الموجِّه النمطي لمعاني الجمل الغامضة هو السياق الذي تستخدم فيه. السياق هو خلفية الكاتب أو المتحدث، الاستخدامات التقليدية للحد ضمن مسائل خلافية بعينها، وكل الكلمات والجمل التي تسبق وتلحق الغموض المحتمل. كل هذه العناصر الثلاثة تؤمّن مفاتيح لمعنى الحد أو العبارة الرئيسة.

إذا تصادف أن قرأت عبارة حقوق الإنسان في أية مقالة، يتوجب أن تسأل نفسك مباشرة "أية حقوق هذه؟". إذا فحصت السياق ووجدت أن الكاتب عضو بارز في الحكومة النرويجية، فمن المرجح أنه يعني حق التوظيف، وحق الحصول على رعاية طبية، وحق الحصول على سكن لائق. قد يعني عضو مجلس الشيوخ الأمريكي بحقوق الإنسان شيئا مختلفا تماما: حرية التعبير، والحرية الدينية، وحرية السفر، وحق التجمع السلمي. لاحظ أن هاتين الصياغتين لحقوق الإنسان ليستا متسقتين ضرورة. قد تضمن دولة شكلا من حقوق الإنسان وتخترق في الوقت نفسه شكلا آخر. يتوجب عليك أن تحاول توضيح هذه الحدود عبر فحص سياقها.

في أحيان كثيرة يوظف الكتاب حججهم في توضيح معاني ألفاظهم المفترضة. الفقرة التالية مثال:

> تثبت الدراسات أن معظم الذين يخضعون لعلاج نفسي يفيدون من هذه الخبرة. الحقيقة أن هناك دراسة بحثية أجريت مؤخرا تثبت أنه بعد عشر جلسات من العلاج النفسي، أفاد ثلثا المشاركين بأن حدة شعورهم بالقلق قد خفت.

عبارة "يفيدون من هذه الخبرة" قد تكون غامضة، لأنها قد تحمل أكثر من معنى. غير أن حجة الكاتب توضح تماما أنها تعني في هذا السياق "الإفادة من انخفاض حدة الشعور بالقلق".

لاحظ أنك حتى في هذه الحالة تظل في حاجة إلى المزيد من التوضيح قبل اللجوء إلى معالج نفسي، لأن عبارة "الإفادة من انخفاض حدة الشعور بالقلق" تظل غامضة. ألن تود أن تعرف درجة انخفاض حدة القلق؟ لعل المشاركين ظلوا يعانون من قدر مرتفع منها ـ لكنه أقل من السابق.

من فوائد ملاحظة أن بعض الحدود أو العبارات قد تحمل أكثر من معنى أن تحديد المعنى الذي يريده المؤلف يتيح فرصة الاختلاف معه. إذا كنت لا توافق على تعريف خلافي مفترض، فسوف تلحظ أن وجاهة استدلال المؤلف وقف على التعريف المستخدم، ولن تفرط في التأثر بالاستدلال. هكذا، في المثال السابق، قد تعتقد أنه من الأفضل تعريف "الإفادة من العلاج النفسي" على أنه "إعادة بناء أساسية لخصائص الشخصية". في هذه الحالة، لن يكون مبرر المؤلف، نسبة إليك، داعما لنتيجته.



استخدام السؤال النقدي

السؤال النقدي الذي يركز على الغموض يؤمّن لك أساسا منصفا للاختلاف مع المؤلف. إذا كنتما تعزوان دلالات مختلفة للحدود الأساسية في الاستدلال، فإنه يتوجب عليكما تسوية هذا الاختلاف قبل أن يتسنى لك قبول الاستدلال الذي يعرض عليك.

افحص السياق بعناية كي تحدد معنى الحدود والعبارات الرئيسة. إذا ظل المعنى غير واضح، فقد نجحت في موضعة غموض مهم. إذا كان المعنى واضحا وكنت تختلف معه، يتوجب عليك الارتياب في أي استدلال يتضمن ذلك الحد أو تلك العبارة.

الغموض، والتعريفات، والقاموس

يتوجب أن يكون قد اتضح من النقاش السابق كيف أن موضعة الغموض وتوضيحه يتطلب الوعي بالمعاني الممكنة التي قد تحملها الألفاظ. عادة ما تصاغ المعاني في أحد الأشكال التالية: المترادفات، والأمثلة، وما سميه "التعريف وفق معايير محددة". مثال ذلك، نستطيع طرح ثلاثة تعريفات على الأقل للقلق:

1. القلق هو الشعور بالتوتر. (*ترادف*)
2. القلق ما يختبره المرء حين يشاهد في التليفزيون تقريرا عن نتائج الانتخابات. (*مثال*)
3. القلق شعور ذاتي بعدم الارتياح تصاحبه زيادة تلقائية في حساسية الجهاز العصبي. (*معايير محددة*)

نسبة إلى التقييم النقدي لمعظم المسائل الخلافية، الترادف والأمثلة ليست مناسبة. إنها تفشل في إخبارنا عن الخصائص المحددة الحاسمة لفهم واضح للحد. التعريفات المفيدة هي تلك التي تعين معايير محددة للاستخدام ـ وكلما كانت أكثر تحديدا كان أفضل.

كيف تحصل على التعريفات؟ القاموس مصدر واضح وغاية في الأهمية. غير أن تعريفات القاموس غالبا ما تتكون من مترادفات، أو أمثلة، أو معايير استخدام ليست محددة تماما. إن هذه التعريفات تفشل غالبا في تحديد استخدام الحد في سياق بعينه. في مثل هذه الحالات، يتوجب عليك اكتشاف المعاني المحتملة في سياق النص، أو مما تعرفه عن الموضوع. نقترح أن يكون القاموس في متناول يديك، ولكن تذكر دائما أنك قد لا تعثر فيه على التعريفات المناسبة.

دعونا نمعن النظر في بعض الاختلالات التي تعاني منها بعض التعريفات القاموسية. افحص الفقرة الموجزة التالية:

لا يشهد التعليم في هذه الجامعة تدنيا في الجودة. لقد تبين لي من مقابلات أجريتها أن الأغلبية الساحقة من الطلبة والأساتذة لا يلحظون أي تدن في جودة التعليم في هذه الجامعة.

يتضح أنه من المهم أن نعرف المقصود من "جودة التعليم" في الفقرة السابقة. إذا تفحصت القاموس، سوف تجد أن كلمة جودة تحمل دلالات عديدة، أكثرها مناسبة لهذا النص، *الامتياز والتفوق*. هاتان كلمتان ترادفان كلمة الجودة ـ ولا تقلان عنها تجريدا. سوف تحتاج إلى معرفة المقصود على وجه الضبط من الامتياز والتفوق. كيف تعرف أن التعليم يحقق مستوى عاليا من الامتياز والتفوق؟ مثاليا، تحتاج إلى أن يخبرك المؤلف عن *السلوكيات* التي يشير إليها حين يستخدم عبارة "جودة التعليم". هل تستطيع التفكر في سبل مغايرة لتعريف هذه العبارة؟ فيما يلي تعريفات محتملة *لجودة التعليم*:

- معدل درجات متوسط يحققه الطلبة.
- قدرة الطلبة على التفكير بطريقة نقدية.
- عدد الأساتذة الحاصلين على درجة الدكتوراه.
- قدر الجهد الذي يتطلبه النجاح في الامتحانات.

يقترح كل تعريف من هذه التعريفات طريقة مختلفة في قياس الجودة، فكلٌّ يحدد معايير مختلفة. كل يؤمّن طريقة عينية يمكن استخدام التعبير وفقها. لاحظ أيضا أن كل تعريف يؤثر في درجة رغبتك في قبول استدلال المؤلف. مثال ذلك، إذا كنت تعتقد أن "الجودة" تعني قدرة الطلبة على التفكير بطريقة نقدية، في حين يعرفها معظم من تمت مقابلتهم من طلاب على أنها تعني قدر الجهد الذي يتطلبه النجاح في الامتحانات، فإن المبرر لا يدعم النتيجة ضرورة. ذلك أن الامتحانات قد لا تشترط التفكير بطريقة نقدية.

هكذا، لن تستطيع في الكثير من الحجج العثور على تعريفات قاموسية مناسبة، وقد لا ينجح النص في جعل المعنى واضحا. من سبل اكتشاف معاني بديلة محاولة خلق صورة ذهنية لما تمثله الكلمات. إذا عجزت عن ذلك، فلعلك نجحت في العثور على غموض. دعونا نطبق مثل هذا الاختبار على المثال التالي:

> تسهم الدراسة الجامعية في خلق مواطنين أفضل. لذا، فإن قيام مشرعي الدولة، بدعم من الناخبين، برفع مصاريف الدراسة تصرُّف يبعث على الإحباط. أتراهم يعلمون سرا ما، أسلوبا زهيدا في تحقيق ديمقراطية أكثر قوة يستغني عن الدراسة الجامعية؟

المعيار المستخدم في هذه الحجة لتقييم سلوك مشرعي الدولة حين يرفعون مصاريف الدراسة هو أثر الدراسة الجامعية في *خلق مواطنين أفضل*. هل تستطيع تشكيل صورة ذهنية واضحة "للمواطن" ذي الجودة العالية؟ لدى كل منا مثل هذه الفكرة، غير أنه من غير المرجَّح أن تكون أفكارنا متماثلة. الحال أنها مختلفة تماما. هل تشير عبارة "مواطنون أفضل" إلى انخراط أكثر فعالية في المجتمع المحلي أو قدر أعظم من التعليم، أو أنها تشير إلى شيء مختلف تماما؟ كي نقيّم هذه الحجة، نحتاج إلى معرفة المزيد عن المعنى الذي يريده المؤلف من "مواطنون أفضل". هكذا نكون نجحنا في موضعة غموض مهم.

الغموض واللغة المشحونة

أحيانا يكون الغموض مقصودا. من يحاول إقناعك يعي غالبا أن للكلمات معاني متعددة. فضلا على ذلك، فإنه يعرف أن بعض تلك المعاني تحمل معها دلالات عاطفية مكثفة. إن كلمات مثل *التضحية والعدالة* تحمل معاني كثيرة، بعضها مشحون على نحو يثير بعض المشاعر فينا. كل من يحاول استخدام اللغة في السيطرة على مشاعرنا يستغل مثل هذه العواطف المحتملة.

غالبا ما تكون اللغة السياسية مشحونة وغامضة. مثال ذلك، نستخدم في أحيان كثيرة عبارة *الرعاية الاجتماعية* في الإشارة إلى قيام الحكومة بتقديم العون لمن لا نحب؛ حين يذهب العون الحكومي إلى جماعات نحبها، نسميه *تمويل أو حوافز*. في الجدول التالي قائمة من التعبيرات السياسية والتأثيرات العاطفية المقصودة.

اللغة السياسية الغامضة	
التعبير	التأثير العاطفي
تعزيز العائدات	استجابة إيجابية لرفع الضرائب
ديمقراطيو الضرائب والإنفاق	هدر وتصرف غير مسؤول
استعادة الإنصاف	التصديق على تعديلات ضريبية مقترحة
متطرف	غير مرغوب فيه، وغير سديد
إرهابي	متوحش، معتوه، وغير متحضر
إنفاقات الدفاع	تسهم في الحماية، لازمة
إصلاح	تغييرات مستحسنة

كل هذه التعبيرات غامضة. يتوجب علينا، مفكرين نقادا، أن نستشعر تأثيرها العاطفي المقصود ونعي دور الغموض في دعم *ذلك* التأثير. بالبحث عن معاني بديلة لكلمات من قبيل *إصلاح*، نستطيع حماية أنفسنا ضد أي التزام عاطفي بالحجج التي كان لنا أن نرتاب في وجاهتها. في النهاية، حتى أكثر التغيرات السياسية خطرا تعد بمعنى ما "إصلاحا".

يضرب لنا نرومان سولمون في كتابه *The Power of Babble* مثالا رائعا على كيف يستخدم الساسة الناجحون لغة غامضة لإقناع الآخرين. لاحظ أنه يعرض الحدود الغامضة الرئيسة وفق ترتيب أبجدي [إنجليزي]:

> ها هي أمريكا تعود، ثنائية الأحزاب ـ تتدبر أمرها عبر
> الروح التنافسية، الدبلوماسية، الكفاءة، التفعيل، لعب

النهاية، والنزعة البيئية، صحبة الإيمان بالآباء المؤسسين، عطايا الحرية، الأسواق الحرة، والشعوب الحرة، وفوق ذلك كله، الله. لقد مهد تراثنا العظيم لحقوق الإنسان، المبادرات الفردية، العدالة، الأطفال، القيادة، الحرية، الولاء، القيم الأساسية، أماكن التسوق، الاستجابات المحددة، بواتق الانصهار، الطبقة الوسطى، الإصلاح العسكري، المعتدلين، التحديث، المعايير الأخلاقية، الأمن القومي، والمجد القديم. الفرص تأتي من التفاؤل، الوطنية، السلام عبر القوة، الشعب، التعددية، ونقاط الضوء. النفعية وبركة الصلوات تعمل من أجل المبادئ، فيما يسهم القطاع الخاص في حماية المصالح العامة. قد تعني الواقعية التدوير، ضبط النفس، روح عام 76، وقد تجلب الاستقرار والدفاع عن المصالح الإستراتيجية وفرض الضرائب الأساسية. لقد أصيب العم سام بالرعب منذ فالي فورج، حيث القيم موقرة من قبل المحاربين القدامى؛ الحرص، الرؤية، الروح التطوعية، والقيم الغربية (ص. 3)

حدود مسؤوليتك عن توضيح الغموض

بعد أن تكون حاولت تحديد الغموض وتبديده، ما الذي تستطيع القيام به إذا ظللت غير متأكد من معنى الأفكار الرئيسة؟ ما الخطوة الوجيهة التالية؟ نقترح أن تتغاضى عن أي مبرر يشتمل على غموض يحول دون الحكم على وجاهة المبرر. أنت مسؤول بوصفك متعلما فاعلا عن طرح أسئلة توضح الغموض. غير أن مسؤوليتك تنتهي هنا. الكاتب أو المتحدث هو الذي يحاول إقناعك بشيء ما. دوره مقنعا يتطلب منه أن يستجيب لما يشغلك بخصوص الغموض الممكن.

لست مطالبا بالاستجابة لأفكار ليست واضحة. إذا نصحك صديق

بالتسجيل في مقرر لأنه "مختلف حقيقة"، ولم يستطع أن يوضح لك كيف أنه مقرر مختلف، لن يكون لديك أساس للأخذ بنصيحته أو رفضها. لا حق لأحد في أن يصدقه الآخرون إذا لم يؤمّن لهم صورة واضحة عن استدلاله.

الغموض وطريقتك في الكتابة والمحادثة

رغم أن معظم الفصول موجهة إليك قارئا ومستمعا ناقدا، من المهم أيضا أن تحسن طريقتك في الكتابة والتحدث. كتّاب النصوص ينشدون الوضوح. إنهم يراجعون ما يرغبون قوله عدة مرات، بحثا عن جمل قد تكون غامضة.

ارجع ثانية إلى الجزء المعنون "موضعة الحدود والعبارات الرئيسة"، واستخدم التلميحات الواردة هناك للعثور على حالات الغموض المهمة كي يتسنى لك تنقيح محاولتك الاتصال. مثال ذلك، يمكن توضيح التجريدات الغامضة عبر توفير معايير محددة لاستخدام التجريد أو توضيحه بأمثلة عينية تبلّغ المعنى الذي أردت. انتبه خصوصا لمبرراتك ونتائجك؛ حاول أن تخلصها من الغموض بصرف النظر عن هوية المتلقي. حين تشعر بغموض التعبير، احرص على تحديد ألفاظك حرصا شديدا.

قد يعين التفكير في خصائص المتلقين على تحديد المواضع التي يحتاج فيها الغموض إلى توضيح. قد يفهم المتلقي المتخصص بشكل مناسب العبارات الاصطلاحية والتجريدات الخاصة التي قد تغمض كثيرا على غير المتخصص. تذكر أن المتلقي لن يمضي وقتا طويلا في محاولة معرفة ما تقصد من معاني. إذا أربكت المتلقي، فمن المرجح أن تفقده بسرعة. إذا لم تستحوذ أصلا على انتباهه، فقد فشلت في مهمتك بوصفك مبلغ رسالة.

راجع نقاش الجزء السابق فيما يتعلق بمن تلحقه مسؤولية توضيح الغموض. على الكاتب والمتحدث تحملها، كونه من يحاول إقناع الآخرين.

تلخيص

لن تستطيع تقييم أية مقالة إلى أن تعرف المعاني التي يحملها صاحبها على الحدود والعبارات الرئيسة، فضلا عن المعاني البديلة التي قد تحملها تلك الحدود والعبارات في سياق الحجة. قد تجد مفاتيح مهمة للغموص الممكن في صياغة المسألة، وقد تستطيع تحديد مواضع الكلمات والعبارات الرئيسة في المبررات والنتائج. لأن كثيرا من المؤلفين لا يعرّفون ألفاظهم، ولأن الكثير من الحدود الرئيسة تحمل أكثر من معنى، يتوجب عليك البحث عن مواضع الغموض الممكنة، بأن تسأل "ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟" و"ما معنى الحدود الرئيسة؟". ما إن تنتهي من هذا البحث، حتى تكون عرفت أربعة من مكونات الاستدلال:

1. الحدود والعبارات الرئيسة،
2. أيها تم تعريفه تعريفا مناسبا،
3. أيها يمكن تعريفه تعريفا مغايرا، على نحو يمكّن، حال الاستعاضة بالتعريف البديل، من تعديل استجابتك للاستدلال، و
4. أي تلك الحدود والعبارات غامض ضمن سياق الحجة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: ما الكلمات والعبارات الغامضة؟

في النصوص التالية، حدد أمثلة الغموض، وحاول أن توضح كيف أن الأمثلة تلحق الضرر بالاستدلال.

النص 1

نستهجن كلية النظرية، التي يتضح أن قاضي المحكمة يتبناها، والتي تقر أن الأفلام الفاحشة الإباحية تكتسب حصانة دستورية من قوانين

الدولة لمجرد أن عرضها يقتصر على الراشدين الراصين. لقد رفضت المحكمة العليا في جورجيا هذا الموقف.. وعلى وجه الخصوص، نقر أن للدولة مصالح مشروعة نخاطر بها حال الفشل في كبح رواج تجارة الفحش، حتى على افتراض أنه بالمقدور عمليا فرض قوانين تحمي الأحداث والمارة من التعرض للمواد الإباحية. هناك أيضا حقوق ومصالح مغايرة لحقوق ومصالح المدافعين، مثال مصلحة الناس في نوعية جيدة من الحياة، البيئة الاجتماعية في مجملها، أسلوب التجارة في مراكز المدن الكبيرة، وربما الأمن العام نفسه...

وكما يقول القاضي ورن، "لدى الأمة والدولة حق الحفاظ على مجتمع محتشم.." (*Jacobellis v. Ohio, 378,* U.S. 84, 199, 1964) ...

تؤمّن خلاصة الخبرة، بما فيها خبرة العقدين الماضيين، أساسا واثقا للمشرعين لنتيجة مفادها أن الاستغلال التجاري للجنس يزعزع ويقوض علاقة حساسة أساسية في الوجود البشري، مركزية للحياة الأسرية، والرفاهة الاجتماعية، وتطور الشخصية الإنسانية.

ملاحظة: هذا النص مستل من افتتاحية القاضي ورن برجر لرد المحكمة العليا على مسألة دستورية قانون الفحش الذي أقرته ولاية جورجيا.

النص 2

سوف تقضي الحبوب المحلاة (السريل) على كثير منا. علب ملونة بألوان فاتحة، تحتوي على خطمة ورز ملون؛ هذا ما يتناوله كثير منا على مائدة الإفطار. في أغلب الأحيان، مكونات تلك العلب أقل تغذية من قطعة حلوى. ما هكذا يتوجب أن نبعث بأطفالنا إلى المدارس. يصعب على الطفل التركيز في المدرسة حين يكون تناول صحنا من السكر والمواد الحافظة. لقد بينت الدراسات أن الطفل الذي يتناول إفطارا صحيا، عضويا، يحصل على درجات أفضل في المدرسة.

فضلا على ذلك، يفيد الراشدون أنهم يكونون أكثر استعدادا وفعالية في العمل حين يتناولون إفطارا صحيا.

عينة من الأجوبة:

النص 1

المسألة: *هل لدى الأمة والدولة حق في تقييد المواد الفاحشة؟*

النتيجة: نعم.

المبررات:

1. *لدى الأمة والدولة حق الحفاظ على مجتمع محتشم.*
2. *تثبت الخبرة أن الاستغلال التجاري للجنس يزعزع ويقوض العلاقات الجنسية.*

تخبرنا المسألة والنتيجة أننا في حاجة إلى معرفة ما يعنيه المؤلف من المواد الفاحشة قبل أن يتسنى لنا الاتفاق مع حجته. ولأن النص يفشل في تحديد معنى "فاحشة"، يصعب علينا الاتفاق والاختلاف مع النتيجة. قد يحمل الفحش دلالات محتملة كثيرة. مثال ذلك، قد نستجيب لتعريف يؤكد العري بطريقة تختلف عن استجابتنا لتعريف يؤكد الانحراف في السلوك الجنسي. لذا فإن الفحش غموض مهم في ذلك النص.

ثمة عبارات رئيسة عديدة في حاجة إلى توضيح قبل أن نتمكن من تقييم الحجة. لا ريب أن "الحفاظ على مجتمع محتشم" قد تحمل أكثر من معنى، كما أن إشارة الكاتب إلى نوعية الحياة، بيئة المجتمع في مجملها، أسلوب التجارة، والأمن العام ليست معينة بالقدر الذي نرغب فيه. بحسبان هذه اللغة، سوف نواجه صعوبة في تحديد ما إذا كان عرض أفلام إباحية "يزعزع المجتمع". الحال أن البعض قد يجادل بأن تقييد حق عرض مثل هذه الأفلام هو الذي "يزعزع المجتمع" لأنه يقيد "الحرية".

نواجه مشكلة مماثلة فيها يتعلق بالمبرر الثاني. ما المقصود من زعزعة وتقويض علاقة أساسية حساسة؟ تحمل هذه العبارة في تقديرنا دلالات متعددة، قد يتسق بعض منها مع تأثير المواد الإباحية، وقد لا يتسق بعض آخر منها مع مثل هده المواد.

تلخيص السؤال النقدي:

لماذا يعد هذا السؤال مهما؟

أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟

ما إن تحدد حجة المؤلف، حتى تحتاج إلى تحديد الكلمات والعبارات الرئيسة في الاستدلال التي قد تحتمل دلالات بديلة. الأهم من ذلك، تحتاج إلى تحديد ما إذا كان المؤلف يستخدم صراحة أكثر من تعريف. إذا لم يكن ذلك كذلك، وكان أحد المعاني يؤثر في قبولك النتيجة، فقد نجحت في موضعة غموض مهم. تحديد الكلمات والعبارات الغامضة الخطوة المهمة التالية في اختيار قبول النتيجة أو رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الكلمات أو العبارات الغامضة.

1. جين، كنت أحسب أنك وطني، ولكن يبدو أنني كنت مخطئا. لا أصدق أنك راغب في دعم جهود حكومة بوش في فرضها قيودا على الخطب المناوئة للحرب.

2. يفيد تقرير مؤسسة كارنيج أن 51٪ من المدرسين قد تعرضوا للإساءة اللفظية، 16٪ تعرضوا للتهديد بالضرب، فيما قام الطلاب فعليا بالهجوم على 7٪ منهم. في المدارس، الهدف الأساسي تعليم الطلاب، وهذا هدف لا يتسق مع التهديد باستخدام العنف الذي نشهده دائما في قاعات الدرس. يجب على المدارس أن تتخذ إجراءات أمنية صارمة ـ من قبيل الحراس المسلحين وكاميرات المراقبة ـ إذا رغبت في حماية العملية التعليمية وتخريج طلاب أكفاء.

3. حال تجارة الألعاب الحاسوبية يزداد سوءا هذه الأيام. كانت هناك تنويعة جيدة من الألعاب تنتج باستمرار، ولكن يبدو الآن أن واحدة من كل ثلاث ألعاب إما شخص يطلق النار أو لعبة حربية. بعض الشركات لا تعرض أية أفكار جديدة؛ بل تقتصر على إضافة حلقات إلى ألعاب سابقة وشحنها بالإعلانات إلى أن يصرخ المشترون في النهاية "هذا يكفي"، فتبحث عن وسيلة محدودة أخرى في الابتكار. أيضا تركز الألعاب الجديدة كثيرا على الأشكال بدلا من الألعاب والقصص. في كل إصدار جديد، تصبح المشهدية أطول وأكثر تفصيلا، لكن تنوع الشخصيات والتحكم يصبحان أقل. في لعبة فضائية كنت ألعبها منذ أيام، تعرض أشكال سينمائية لمدة 24 ساعة، ولا تخصص سوى نصف ساعة للعب الفعلي. يجب أن يفهم

القائمون على شركات ألعاب الحاسوب أن تحقيق الأرباح يتطلب ألعابا أفضل.

4. وفق "مركز مايو الطبي"، تبين أن الأسبرين يقلل من مخاطر الأزمات القلبية. هكذا تبين الدراسات انخفاضا قدره 44٪ في عدد الأزمات القلبية ضمن الذين يتناولون حبة أسبرين كل يوم.

5

الخلافات القيمية والافتراضات

سوف يحاول كل راغب في إقناعك بموقف بعينه في عرض مبررات تتسق مع ذلك الموقف. وفق ذلك، سوف يبدو أول وهلة أن كل حججه "وجيهة". البنية المرئية سوف تبدو مقنعة. غير أن المبررات المرئية التي يتم إقرارها ليست الأفكار الوحيدة التي توظف في دعم النتيجة. المعتقدات الخفية أو المضمرة لا تقل أهمية لفهم الحجج. دعونا نفحص أهمية هذه الأفكار المضمرة عبر اعتبار الحجة الموجزة التالية.

> ينبغي على الحكومة أن تمنع صناعة السجائر وبيعها. الشواهد على أن للسجائر آثارا ضارة على صحة المدخنين وصحة من يتعرضون للتدخين تترى كل يوم.

يبدو ـ أول وهلة ـ أن المبرر يدعم النتيجة. إذا رغبت الحكومة في منع منتج ما، من الوجيه أن تؤمّن شواهد على أنه منتوج سيئ. غير أنه يحتمل أيضا أن يكون المبرر صحيحا رغم أنه لا يدعم النتيجة ضرورة. ماذا لو كنت تعتقد أن العناية بالرفاهة مسؤولية فردية ـ وليست مسؤولية جماعية تتكفل بها الحكومة؟ لو كان هذا رأيك، فإن المبرر لا يدعم النتيحة وفق منظورك. إن هدا الاستدلال لا يقنعك

إلا إذا كنت تتفق مع أفكار مضمرة بعينها يسلّم بها المؤلف. في هـذه الحالـة، مـن ضـمن الأفكار المسلم بها فكرة مفادها أن المسؤولية الجماعية، حال تعرض رفاهـة الفرد للخطر، أهم من المسؤولية الفردية.

في كل الحجج، ثمة أفكار بعينها يـسلم بهـا الكاتـب. عـادة مـا تكـون هـذه الأفكار مضمرة يتوجب العثور عليها بـين الـسطور. هـذه الأفكـار وصـلات لا مرئية مهمة في بنية الاستدلال؛ إنها الغراء الـذي يمـسك بالحجـة بأسرهـا. مـا لم تضف هذه الوصلات، لن يتسنى لك فهم الحجة.

إذا غفلت عن الوصلات الخفية، سوف تجد نفسك غالبا تقر أمرا ما كان لك أن تقبله لو أنك أمعنت النظر. تذكر: دائما تقريبا يرفل المظهر المرئي بأزهى حلله، لأن الشخص الذي يعرض الحجة يأمل في تشجيعك عـلى تبنـي الحجـة. إن هـذا الفصل مفيد بوجه خاص للمفكر الناقد لأنه يهيئه للنظر في الحجة بأسرهـا، لا في جوانبها الفاتنة فحسب.

مهمتك أشبه ما تكون بإعادة إنتاج حيلة سحرية دون رؤية الساحر يقوم بها. إنك ترى المنديل يدخل في القبعة، والأرنب تخرج منها، لكنـك تجهـل منـاورات

الساحر الخفية. لفهم الحيلة، يتوجب عليك اكتشاف تلك المناورات. وعلى نحو مماثل، يتوجب عليك في حالة الحجج اكتشاف المناورات، التي هي في حقيقة الأمر عبارة عن أفكار مضمرة. سوف نسمي هذه الأفكار بالافتراضات. كي تفهم الحجة تماما، يتوجب عليك أن تحدد الافتراضات.

الافتراضات:

1. خفية أو مضمرة (في معظم الأحوال)،
2. مسلم بها،
3. مؤثرة في تحديد النتيجة،
4. قادرة على الخداع.

سوف يبين لك هذا الفصل والفصل الذي يليه كيف تكتشف الافتراضات. سوف نركز هنا على نوع واحد من الافتراضات ـ الافتراضات القيمية.

غير أن أهمية تحديد الافتراضات لا تقتصر على التأثير الإيجابي الذي تحدثه على الاستدلال. إن التفكير الناقد يقحم ضرورة أشخاصا آخرين معنيين بالمسألة نفسها. حين تحدد الافتراضات وتجعلها صريحة في استجابتك للآخرين، فإنك تسهم إسهاما عظيما في وجاهة الاستدلال في المجتمع. إنك بذلك تجعل آثار التفكير الناقد الإيجابية واضحة للعيان في مجتمع ديمقراطي.

سؤال نقدي: ما النزعات القيمية وما الافتراضات؟

مرشد عام لتحديد الافتراضات

أين يتسنى لك العثور على الافتراضات؟ الكتب والنقاشات والمقالات تعج بها، غير أنه لا يلزمك الاهتمام إلا بعدد قليل منها. فكما تذكر، تتكون البنية المرئية للحجة من المبررات والنتيجة. لذا فأنت معني فحسب بالافتراضات التي تؤثر في وجاهة هذه البنية، وبمقدورك قصر البحث عن الافتراضات على البنية التي سبق أن تعلمت كيفية العثور عليها.

وعلى وجه خاص، ثمة موضعان يتوجب البحث فيهما. ابحث عن الافتراضات اللازمة للمبررات كي يتسنى لها دعم النتيجة (الافتراضات التي توظف وصلات)، والافتراضات اللازمة لصحة المبررات. بداية سوف نعرّفك على الافتراضات المؤثرة بشكل حاسم في الحجج المعيارية ـ الافتراضات القيمية. **ابحث عن الافتراضات القيمية في النقلة من المبررات إلى النتيجة.**

لاحظ أن المبررات والنتيجة هي المواضع التي نبحث فيها عن الغموض المهم. ها نحن مرة أخرى نقدر تماما أهمية المبررات والنتيجة فيما يقال أو يكتب.

انتبه: الافتراض معتقد مضمر يدعم الاستدلال الصريح.

الخلافات القيمية والافتراضات

لماذا يلح بعض الذين يفكرون بطريقة عقلانية على أن الإجهاض جريمة، فيما يلحظ آخرون لا يقلون عقلانية على أنه عمل إنساني؟ هل سبق لك أن تساءلت لماذا يخوض كل رئيس للولايات المتحدة، مهما كانت معتقداته السياسية، في جدل مع الصحافة حول نشر معلومات حكومية لا يفضل الكشف عنها؟ كيف يهاجم مراقبون لا تعوزهم الفطنة نشر المجلات الجنسية الفاضحة فيما يدافع آخرون عن نشرها باعتبار أن نشرها المحك الأخير "لميثاق الحقوق".

من بين الأسباب الأكثر أهمية لهذا التباين وجود *خلافات قيمية*، أو قيم متباينة نابعة من أطر مرجعية مختلفة. في الحجج الأخلاقية والمعيارية، تؤثر قيم الفرد في المبررات التي يؤمّنها، وتؤثر من ثم في نتيجته. الحال أن المبررات لا تدعم النتيجة منطقيا إلا حال إضافة *الافتراضات القيمية* إلى الاستدلال. الحجة الموجزة التالية توضح دور الافتراضات القيمية في الحجة المعيارية.

> ينبغي علينا ألا نجيز تناول المخدرات من أجل الترفيه.
> المخدرات غير القانونية تسبب الكثير من العنف الذي يحدث في الشوارع، كما تسبب جرائم أخرى.

مبرر (المخدرات غير القانونية تسبب عنف الشوارع وجرائم أخرى) +

افتراض قيمي (الأمن العام أهم من حرية الاختيار) ⟸

نتيجة (ينبغي عدم تشريع تناول المخدرات من أجل الترفيه).

الافتراضات القيمية افتراضات غاية في الأهمية في مثل هذه الحجج لأنها توجه الاستدلال من خلف الكواليس. قد يعي الشخص الذي يحاول الاتصال بك هذه الافتراضات وقد لا يعيها. يتوجب أن تألف تحديد الافتراضات القيمية التي تؤسس عليها المبررات.

الافتراض القيمي معتقد مسلم به يتعلق باستحسان نسبي لقيم متنافسة بعينها. حين يتخذ المؤلف موقفا من قضية خلافية اجتماعية، فإنه يؤثر عادة قيمة على أخرى ـ أي أن لديه *أولويات أو تفضيلات*. سائر هذا الفصل مكرس لتعميق وعيك بدور الخلافات والأولويات القيمية في تحديد الآراء أو النتائج. سوف يعينك هذا الوعي على موضعة وتقييم هذا النوع المهم من الافتراضات.

اكتشاف القيم

قبل أن يتسنى اكتشاف دور القيم في تشكيل النتائج، يتعين فهم ماهية القيم. *القيم*، وفق استخدامنا لهذا المصطلح، أفكار يقر البعض أنها جديرة بالاهتمام. سوف تجد أن الأهمية التي يعزوها المرء *للأفكار المجردة* الأكثر تأثيرا في تخيراته ومسلكياته.

عادة ما نرغب في الأشياء والخبرات والأفعال بسبب فكرة نقدرها. مثال لك، قد نختار القيام بسلوكيات تقربنا من الأشخاص المهمين. إننا نعزو قيمة إلى "الأشخاص المهمين" (فكرة عينية) لأننا نعزو قيمة إلى "المنزلة الاجتماعية" (فكرة مجردة). حين نستخدم كلمة *قيمة* في هذا الفصل، فإننا نشير إلى فكرة (مجردة) تمثل ما يعتقد البعض أنه شيء مهم وخيّر.

انتبه: القيم أفكار مضمرة يعتقد الناس أنها جديرة بالاهتمام. إنها تشكل معايير سلوكية تقاس بها نوعية السلوك البشري.

كي تألف القيم، اكتب بعضا مما تعتبره قيمك الخاصة. حاول تجنب كتابة أسماء أشخاص، أشياء عينية، أو أفعال. قد تكون البيتزا ولعبة التنس أشياء مهمة عندك، غير أن الأهمية التي تعزو إلى أفكار مجردة هي التي تؤثر في خياراتك وأفعالك المتعلقة بقضايا خلافية عامة. مثال ذلك، يرتبط استعدادك للدفاع عن عقوبة الإعدام أو الهجوم عليها ارتباطا وثيقا بالأهمية التي تعزوها لقدسية الحياة الإنسانية ـ وهذه فكرة مجردة. قدسية الحياة الإنسانية قيمة تؤثر في آرائك في الحرب، الإجهاض، تعاطي المخدرات، وقتل المرحمة. حين تكتب قائمة بقيمك، ركز على القيم المهمة إلى حد أنها تؤثر في آرائك وسلوكياتك بطرق متعددة.

هل واجهت صعوبة في تشكيل القائمة؟ نقترح عليك التالي. أولا، تعريف آخر: القيم *معايير سلوكية* نصادق عليها ونتوقع التزام الآخرين بها. حين نتوقع ممن يمثلوننا سياسيا "قول الحق"، فإننا نلفت انتباههم وانتباهنا إلى أن الصدق من بين أكثر قيمنا جدارة بالتبجيل. اسأل نفسك عما تتوقعه من أصدقائك. ما المعايير السلوكية التي ترغب في التزام أبنائك بها؟ سوف تعينك الإجابة عن مثل هذه الأسئلة على تعميق فهمك للقيم.

دعنا الآن نساعدك على تحديد القيم بعرض قائمة لبعض القيم السائدة. قد تكون كل قيمة في هذه القائمة ضمن قيمك. بعد أن تعاين قائمتنا، توقف لبرهة واختر القيم الأكثر أهمية عندك. سوف تكون القيم التي تختار القيم الأكثر تأثيرا في تشكيل آرائك وسلوكياتك.

القيم السائدة

المغامرة	المساواة في الفرص	الوطنية
الطموح	الامتياز	السلام
الاستقلالية	المرونة	العقلانية

المسؤولية الجماعية	المساواة في الظروف	النظام
الراحة	حرية التعبير	الأمن
التنافس	الكرم	العفوية
التعاون	التجانس	التسامح
الشجاعة	العدالة	التقاليد
الإبداع	الجدة	التعلم

من القيم إلى الافتراضات القيمية

لتحديد الافتراضات القيمية، يتوجب ألا نقتصر على إعداد قائمة بسيطة من القيم. ثمة آخرون يتشاركون معك في قيمك. مثال ذلك، ألن يقر الجميع أن المرونة والتعاون والصدق أشياء مرغوب فيها؟

عاين ثانية التعريف، وسوف ترى مباشرة أن معظم القيم، بالتعريف، متضمنة في قائمة كل شخص. ولأن هناك اتفاقا على العديد من القيم، فإن القيم وحدها لا تعمق الفهم. ما يجعلك تجيب عن سؤال معياري بطريقة تختلف عن إجابة شخص آخر، هو مدى تشبثك بقيم بعينها.

يستبان كوننا نتمسك بقيم بعينها وفق مستويات مختلفة من استجاباتنا للقضايا الخلافية حال تصادم القيم أو تعارضها. في حين أن اكتشاف أن معظم الناس يعزون أهمية للتنافس والتعاون لا يفيدنا كثيرا، فإننا نحصل على فهم أعمق لاختياراتهم المعيارية حين نعرف من يؤثر التنافس على التعاون حال تعارض هاتين القيمتين.

غالبا ما يكون تفضيل كاتب لقيم بعينها مضمرا، رغم أن هذا التفضيل القيمي يؤثر تأثيرا بالغا في نتيجته وفي كيفية دفاعه عنها. تقوم الإقرارات الضمنية المتعلقة بالتفضيلات القيمية بدور *الافتراضات القيمية*. البعض يسمي هذه الافتراضات *بالأحكام القيمية*. إدراك الدعم النسبي للقيم المتعارضة أو

لمجموعات القيم يؤمّن لك فهما أفضل لما تقرأ وأساسا لتقييمك النهائي للحجج المعيارية.

حين يتخذ المؤلف موقفا من مسألة معيارية، فإنه يقلل عادة من أهمية قيمة سائدة ويتشبث بأخرى. مثال ذلك، حين يدافع المرء عن فرض شروط بعينها على الراغبين في الإنجاب، فإنه يعتبر المسؤولية الجماعية أهم من المسؤولية الفردية. وفق ذلك، حين تبحث عن الافتراضات، ابحث عما يشير إلى *أولويات* قيمية. اسأل نفسك عن القيم التي يتمسك بها الموقف المعني والقيم التي يقلل من شأن أهميتها.

انتبه: الافتراض القيمي تفضيل ضمني لقيمة على أخرى في سياق بعينه. التفضيلات القيمية، وفق استخدامنا، لا تختلف عن الأولويات القيمية.

حين تعرف تفضيلات شخص ما في حجة بعينها، لا تتوقع تمسكه ضرورة بها في نقاشه لمسألة خلافية أخرى. قد ترتهن أولويات المرء القيمية بالمسألة التي يناقشها. أيضا يؤثر السياق والقضايا الواقعية المرتبطة بالمسألة الخلافية في مدى تمسكنا بأي تفضيل قيمي. إننا نتمسك بتفضيلاتنا القيمية *إلى حد بعينه*. مثال ذلك، من يؤثر الحرية على رفاهة المجتمع في معظم المواقف (مثال حرية ارتداء ملابس مرسوم عليها العلم) قد يعدل من تفضيله القيمي حين يجد أن ضررا كبيرا يلحق برفاهة المجتمع (كما في قضية حق المرء في إلقاء خطبة عنصرية).

بكلمات أخر، الافتراضات القيمية سياقية إلى حد كبير؛ إنها تطبق على موقف بعينه، لكننا قد نقر تفضيلا قيميا مختلفا تماما حال تغير تفاصيل المسألة المعيارية. يقوم التفكير الناقد بدور أساسي في التفكر فيما إذا كنا نرغب في عزو أولوية لقيم بعينها في الحالة المعنية.

الخلافات القيمية النمطية

إذا كنت تدرك الخلافات النمطية، فسوف تكون أقدر على ملاحظة

الافتراضات التي يصادر عليها الكاتب حين يخلص إلى نتيجة بعينها. لقد أتينا على ذكر قائمة من الخلافات القيمية السائدة التي تنشأ في مسائل أخلاقية، وضربنا أمثلة على المسائل الخلافية التي يرجح أن تتضح فيها الخلافات القيمية. نتوقع أن تستخدم تلك القائمة نقطة بدء في محاولة تحديد الافتراضات القيمية المهمة.

حين تحدد الخلافات القيمية، سوف تكتشف غالبا أن كثيرا منها تبدو مهمة في تشكيل نتائج مسائل خلافية بعينها. حين تنشأ مسألة خلافية، حاول العثور على عدة خلافات قيمية، كي تراجع نفسك. بعض المسائل الخلافية تقتصر على خلاف قيمي واحد؛ غير أن هناك مسائل خلافية تتضمن العديد من الخلافات القيمية.

خلافات قيمية نمطية وعينة على المسائل الخلافية

1. الولاء- الصدق	1. هل ينبغي على المرء إخبار والديه بأن شقيقته تتعاطى المخدرات؟
2. التنافس – التعاون	2. هل تدعم نظام الدرجات؟
3. حرية الصحافة – الأمن القومي	3. هل من الحكمة عقد مؤتمر صحفي رئاسي كل أسبوع؟
4. المساواة – الفردانية	4. هل نظام أنصبة التوظيف العنصرية منصف؟
5. النظام – حرية التعبير	5. هل يتوجب سجن أصحاب الأفكار العنصرية؟
6. الأمن – الإثارة	6. هل يتوجب على المرء اختيار وظيفة خطرة؟
7. الكرم – النجاح المادي	7. هل ينبغي منح مساعدات مالية للمتسولين؟

8. العقلانية – العفوية	8. هل يتعين عليك معاينة الفرص قبل الرهان؟
9. التقاليد – الجدة	9. هل يتوجب أن يكون الطلاق ميسرا؟

راجع 7 في هذه القائمة. قد يؤثر خلاف قيمي مغاير لـ الكرم – النجاح المادي في قرار منح مساعدات مالية لمتسولين. مثال ذلك، قد تؤثر الخلافات القيمية التالية في استعداد المرء لمنح مثل تلك المساعدات:

1. المسؤولية الفردية – المسؤولية الجماعية
2. التنافس – التعاون
3. الكفاءة – الاستقرار الاجتماعي

بتحديد أكبر عدد ممكن من الافتراضات القيمية، تتعاظم فرص عدم إغفال أية أبعاد مهمة من الحجة. على ذلك، قد تظل عاجزا عن معرفة الافتراضات القيمية الأكثر تأثيرا في استدلال المؤلف.

خلفية المؤلف مفتاحا للافتراضات القيمية

اقترحنا أنه من المفيد أن نبدأ في العثور على الافتراضات القيمية بمراجعة خلفية المؤلف. تقصّ قدر الإمكان تفضيلاته القيمية. هل هو موظف تنفيذي في إحدى الشركات، زعيم نقابي، موظف رسمي في الحزب الجمهوري، طبيب، مستأجر لإحدى الشقق؟ ما المصالح التي ينزع إلى الدفاع عنها؟ لا تثريب على السعي وراء تحقيق المصالح الشخصية، لكنها تسهم عادة في تحديد الافتراضات القيمية التي يبدي المرء استعدادا للتسامح معها. مثال ذلك، من غير المرجح أن يعزو رئيس شركة سيارات كبرى قيمة كبيرة إلى الكفاءة حين يؤدي تفضيله الكفاءة على الاستقرار إلى فقده وظيفته. وفق ذلك، تستطيع بوصفك مفكرا ناقدا أن تسرع في اكتشاف تفضيلات المؤلف القيمية بالتفكير في الافتراصات المحتمل أن يصادر عليها.

ولكن انتبه إلى ما يلي. كون الكاتب عضوا في جماعة ما، لا يستلزم ضرورة تمسكه بافتراضاتها القيمية. نخطئ حين نفترض أن كل فرد ينتمي إلى جماعة يفكر بالطريقة نفسها. نعلم جميعا أن رجال الأعمال، والفلاحين، وعمال المطافي، يختلفون فيما بينهم حين يناقشون مسائل خلافية. تقضي خلفية الكاتب مفتاحا لافتراضاته القيمية مجرد مفتاح، وقد يسهم في تضليلك، شأن كل المفاتيح، حين يستخدم دون إبداء الكثير من الحرص.

العواقب مفتاحا للافتراضات القيمية

في الحجج المعيارية، يفضي كل موقف من المسألة الخلافية إلى عواقب مختلفة. لكل عاقبة محتملة أرجحية بعينها، ولكل قدر بعينه من الاستحسان. مدى استحسان العاقبة إنما يرتهن بتفضيلات الكاتب أو القارئ القيمية الشخصية. استحسان النتيجة في مثل هذه الحالات يحدده احتمال العواقب الممكنة والأهمية التي تعزى إليها. وفق هذا، من ضمن أهم سبل تحديد الافتراضات القيمية التي يصادر عليها المرء فحص المبررات التي يطرح لدعم نتيجته، ثم تحديد الأوليات القيمية التي تفضي إلى تلك المبررات حال الحكم بأفضليتها على مبررات كان بالمقدور طرحها في الجانب الآخر من المسألة. دعونا نفحص مثالا عينيا.

ينبغي عدم تشييد تجهيزات نووية لأنها تلوث البيئة.

المبرر المطروح هنا عاقبة محتملة محددة لتشييد تجهيزات نووية. يستبان أن الكاتب يعتبر التلوث البيئي شيئا بغيضا. لماذا يعزو مثل هذه الأهمية لهذه العاقبة؟ ما القيم الأكثر عمومية التي يسهم حظر تلك التجهيزات في تحقيقها؟ إننا نقتصر هنا على التخمين، ولكن ربما يعزو المؤلف قيمة أكبر للصحة أو الحفاظ على البيئة. قد يؤكد شخص آخر في هذه الحجة عاقبة أخرى، مثال التأثير على توفير الطاقة للمستهلكين. لماذا؟ ربما لأنه يعزو قيمة كبيرة للكفاءة؟ لذا، فإن ذلك المبرر لا يدعم النتيجة إلا حال المصادرة على افتراض قيمي مفاده أن الحفاظ على البيئة أهم من الكفاءة.

لاحظ أن حجم العواقب قد يؤثر كثيرا على التفضيلات القيمية. قد لا يـؤثر المرء الحفاظ على البيئة على الكفاءة إلا حين تلحق الكفاءة ضررا "جسيما" بالبيئة. قد يؤثر المرء قيمة الحرية الاقتصادية على الأمن الاقتصادي ما ظلت البطالة تحت معدل بعينه. يمكن للناس الخلاص إلى نتائج مختلفة، رغـم تمـسكهم بافتراضـات قيمية متماثلة، لأنهم يختلفون بخصوص أرجحية العواقب أو حجمها.

إذن، من ضمن سبل تحديد الافتراضات القيمية المهمة طرح الـسؤال "لمـاذا يستحسن المؤلف العواقب التي تعرضها المبررات؟".

تذكر: حين تحدد *الافتراضات القيمية*، حاول دوما صياغة *أولويات قيميـة*. في حالة المسائل الخلافية، صياغة الافتراضات القيمية بهذه الطريقة سوف تذكرك باستمرار بما *يتخلى* عنه الكاتب وما يكسبه. حاول مقاومة إغواء إنهاء تحليلك قبل الأوان عبر تحديد قيم المؤلف. تحديد هذه القيم مجرد خطوة على درب العثور على الافتراضات القيمية، لكنها لا تسهم بذاتها كثيرا في فهم الحجة. القيم، بطبيعتهـا، متفق عليها.

المزيد من مفاتيح الافتراضات القيمية

ثمة أسلوب مفيد آخر في إثارة الخلافات القيميـة يتعـين في *عكـس الأدوار*. اسأل: "ما الذي يهتم به من يتخذ موقفا مخالفـا لموقـف المؤلـف؟" حـين يجـادل شخص بوجوب الإحجام عن استخدام القردة في الأبحاث التجريبية، ينبغـي أن تسأل نفسك "لو رغبت في الدفاع عن استخدام القـردة، مـا الـذي سـوف أركـز عليه؟" تذكر، حين يتخذ المرء موقفا من مسألة خلافية، سوف يشي *بأولوية قيمية بعينها ـ تفضيل قيمة عـلى أخـرى*. درايتـك بـذلك التفـضيل تعـين عـلى قـرارك بالموافقة أو الاختلاف.

وأخيرا، تستطيع دوما تقصي ما إذا كان الخلاف ناجما عن خلاف قيمـي بـين حق *الفرد* في السلوك على نحو بعينه ورفاهة الجماعة المتأثرة بهذا الـسلوك. يـركن كثير من الحجج ضمنيا إلى موقف متخذ من هذا الخلاف القيمي المـستديم، مثـل

خلافات قيمية سائدة أخرى. نستطيع تذكر العديد من الحالات التي يتطلب فيها تقدير أهمية تينك القيمتين وآثارهما. مثال ذلك، حين نتقصى مناقب اختبار المخدرات الإجباري في أماكن العمل، غالبا ما نشرع في تشكيل حججنا بالتفكير في حق العمال في الخصوصية *بالإضافة* إلى الضرر الذي قد يلحق المجتمع بسبب أحكام خاطئة ناجمة عن تعاطي المخدرات. هل حق المرء في الخصوصية أجدر بالحماية من رفاهة المجتمع في هذه الحالة؟ ما المسائل الأخرى التي تشتمل على هذا الخلاف القيمي؟ ماذا عن طلب "محلقي الرؤوس" الاحتفال في المناطق الإثنية؟

مفاتيح تحديد الافتراضات القيمية

1. تقص خلفية المؤلف.
2. اسأل "لماذا تبدو عواقب موقف المؤلف مهمة عنده؟".
3. ابحث عن مسائل خلافية اجتماعية مشابهة كي تعثر على افتراضات قيمية مماثلة.
4. استخدم أسلوب عكس الأدوار. تبن موقفا مخالفا لموقف المؤلف وحدد القيم المهمة لهذا الموقف المخالف.
5. ابحث عن خلافات قيمية سائدة، مثل المسؤولية الفردية في مقابل المسؤولية الاجتماعية.

تجنب صعوبة نمطية إبان تحديد الافتراضات القيمية

ثمة صعوبة سائدة، تواجه من يشرع في البحث عن الافتراضات القيمية، يمكن تجنبها. دعونا نوضح هذه الصعوبة باستخدام الحجة المعيارية الموجزة التالية.

المدن التي شيدت في الصحراء، مثال فينكس ولاس فيجس، تعمل جاهدة على جذب السياح، حرصا منها على ما ينشأ عن ذلك من وظائف. غير أن رفاهة السكان الحاليين الاقتصادية تتضرر كثيرا من جعل تلك المدن أكثر جذبا لأعمال جديدة.

لجذب المهن، غالبا ما يكون سعر المياه في المدن الصحراوية أرخص منه في مناطق البلاد التي تتوفر فيها المياه. لذا فإنك تشاهد الكثير من المناطق الخضراء الجميلة في تلك المواقع الصحراوية. إنضاب موارد المياه المحدودة أصلا ومن ثم حرمان الأجيال القادمة من موارد مياه مناسبة خلل يتوجب إصلاحه.

هبك قرأت هذه الحجة ثم استنتجت أن صاحبها يعزو أهمية للمياه والمستقبل. على مستوى ما، حددت ما يعتبره المؤلف مهما، فهو يشير إلى رغبته في حصول الأجيال القادمة على موارد مياه مناسبة. غير أن هذه الاستجابة أكثر عينية من أن تفضي إلى تفكير معمق في هذه المسألة المستقبلية. كي تسير في اتجاه فهم أفضل للمسألة، انظر ثانية في تعريف القيم، الذي يقترح الحاجة إلى وضع الأجيال القادمة والماء في إطار أكثر تجريدا. ما إن تستشعر هذه الحاجة، حتى تجد أن الإجابة تقر: يعزو المؤلف قيمة للحفاظ على البيئة والتعاطف مع الأجيال. ملاحظة هذا خطوة في الاتجاه الصحيح. الحفاظ على البيئة والتعاطف مع الأجيال يقومان بدور مهم في هذه الحجة. هاتان القيمتان مهمتان لعدد من المسائل المتعلقة بتلوث الهواء والأنواع المنقرضة. غير أننا لم نصل بعد إلى مستوى الافتراضات القيمية الأكثر إيحاء.

لأن القيم متنازعة، فإنا نغفل الكثير حين نقتصر على الاهتمام بقيم المؤلف. ترتيبها النسبي مقارنة بقيم أخرى، الذي يؤثر في هذه الحجة، هو ما يعين على تحديد النتيجة. كون المؤلف يؤثر الحفاظ على البيئة على التطور الاقتصادي أو

يفضل التعاطف مع الأجيال على الحرية الشخصية هو الدافع الأساسي لشجب تخفيض أسعار المياه في المناطق الصحراوية.

لذا حاول جهدك العثور على الافتراضات القيمية، ولا تتوقف عند المستويات الأقل إيحاء.

اكتشاف المرء افتراضاته القيمية

دعونا نتقص مثالا يعين على اكتشاف الافتراضات القيمية.

> يحاول الكونجرس إصدار قانون يقلل من مستوى الاستغلال الإعلاني الراهن في برامج التلفزة الخاصة بالأطفال. يدعو المقترح إلى فرض قيود على عدد ونوع الإعلانات المسموح بها أثناء عرض برامج الأطفال. واجه المقترح معارضة كبيرة ممن يرون أن الآباء لا المشرعين هم الذين يتوجب عليهم مراقبة مشاهدة التليفزيون. عندهم، الآباء وحدهم الذين يتوجب عليهم تحمل مسؤولية ما يشاهده أبناؤهم.
>
> غير أن أنصار هذا المقترح يشيرون إلى أن برامج الأطفال أصبحت مجرد إعلانات تستغرق ثلاثين دقيقة. إنهم يصرون على أن القيود الحكومية ضرورية لحماية الأطفال من استغلال الإعلانات الفج. إنهم يطالبون أن تحترم برامج الأطفال حاجات الصغار وعوزهم النسبي للنضج، عوضا عن استغلال هذه الحاجات وهذا العوز في تحقيق الأرباح.

بنية الموقفين كالتالي:

النتيجة: *لا يتوجب على الحكومة فرض قيود على برامج التلفزة الخاصة بالأطفال.*

المبرر: *الآباء هم الذين يتوجب عليهم مراقبة مشاهدة التليفزيون.*

النتيجة: *يتوجب على الحكومة ألا تنظم برامج التلفزة الخاصة بالأطفال.*

المبرر: *الأطفال عرضة على نحو خاص لاستغلال الراغبين في تحقيق الأرباح من برامج التلفزة.*

لاحظ أن المعارضة تستهجن فرض قيود على مشاهدة برامج الأطفال لأنه يعني التدخل في مسؤولية الآباء. إنها تعتقد وجوب ترك الأمر للفرد كي يقرر ما هو مرغوب فيه وما مرغوب عنه. هكذا تعتبر تنظيم الحكومة تدخلا في مسؤولية الأفراد على مراقبة ما يحدث في بيوتهم.

افتراض قيمي: *في هذا السياق، المسؤولية الفردية أهم من المسؤولية الجماعية.*

من منحى آخر، يصر أشياع المقترح على أن مساعدة الحكومة ضرورية من أجل صالح الأطفال العام. إنهم يرون أن التقليل من استغلال الأطفال يبرر إلى حد تقليص المسؤولية الفردية. عندهم الفعل الجماعي الذي تقوم به الحكومة أكثر فعالية في الحد من الاستغلال الذي قد ينتج عن جهود فردية.

افتراض قيمي: *في هذا السياق، المسؤولية الجماعية أهم من المسؤولية الفردية.*

الخلاف القيمي الأساسي إذن خلاف بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية. يصادر نصير المقترح على الافتراض القيمي القائل إن المسؤولية الجماعية التي تتخذ شكل تدخل حكومي أهم من المسؤولية الفردية غير الخاضعة للمراجعة. هذا لا يعني أنه لا يقيم وزنا للمسؤولية الفردية، فقد يعتقد بأن القيمتين غاية في الأهمية. غير أن المسؤولية الجماعية تحظى بالأولوية في هذه القضية. وعلى وجه مماثل، لا يدافع خصوم المقترح عن استغلال الأطفال. إنهم يرون في هذه القضية أن الحفاظ على المسؤولية الفردية أهم من الفعل الجماعي.

تذكر أن الاستدلال في المسائل المعيارية لا يكتمل إلا حال وجود مبررات وافتراضات قيمية.

مبررات + افتراضات قيمية ⟸ نتيجة

دعونا نكمل معا مثالا آخر:

يتوجب على الطلبة الالتزام بقيود تفرض على مظهرهم، تشمل زيا موحدا، ضوابط خاصة بالأحذية، وطول الشعر. في مثل هذا المناخ التربوي، يتسنى للمدرسين التعليم ويتسنى للطلبة التعلم. لن يهدر وقت وجهد ثمينان على المشاكل التأديبية الناشئة عن غياب قيود صارمة تفرض على المظهر.

نحدد بداية بنية الحجة.

النتيجة: *يتوجب على الطلبة الالتزام بقيود تفرض على مظهرهم.*

المبرر: *سوف تقل المشاكل التأديبية حال الانصياع لمثل هذه القيود.*

ما الافتراضات القيمية الناتجة عن دعم القيود المقترحة؟ راجع الجدول السابق. هل يؤثر أي من الخلافات القيمية الواردة في استجابة المرء لفرض تلك القيود واستخدام ذلك الاستدلال؟ حاول توضيح كيف أن تفضيل الامتياز التربوي على تعبير الفرد عن نفسه يؤثر في استجابتك لهذه المسألة الخلافية.

تسهم القيود التي تفرض على المظهر في تكثيف العملية التأديبية +

الامتياز التربوي يحظى بأولوية على التعبير الفردي عن الذات ⟸

يتوجب فرض قيود على المظهر.

توظيف هذا السؤال النقدي

حين تعثر على افتراض قيمي، ما الذي يتوجب عليك أن تفعل به؟ أولا، تذكر الغاية من كل سؤال نقدي - توجيهك شطر تقييم الاستدلال. لأنك تعرف

أن لدى الأشخاص الذين يفكرون بطريقة وجيهة افتراضات قيمية مختلفة، لك أن تتساءل عن علة التشبث بأي افتراض قيمي. هكذا ترغب، بوصفك مفكرا ناقدا، في الإشارة إلى حاجة كل من يعرض حجة إلى تأمين تفسير لوجوب قبول الافتراض القيمي المعني المتضمن في الحجة.

القيم والنسبانية

لا نرغب في إعطاء الانطباع في هذا الفصل بأن التفضيلات القيمية تشبه الجيلاتي؛ إنني حين أختار نكهة العنبية، لا أساس لديك في إقناعي أن نكهة ليمون الشيفون خيار أفضل. الجيلاتي مسألة تفضيل شخصي ـ وهذا كل ما هنالك.

غير أن التفضيلات القيمية تتطلب تفكرا استدلاليا. يمكن لمثل هذا التفكر، كأي تفكر آخر، أن يكون مستنيرا، ومعمقا، وحريصا. لكنه قد يكون أيضا أخرق ومنهمكا في شؤونه الذاتية. وفق ذلك، تتطلب التفضيلات القيمية تسويغا بمقدور المفكر الناقد اعتباره. يعرض الموقع المرتبط بهذا الكتاب (http://www.prenhall.com/browne) بعض السبل الكلاسيكية المستخدمة في دعم الافتراضات القيمية. اعتبر تلك البدائل واستفسر من الذين يصادرون على أحكام قيمية على أسس تفضيلاتهم.

تلخيص

الافتراضات أفكار مضمرة، مسلم بها في الاستدلال. ضمن سياق المسائل الخلافية الاجتماعية، تكمن هذه الافتراضات في إيثار قيمة على أخرى في سياق بعينه. خلفية المؤلف، الاستجابة لعواقب الفعل الممكنة وفق افتراض قيمي محدد، المسائل الخلافية المشابهة، وعكس الأدوار كلها مفاتيح تعين على العثور على افتراضات المرء القيمية في أية مسألة خلافية.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *ما المسائل الخلافية القيمية وما الافتراضات؟*

حدد المسائل الخلافية القيمية التي قد تفضي إلى الاختلاف مع وجهات النظر التالية، ثم حدد الأولويات القيمية المفترضة من قبل الكاتب.

النص 1

بودي أن أرى النساء يخضن المعارك. حين تقوم الحرب، كلنا يرغب في أن يقتصر الدفاع عن الوطن على من هم أهل له. أخشى أن النساء لن يكن قادرات على التعامل مع الضغوطات العاطفية التي نواجهها أثناء القتال. مكمن قوتهن بشرا إنما تتعين في الرعاية والتغذية. دعوهن إذن يقمن بما هن أهل للقيام به.

كي أبين أنني لست متحيزا ضد النساء، بودي أن أشير إلى أن الرجال يصبحون جد ضعفاء حين يقاتلون في حضور النساء. سوف يتشتت انتباههم بسبب الرغبة في حماية رفاقهم من الإناث. الرجال ضعفاء في هذا الخصوص. الخلاصة، حاجة الرجال والنساء وحاجة البلاد بوجه عام إنما تناهض السماح للنساء بالاشتراك في المعارك.

النص 2

نسبة إلى معظم الناس، الجامعة مضيعة للوقت والجهد. لا يحتاج المرء إلى الجامعة كي يتعلم. إذا ذهبت إلى الجامعة كي تتحسن فرصك في كسب المال، فقد قضي عليك. أكثر من نصف الذين يبلغ دخلهم أكثر من 35 ألف دولار لم يحصلوا على شهادات جامعية. ما تتعلمه من الجامعة نادرا ما يكون مفيدا في العمل. معظمكم سوف يكونون أفضل حالا لو أنهم وفروا جزءا من دخلهم أثناء وجود أصدقائهم السذج في الجامعة.

النص 3

البرازيل إحدى الدول القلائل التي تمتلك غابات مطيرة غنية. غير أنها دولة فقيرة تعتمد على تدمير الغابات المطيرة كي تؤمّن معظم دخلها.

يستخدم سكان البرازيل الغابات المطيرة في صنع منتوجات تلبي رغبة الدول الصناعية في العيش المريح والمنتوجات "الطبيعية".

يتوجب على الدول الصناعية رفع التعريفة المفروضة على منتوجات الغابات المطيرة المستوردة ليس فقط من البرازيل بل من كل البلدان التي تسهم في تدمير هذا النوع من الغابات. يحتاج العالم بأسره إلى الوعي بالاضمحلال المتسارع الذي يعاني منه النظام البيئي، والتعريفة ناقوس الخطر يدق لتلك البلدان الاستوائية. سوف تجعل التعريفة إنتاج وبيع منتوجات الغابات المطيرة أغلى ثمنا وترغّب رجال الأعمال تدريجيا عن الاستثمار في تلك النظم البيئية.

عينات من الأجوبة:

النص 1

النتيجة: *يتوجب عدم السماح للنساء بالاشتراك في المعارك.*

المبررات: 1. *يعوزهن التماسك العاطفي اللازم.*

2. *مكمن قوتهن إنما يتعين في مواضع أخرى، التغذية والرعاية.*

3. *الرجال ضعفاء إلى حد أنهم سوف يكونون عاجزين عن القتال في حضور النساء، إذ أنهم سوف يستشعرون الحاجة لحماية الجنديات.*

من بين الخلافات القيمية المرتبطة بهذه الحجة الخلاف بين التقاليد والمساواة في الفرص. تقليديا لم تكن النساء يشاركن في المعارك في بلادنا. على ذلك، نعرف أن بعض النساء يرغبن في أن تتاح لهن هذه الفرصة. لقد حصل عليها الرجال، ولذا فإن المتقدمات من النساء يحتججن بشكل نقدره متسائلات: "وماذا عنا؟". يعرض المؤلف الحجج التقليدية ضد استخدام النساء في المعارك: إنهن غير قادرات على القيام بمثل هذه المهمة؛ إنهن يقدمن خدمات جليلة في البيوت،

ويشتتن انتباه الجنود الذكور. ثمة إيثار قيمي للتقاليد على المساواة في الفرص يربط بين المبررات والنتيجة.

كما هو الحال مع معظم الخلافات القيمية، ثمة أكثر من خلاف قيمي متضمن في هذا المأزق. مثال ذلك، أنه يتطلب التفكير في حقوق الأفراد في مقابل رفاهة المجتمع، والنزاع بين الطموح والراحة.

النص 2

النتيجة: يتوجب على معظم الناس عدم الدراسة في الجامعة.

المبررات: 1. *كثير ممن يحصلون على دخول عالية لم يدرسوا في الجامعة.*

2. *لا تقوم الجامعة عادة بتدريس مهارات تتعلق بالعمل.*

ثمة افتراض قيمي هنا مفاده أن الإنجازات المادية أهم من التعلم. لاحظ أن العواقب التي يؤكدها الكاتب إنما تتعين في تأثير الجامعة على الدخل في المستقبل. بيد أنه يتغاضى عن المقاصد الأخرى التي تبرر الدراسة في الجامعة. إذا كنت تعتبر التعلم أهم من جمع الأموال، فقد تنكر الاستدلال المقترح في هذا النص.

تلخيص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المسائل الخلافية القيمية وما الافتراضات؟

عادة ما يؤمّن المؤلف مبررات صريحة لخلاصه إلى نتيجة بعينها، غير أنه يصادر أيضا على افتراضات تفضي به إلى نتيجة محددة. بتحديد المسائل الخلافية القيمية، تعرف ما إذا كانت تفضيلات المؤلف القيمية تتسق مع تفضيلاتك القيمية. وفق ذلك، لديك وسيلة في تحديد ما إذا كنت سوف تقبل نتيجة المؤلف أو ترفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الافتراضات القيمة.

2. أشياع المعارضة الضميرية خونة لهذه البلاد ويتوجب إما اعتقالهم أو تسفيرهم إلى مكان يقبلهم. حين يتعرض الوطن لخطر هيمنة خارجية، لا يكون الوقت مناسبا للجبن أو التأمل. إن حرية الموطن تتعرض للخطر في زمن الحرب، ويتوجب على كل مواطن أن يسهم في الدفاع عن الحرية. أشياع المعارضة الضميرية يعرضون الجميع للخطر ويتوجب عدم السماح لهم بالقيام بذلك دون عقاب.

3. في كل عام، تذبح مئات الآلاف من الحيوانات في الولايات المتحدة إرضاء لشهوة الأمريكيين. قبل قتلها ـ عادة باستخدام صعقات كهربية أو بقطع رؤوسها ـ تعيش تلك الحيوانات في ظروف مؤسية. الأبقار تحفظ في أماكن تكاد تعوق حركتها؛ فيما يؤسر الدجاج في أقفاص لا تسمح بالحركة؛ أما العجول فتمنع تماما من الحركة كي يكون لحمها غضا. من أجل ماذا؟ كي يستمتع الناس بمنتجات لحوم لذيذة الطعم. إن هذه الأساليب ليست ضرورية للحصول على لحوم صالحة للأكل. بمقدور الناس تربية الحيوانات بالطريقة التقليدية ـ في المزارع الغنية بالمراعي والحيوانات الطليقة ـ دون أن يؤثر ذلك في إنتاج ما يكفي أمريكا من اللحوم. يتوجب تغيير أساليب تربية الحيوانات من القبيل سالف الذكر إذا كنا نعتبر أنفسنا كائنات أخلاقية. طالما ظللنا نسمح بمثل هذه المعاناة المروعة التي لا مدعاة لها، فإننا لا نستطيع اعتبار أنفسنا كائنات أخلاقية.

4. في عام 1992، توفي 282.5 من كل مائة ألف أمريكي بسب أمراض القلب، كما توفي 204.3 من كل مائة ألف أمريكي بسبب السرطان. تشكل هذه المعدلات أربعة أضعاف معدلات أقرب أسباب الموت (أمراض الدماغ)، وكلاهما تسببه تخيرات تتعلق بأساليب الحياة. ما نوع أساليب الحياة التي

يعيش الأمريكيون وفقها وتسبب هذه النتائج؟ 27.5٪ يعانون من زيادة مفرطة في الوزن (20٪ أو يزيد أوزانهم فوق المتوسط)، 59٪ لا يمارسون الرياضة بانتظام، و 25.5٪ يدخنون. نسبة من يبدون الحرص في اختيار طعامهم لا تزيد عن 40٪ في حالة الإناث، و32٪ في حالة الذكور. لقد ثبت أن الأمريكيين عاجزون عن اتخاذ قرارات مسؤولة فيما يتعلق بالصحة. يتضح أن ثمة حاجة إلى فرض قيود حكومية صارمة على الأطعمة والمخدرات لتقليل معدلات الأمراض التي يمكن الحول دونها. إذا عجز الناس عن اتخاذ قرارات مسؤولة بأنفسهم، فإنه بمقدور الحكومة على أقل تقدير أن تمنع الشركات من إنتاج سلع تلحق الضرر بصحة الملايين.

6

الافتراضات الوصفية

يتوجب أن تكون قادرا الآن على تحديد الافتراضات القيمية ـ الوصلات المهمة المضمرة في الحجج المعيارية. حين تجدها، تعرف تماما رؤية الكاتب أو المتحدث في الكيفية التي يرغب أن يكون عليها العالم ـ المثل التي يعتبرها أكثر أهمية. ولكن هل تعرف ما يسلم به بخصوص وضع العالم الراهن. إن استدلاله في صورته المرئية يعول على هذه الأفكار، قدر ما يعول على القيم. مثل هذه الأفكار المضمرة افتراضات وصفية، وهي أساسا وصلات مضمرة في الحجة.

ترتهن الحجة الموجزة التالية بافتراضات وصفية. هل تستطيع العثور عليها؟

> يتعلم المرء الكثير من الأستاذ ستار. كل الطلبة يثنون على محاضراته.

سؤال نقدي: ما الافتراضات الوصفية؟

الافتراضات الوصفية معتقدات عن وضع العالم الراهن؛ الافتراضات المعيارية أو القيمية معتقدات عما يتوجب أن يكون عليه وضع العالم.

توضيح الافتراضات الوصفية

دعونا نتقص حجة الأستاذ ستار لتوضيح ما نعنيه بالافتراضات الوصفية.

بنية الحجة كالتالي:

النتيجة: *سوف تتعلم الكثير من الأستاذ ستار.*

المبرر: *يثني جميع الطلبة على محاضراته.*

الاستدلال غير مكتمل. نعرف أن المبرر *بذاته* عاجز عن دعم النتيجة. يتعين أن يرتبط المبرر بالنتيجة عبر أفكار أخرى (غالبا ما تكون مضمرة). هذه أفكار تسوغ، حال صحتها، اعتبار المبرر دعما للنتيجة. وفق هذا، فإن مسألة ما إذا كان المبرر يدعم النتيجة، أو يتعلق بها، إنما ترتهن بها إذا كنا نستطيع تحديد أفكار مضمرة تقيم علاقة منطقية بين المبرر والنتيجة. حين تكون مثل هذه الأفكار المضمرة وصفية، نسميها *افتراضات وصفية*. نعرض الآن افتراضين وصفيين تصادر عليهما تلك الحجة.

الافتراض 1: *ثناء الطلبة مؤشر جيد على قدر ما يتعلمون من المحاضرة.*

أولا، لاحظ أنه إذا كان المبرر صحيحا، وكان الافتراض صحيحا أيضا، فإن المبرر يؤمّن دعما للنتيجة. ولكن إذا كان الطلبة يثنون على المحاضرات بسبب قيمتها الترفيهية لا بسبب إسهامها في تعليمهم، فإن المبرر لا يشكل دعما للنتيجة. لاحظ أيضا أن هذا الافتراض إقرار عن وضع الأمور الراهن، وليس إقرارا عن الوضع الذي ينبغي أن تكون عليه. لذا فإنه *افتراض رابط وصفي*.

الافتراض 2: *تعلم الكثير يعني تشرب مواد من المحاضرة*.

(أسلوب الإسفنجة في التفكير، أليس كذلك؟). إذا كنا نعرّف "تعلم الكثير" على أنه تنمية مهارات تفكيرية، قد يكون قدر ثناء الطلبة على المحاضرات أمرا تعوزه الأهمية. لذا فإن المبرر لا يدعم النتيجة إلا حال افتراض تعريف بعينه للتعلم.

نستطيع اعتبار هذا النوع من الافتراضات الوصفية *افتراضات تعريفية* لأننا سلمنا بمعنى حد قد يحمل أكثر من معنى. لذا فإن من ضمن أنواع الافتراضات الوصفية المهمة التي يتوجب البحث عنها *الافتراضات التعريفية* ـ التسليم بمعنى حد يحتمل عدة معاني. دعونا نر كيف تبدو هذه العملية في صورة الحجة:

(يثني جميع الطلبة على محاضرات ستار) (مبرر) +

(ثناء الطلبة مؤشر جيد على قدر ما يتم تعلمه من المحاضرة) (افتراض وصفي)+

(تعلم الكثير يعني تشرب مواد من المحاضرة) (افتراض وصفي) ⇐

(سوف تتعلم الكثير من الأستاذ ستار)

ما إن حددت الافتراضات الرابطة، حتى تكون أجبت عن السؤال "على أي أساس يمكن اشتقاق النتيجة من المبرر؟". الخطوة المتوقعة التالية أن تسأل "هل ثمة أسس لقبول الافتراضات؟". إذا لم تكن هناك أية أسس، فإن المبرر يفشل في دعم النتيجة. إذا كانت هناك أسس، فإن المبرر يشكل دعما منطقيا للنتيجة.

تستطيع أن تقر أن الاستدلال صحيح حين تحدد افتراضات رابطة ولديك مبرر وجيه لقبول تلك الافتراضات.

انتبه: الافتراض الوصفي معتقد مضمر عن وضع العالم الراهن أو المستقبلي.

لاحظ أن هناك افتراضات مضمرة أخرى في تلك الحجة. مثال ذلك، ينبغي ألا تقتنع بهذا الاستدلال ما لم تعتقد أن مناقب المحاضرات عند الآخرين هي المناقب التي تبحث عنها. أيتوجب عليك أن تتناول الطعام في مطعم لمجرد أن كثيرا من أصدقائك يتناولون الطعام فيه؟ ألا ترغب في معرفة لماذا يثني الطلبة على المحاضرات؟ *تذكر*: عادة ما يتضمن الاستدلال العديد من الافتراضات.

لاحظ أيضا أنك بتحديد الافتراضات تحدد أفكارا *يحتاج* المؤلف أن يسلم بها كي يشكل المبرر دعما للنتيجة. ولأن المؤلفين لا يعون في أغلب الأحيان افتراضاتهم، قد تكون معتقداتهم الواعية مختلفة تماما عن الأفكار التي اعتبرتها افتراضات مضمرة. حين تجعل النسيج الرابط الخفي في الحجة واضحا للعيان، فإنك تسهم أيضا في فهمهم حجتهم وقد ترشدهم إلى معتقدات وقرارات أفضل.

استخدام السؤال النقدي

بعد العثور على الافتراضات الوصفية، يتوجب التفكير فيها إذا كان هناك أساس متين لقبولها. لك أن تتوقع أن يؤمّن صاحب الحجة تسويغا لوجوب قبولك تلك الافتراضات. إذا لم يكن هناك دعم للافتراضات، وكنت ترتاب في صحتها، فإنك تسلك سلوكا مسؤولا حين تنكر الحجة. ليس مفاد إنكارك الاختلاف مع النتيجة، بل إقرار أنك لن تقبل النتيجة المؤسسة فحسب *على ما عرض عليك من مبررات*.

مفاتيح موضعة الافتراضات

الغاية من العثور على الافتراضات إعادة تشكيل الاستدلال عبر ملء

الفجوات. إنك ترغب في تأمين أفكار تجعل استدلال المؤلف "منطقيا". ما إن تحصل على صورة للحجة بأسرها، بأجزائها المرئية وغير المرئية، حتى تكون في وضع أفضل لتحديد مكامن قواها وضعفها.

كيف يتسنى العثور على الوصلات المهمة المفقودة؟ يتطلب الأمر جهدا وخيالا وإبداعا. العثور على الافتراضات الحاسمة مهمة صعبة.

طرحنا عليك نوعين من الافتراضات ـ الافتراضات القيمية والافتراضات الوصفية. في الفصل السابق، عرضنا عليك تلميحات عديدة تعين على العثور الافتراضات القيمية. فيما يلي تلميحات تعين على البحث عن الافتراضات الوصفية.

واصل التفكير في الفجوات التي تفصل النتيجة عن المبررات. لماذا تبحث عن الافتراضات أصلا؟ لأنك ترغب في أن تكون قادرا على الحكم على مدى دعم المبررات للنتائج. لذا ابحث عما كان يتوجب على المؤلف التسليم به كي يربط المبررات بالنتيجة. اسأل دائما "*كيف تصل من المبررات إلى النتيجة؟*" اسأل "*إذا كان المبرر صحيحا، أي شيء آخر يتوجب أن يكون صحيحا كي تلزم النتيجة؟*" ولكي تجيب عن هذين السؤالين، من المفيد أن تسأل "*على افتراض صحة المبررات، هل يظل بالإمكان أن تكون النتيجة باطلة؟*".

البحث عن فجوات يعين في آن على العثور على الافتراضات القيمية والافتراضات الوصفية.

ابحث عن الأفكار التي تدعم المبررات. أحيانا يعرض المبرر دون دعم صريح؛ على ذلك فإن وجاهة المبرر إنما تتوقف على قابلية الأفكار المسلم بها للقبول. هذه الأفكار افتراضات وصفية. الحجة الموجزة التالية توضح هذا الأمر:

النتيجة: *يجب زيادة ما ينفق على التوعية بمرض الإيدز.*

المبرر: *لو فعلنا ذلك، لحدث انخفاض هائل في عدد المصابين به.*

أية أفكار يتوجب التسليم بها كي نقبل المبرر؟ يجب أن نفترض:

1. سوف تنفق الأموال بطريقة فعالة: أي أن حملات التوعية تصل إلى المهددين بالإيدز الذين لم يسبق لها أن وصلتهم.
2. سوف يتسنى لأولئك الاستجابة لرسالة التوعية.

هكذا فإن (1) و(2) فكرتان تم التسليم بهما كي يكون المبرر مقبولا وقادرا من ثم على دعم النتيجة.

تقمص شخصية المؤلف. عادة ما يسهل تحديد افتراضات المرء بتخيل أنه قد طلب منك الدفاع عن نتيجته. إذا استطعت، تقمص شخصية من يرغب في الوصول إلى تلك النتيجة. اكتشف الخلفية. بصرف النظر عما إذا كان الشخص الذي تقوم بتقييمه مديرا تنفيذيا في شركة، زعيما عماليا، مروجا للعبة الملاكمة، أو قاضيا، حاول القيام بدوره وتخيل ما يفكر فيه إبان انتقاله إلى النتيجة. حين يجادل مدير تنفيذي في شركة للفحم بأن تجريد المناجم لا يلحق ضررا جسيما بجمال البيئة الطبيعية، يرجح أنه بدأ بمعتقد مفاده أن تجريد المناجم مفيد للبلاد. هكذا قد يفترض تعريفا للجمال يتسق مع حجته، في حين أن تعاريف أخرى للجمال قد تفضي إلى إدانة تجريد المناجم.

حدد المعارضة. إذا عجزت عن تحديد الافتراضات عبر تبني موقف المؤلف، حاول عكس الأدوار. اسأل نفسك لماذا قد يختلف أي شخص مع النتيجة. أي نوع من الاستدلال يحث المرء على الاختلاف مع النتيجة التي تقوم بتقييمها؟ إذا استطعت القيام بدور شخص يعترض على النتيجة، سوف يسهل عليك معرفة الافتراضات المتضمنة في بنية الحجة الصريحة.

لاحظ إمكان وجود سبل أخرى للحصول على المناقب التي تشير إليها المبررات. في أحيان كثيرة، تدعم النتيجة بمبررات تشير إلى مختلف مناقب تطبيق هذه النتيجة. حين توجد سبل كثيرة للحصول على المناقب نفسها، يكون من

ضمن الافتراضات المهمة التي تربط المبررات بالنتيجة افتراض مفاده أن أفضل سبل الحصول على المناقب المعنية هي السبيل التي يدافع عنها المؤلف.

دعونا نطبق هذا الأسلوب على مثال مختصر. يجادل كثير من المستشارين بأنه يتوجب السماح لطلبة الجامعة في السنة الأولى اختيار مقرراتهم دون فرض أية قيود من قبل الآباء أو القائمين على الجامعة، لأن ذلك يسهم في تنمية شعورهم بالمسؤولية الشخصية. ولكن أليست هناك سبل متعددة لتنمية المسؤولية الشخصية؟ ألا يمكن أن يلحق بعضها أضرارا أقل خطرا من تلك التي قد تنجم حال قيام طلبة السنة الأولى بإصدار أحكام خاطئة على المقرر التي تعزز مصالحهم على المدى الطويل؟ مثال ذلك، اشتراط أن يسهم الطالب في تدبير نفقات تعليمه ينمي شعوره بالمسؤولية الشخصية. وفق ذلك، من يجادل بوجوب السماح لطلبة السنة الأولى باختيار مقرراتهم لأن هذه الفرصة تشجع على تحمل مثل هذه المسؤولية إنما يفترض أنه ليست هناك بدائل أقل خطرا لتحقيق هدف مماثل.

تجنب اعتبار المبررات التي لم يكتمل تسويغها افتراضات. حين تحاول لأول مرة تحديد الافتراضات، قد تجد نفسك تحدد مبررا، معتقدا أنه لم يتم تسويغه تسويغا جيدا، وتقول "هذا مجرد افتراض. أنت لا تعرف أن هذا صحيح". وقد تقتصر على إعادة صياغة المبرر في شكل افتراض. ربما تكون نجحت في تبيان حاجة المؤلف إلى دعم حجة مبرره. رغم أن هذا التوضيح تبصر مهم من جانبك، فإنك لم تعثر على افتراض بالمعنى الذي عرّفنا وفقه الافتراضات في هذين الفصلين. إنك إنما تقتصر على وصف مبرر على أنه "افتراض".

التالي مثال على اعتبار مبرر لم يتم تسويغه تسويغا جيدا افتراضا.

> المرتبات العالية تقوض الرياضة الاحترافية، ومن أسباب ذلك الرئيسة أن المرتبات العالية تفقد أنصار الفريق ولاءهم له.

الآن، تحدّ الحجة عبر تحديد الافتراض التالي:

يفترض الكاتب أن المرتبات العالية تفقد أنصار الفريق ولاءهم له.

ألا ترى أنك حين تقوم بذلك، فإن كل ما تقوم به إقرار أن مبرر المؤلف هو افتراضه ـ في حين أن ما يرجح أنك تحاول القيام به توكيد أن مبرر المؤلف تعوزه الشواهد الكافية.

استخدام المفاتيح

دعونا نعاين حجة عن أثر موسيقا الروك كي نرى ما إذا كنا نستطيع تحديد الافتراضات الوصفية والمعيارية.

> يؤثر افتتان طلبة الجامعة بموسيقا الروك تأثيرا سلبيا على دراستهم. لم تعد الكتب تنعم بالاهتمام الذي أصبح يوجه الآن إلى نجم الروك هذا الأسبوع. أنّى لنا أن نتوقع من الطالب أن يناضل مع نص طويل لأفلاطون بعد أن اعتاد إثارة الحركة والنبض التي تحدثها موسيقا الروك. إن مثل هذه الموسيقا توفر نشوة مبتسرة ـ مثل المخدر ـ نشوة فورية تعجز الكتب وقاعات الدرس عن توفيرها. فضلا عن ذلك، بشيوع مسجلات الأقراص المضغوطة المحمولة، يستطيع الطالب أن يستمع للموسيقا طوال الوقت. بمثل هذا الوقت المخصص للموسيقا (ساعة الانتظار في طابور الحفلة الموسيقية، الحفلة نفسها، ناهيك عن الوقت المخصص أصلا للاستماع)، محتم أن تواجه الدراسة الكثير من الصعوبات.
>
> لا تنافس موسيقا الروك فحسب على جذب انتباه طلبتنا، بل إنهم أضحوا يلجأون تدريجيا إلى نجوم موسيقا الروك لحل مشاكل شخصية وعالمية. نجم الروك الذي يمتلك وعيا

اجتماعيا هو البطل الجديد في أعين الشباب. غير أن الحلول التي يطرحها إنما تسرف في التبسيط. لا سبيل لحل مشاكل اليوم المعقدة بأغنية تستغرق خمس دقائق. على ذلك، فإن الطلبة يتشربون كلمات موسيقيين أثرياء بحماس يفوق حماسهم لدروسهم أو أساتذتهم.

النتيجة: *تؤثر موسيقا الروك تأثيرا سلبيا على التعليم الجامعي.*

المبررات:

1. *تتطلب الكتب جهدا تأمليا مضنيا، ولذا فإنها عاجزة عن منافسة الرضا الفوري الذي توفره موسيقا الروك.*
2. *الانتباه الموجه لموسيقا الروك يشتت الانتباه الموجه للدراسة.*
3. *يتشرب الطلبة رسائل الموسيقا الممعنة في التبسيط عوضا عن تشرب الأفكار المركبة التي يتحدث عنها أساتذتهم.*

أولا، لاحظ أن المؤلف لا يؤمّن أي "إثبات" لمبرراته. قد يغويك هذا بقول "هذه المبررات مجرد افتراضات؛ إنه لا يعرف ذلك". خطأ. إنها ليست *افتراضات. تذكر:* تحديد مبررات لم تسوغ تماما، رغم أنه مهم، يختلف عن تحديد الافتراضات ـ التي هي أفكار مسلم بها جزءا أساسيا من الحجة.

هل هناك افتراضات وصفية في هذه الحجة؟ تذكر أن تسأل باستمرار عن الفجوة الفاصلة بين النتيجة والمبررات. أولا، اسأل نفسك "هل هناك أي أساس للاعتقاد في صدق المبررات؟"؛ ثم اسأل "على افتراض صحة المبررات، هل يظل بالإمكان أن تكون النتيجة باطلة؟" حاول القيام بدور شخص مفتون بموسيقا الروك.

تفحص المبررين الأولين. كلاهما باطل، لو كانت إثارة العواطف وإثارة الذهن يعملان على نحو متجانس عوضا عن النحو المتنافر. ربما يقلل الاستماع إلى

موسيقا الروك من حدة التوتر، ما يسهم في جعل الطلبة أقل عرضة لتشتت الانتباه حين يبذلون جهدا ذهنيا. لذا فإن أحد الافتراضات الوصفية يقر أن *الاستماع إلى موسيقا الروك لا يسبب الاسترخاء*. أيضا، كي يكون المبرر الثاني صحيحا، محتم أن يكون *الوقت المخصص لموسيقا الروك وقتا كان يمكن تخصيصه لبذل جهد دراسي* (افتراض وصفي). ولكن، قد يكون الوقت المخصص لموسيقا الروك "وقتا إضافيا" عند الطلبة.

دعونا نفترض الآن صحة ذينك المبررين. ربما لا تحدث موسيقا الروك أثرا سلبيا على التعلم إذا كان دافع الطلبة للتعلم قويا إلى حد يجعلهم يبذلون جهدا في التغلب على أية آثار سلبية محتملة. لذا ثمة افتراض يربط المبررين الأولين مفاده *أن الطلبة ليس لديهم دافع للتعلم من القوة بحيث يمكنهم من التغلب على العوائق الناجمة عن جذب موسيقا الروك*. أيضا، ثمة افتراض رابط آخر مفاده *أن الذين يستمعون في أغلب الأحيان لموسيقا الروك هم الطلبة أنفسهم الذي كان لهم أن يكونوا مهتمين بالأنشطة الدراسية*.

اعتبر المبرر الثالث. إنه لا يصح إلا إذا كان الطلبة يستوعبون رسائل موسيقا الروك بالطريقة التي يستوعبون وفقها الكتب ورسائل المحاضرات. ولكن قد تستوعب رسائل الموسيقا على أنها "ترفيه"، على نحو ما تستوعب تجربة ركوب قطار الملاهي. لذا ثمة افتراض مهم مؤداه *أن الطلبة يخفقون في التمييز بين الرسائل التي توفرها موسيقا الروك والرسائل التي تؤمّنها قاعات الدرس*.

لاحظ أخيرا أن هذه المقالة تشتمل على بعد معياري. وفق ذلك، ثمة افتراضات قيمية تؤسس الاستدلال. لماذا يهتم المؤلف بحماية النشء؟ جرّب عكس الأدوار. ما موضع اهتمام من يختلف مع النتيجة؟ ما فوائد استماع الشباب لموسيقا الروك؟ يتوجب أن تعينك إجابتك عن هذين السؤالين على معرفة تفضيلات النص القيمية. مثال ذلك، هل ترى كيف يمكن لتفضيل تنمية الذهن على إشباع الحواس أن يربط بين المبررات والنتيجة؟

تنكب تحليل الافتراضات التي تعوزها الأهمية

يسلم المؤلفون بأمور بدهية يفترض ألا نشغل بها أنفسنا. يجب أن تكرس جهدك لتقييم الافتراضات المهمة، ولذا فإننا نود تحذيرك من بعض الافتراضات التي تعوزها الأهمية.

تستطيع قارئا أو مستمعا أن تفترض أن المؤلف يعتقد في صحة مبرراته. قد ترغب في اعتبار أن المبررات ليست كافية، ولكن الإشارة إلى افتراض المؤلف صدق مبرراته إشارة تعوزها الأهمية.

ثمة نوع آخر من الافتراضات التي تعوزها الأهمية تتعلق ببنية الاستدلال. قد تغوى بإقرار أن الكاتب يعتقد أن هناك علاقة منطقية تربط بين المبررات والنتيجة. هذا صحيح ـ لكنه ليس مهما. المهم تبيان كيف أنها مرتبطة منطقيا. أيضا لا أهمية للإشارة إلى أن الحجة تفترض أننا نستطيع فهم المنطق، وفهم المصطلحات، أو أن لدينا خلفية معرفية مناسبة.

تجنب هدر الوقت في تحليل افتراضات تافهة. بحثك عن الافتراضات يكون أفيد ما يكون حين تحدد وصلات مضمرة خلافية.

الافتراضات وأسلوبك في الكتابة والتحدث

حين تحاول التواصل مع المتلقي، كتابة أو تحدثا، سوف تصادر على الكثير من الافتراضات. التواصل يتطلب مثل هذه الافتراضات. ولكن لزام عليك، احتراما لمتلقيك، أن تقر تلك الافتراضات، وأن تحاول أنّى ما استطعت تسويغها.

منطق هذا النهج هو مساعدة المتلقي على قبول حجتك. إنك بذلك تكون مفتوحا تجاههم ومنصفا لهم. سوف يقدر المتلقي رغبتك في عرض حججك في أكمل صورها.

تلخيص

الافتراضات أفكار تمكننا - حال صحتها - من زعم أن المبررات تؤمّن دعما للنتيجة.

مفاتيح اكتشاف الافتراضات الوصفية

1. فكر دائما في الفجوات الفاصلة بين النتيجة والمبررات.
2. ابحث عن أفكار تدعم المبررات.
3. حدد الموقف المعارض.
4. لاحظ إمكان وجود سبل أخرى للحصول على المناقب المشار إليها في المبررات.
5. تعلم المزيد عن المسألة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *ما الافتراضات الوصفية؟*

حدد في كل نص من النصوص الثلاثة الآتية الافتراضات المهمة التي يصادر عليها المؤلف. تذكر أن تقوم أولا بتحديد النتيجة والمبررات.

النص 1

هل يتوجب السماح لمراسلي الصحافة والتلفزة رفض الإفصاح عن مصادرهم السرية؟ نعم. علاقة المراسل بمصدره شبيهة في النهاية بعلاقة القسيس بالتائب، والمحامي بموكله، والطبيب بمريضه - وكلها تحوز وفق القانون درجة من الخصوصية. أيضا، إذا لم تتم حماية هذه العلاقة، فسوف تنضب موارد المعلومات التي يحتاجها الناس.

النص 2

لن تنجح برامج التفكير الناقد. يتوجب تدريس مهارات التفكير الناقد كما تدرس المهارات البدنية، عبر التدريب، لا بالجمع بين المحاضرات والكتب الدراسية التي تزعم أنها تدرس مهارات تفكيرية خاصة. إننا لا ندرّس الأطباء والمحامين كيف يفكرون بطريقة نقدية عبر مقرر في التفكير الناقد، بل نشترط عليهم استخدام مهارات التفكير الناقد في كل المقررات التي يدرسونها. إننا نعلمهم بالتدريب، بتوفير الكثير من التمارين التطبيقية والتغذية الإرجاعية الإصلاحية.

التفكير ليس مهارة يمكن تدريسها بمعزل عن أفعال ذهنية أخرى وبمعزل عن محتوى تخصصاتنا. عوضا عن تطوير برامج تفكير ناقد، يجب علينا التأكد من أن الطلبة يدرَّبون على التفكير الناقد في كل المقررات. لو أصبح كل المدرسين مدربين واشترطوا على طلبتهم التفكير فيما يدرسون، بدلا من جعلهم يستظهرون المعلومات، لما كانت هناك حاجة لتدريس مقررات التفكير الناقد.

النص 3

يجب ألا تدرّس القيم في المدارس العامة. المدرسون ليسوا علماء لاهوت أكفاء، ومثل هذا التدريس إنما ينتج اتحادا غير قانوني بين الكنيسة والدولة.

ثانيا، تدريس القيم يثير حساسية مفرطة لدى طلبة الأقليات الدينية. يتوجب أن تكون المدرسة مكانا لتقصي أفكار جديدة وتقصي الحساسية إزاء تلك الأفكار.

ومهما يكن من أمر، المدرسون ليسوا ضرورة أفضل معلمي القيم. إنهم مجرد فتيان درسوا في الجامعة ولم يحصلوا على أي تعليم أخلاقي خاص.

عينات من الأجوبة:

سوف نقتصر على عرض الافتراضات التي تصادر عليها تلك الحجج والتي نعتقد أنها الأكثر أهمية.

النص 1

النتيجة: *يتوجب السماح لمراسلي الصحافة والتلفزة رفض الإفصاح عن مصادرهم السرية.*

المبررات:

1. *علاقة المراسل بمصدره خاصة.*
2. *إذا لم تتم حماية هذه العلاقة، فسوف تنضب موارد المعلومات التي يحتاجها الناس.*

يقارن المؤلف علاقة المراسل بالمصدر بعلاقات أخرى. سوف يكون المبرر الأول أقل وجاهة إذا كانت مبررات خصوصية المحامي وموكله أو الطبيب ومريضه مختلفة تماما عنها في حالة علاقة المراسل بمصدره. مثال ذلك، يعلن المراسلون عادة، خلافا لأصحاب مهن أخرى، عن معلوماتهم للناس، ما يسبب عواقب اجتماعية عديدة نسبة لأفراد المجتمع.

ثمة افتراض أساسي يتعلق بوجاهة المبرر الثاني مفاده أن معظم المعلومات التي يركن إليها المراسلون مأتاها مصادر تخشى كثيرا من خطر الكشف عن أسمائها إلى حد يجعلها ترفض الإدلاء بمعلوماتها. ولكن ربما يظل كثيرون يبدون استعدادهم لتوفير المعلومات لأنهم قادرون على مواجهة هذا الخطر.

النص 2

النتيجة: *لن تنجح برامج التفكير الناقد. بدلا من ذلك، يتوجب التأكد من أن الطلبة يتدربون على التفكير الناقد في كل مقرراتهم.*

المبرر: تدرس مثل هذه المهارات بطريقة أفضل عبر تدريب الطلبة ضمن تخصصاتهم.

(مبررات داعمة)

أ) يدّرس المحامون والأطباء عبر التدريب، وليس عبر مقررات التفكير الناقد.

ب) لا سبيل لتدريس التفكير الناقد بمعزل عن محتوى التخصص.

جرّب عكس الأدوار، تبني دور شخص يدرس مقررا في التفكر الناقد، ربما باستخدام *Asking the Right Questions*.

كي يكون المبرر صحيحا، يتوجب أن تشتمل معظم المقررات التخصصية، أو يرجح أن تشتمل، على تدريب على مهارات التفكير الناقد بوصف ذلك جزءا مهما من تلك المقررات. قد يكون هذا نوعا من التفكير التمنوي. تقترح الكثير من الدراسات أن معظم المقررات لا تدرب على مهارات التفكير الناقد، بل تعتمد على إلقاء المحاضرات وإعادة إنتاج المعارف، وأن معظم المدرسين يقاومون تغيير هذا الأسلوب.

هل يدعم المبرر الداعم الأول المبرر الأساسي؟ إنه يدعمه إذا كانت الإجراءات المستخدمة في تدريب المحامين والأطباء على التفكير ناجحة وكان تدريبهم نمطيا في تدريس كل التخصصات. ربما تفيد هذه المهن كثيرا من مقرر في التفكير الناقد يركز على مهارات أساسية.

ثمة رابط مهم بين المبرر والنتيجة مفاده افتراض أن التدريب اللاحق لا يفيد من تأسيس جيد في المهارات الأساسية. ربما يكون التدريب أكثر نجاحا بعد دراسة المتعلم المهارات الأساسية في وقت سابق.

تلخيص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

ما الافتراضات الوصفية؟

حين تحدد الافتراضات الوصفية، فإنك تحدد الرابط بين مبرر المؤلف ونتيجته. إذا كان هذا الرابط يعاني من خلل، فإن المبرر لا يدعم النتيجة ضرورة. وفق ذلك، يمكّن تحديد الافتراضات الوصفية من تحديد ما إذا كانت مبررات المؤلف تفضي إلى نتيجته. سوف ترغب في قبول النتيجة فقط حين تكون هناك مبررات وجيهة تفضي إلى النتيجة. لذا، حين تكتشف أن الرابط بين المبررات والنتيجة يعاني من خلل ما، سوف تتردد في قبول نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الافتراضات الوصفية

2. لن يجد الرئيس الذي تعوزه الكفاءة صعوبة في إعادة انتخابه. إنه ديمقراطي. من بين 140 مليون أمريكي يحق لهم التصويت، 38٪ ديمقراطيون، 32٪ جمهوريون. الباقي مستقلون. ينقسم المستقلون بالتساوي تقريبا بين المرشحين الديمقراطيين والمرشحين الجمهوريين، وفق ما تبين الاستطلاعات. لن يفقد الرئيس وظيفته إلا إذا تصرف تصرفا أحمق.

3. إن هذه البلاد [أمريكا] في طريقها إلى مواجهة أزمة أخلاقية حادة. إذا فحصنا إحصائيات الزواج، فإن النهاية واضحة. في الفترة بين عامي 1921 و1923، كانت هناك 112 حالة زواج و10 حالات طلاق لكل 100 امرأة. منذ ذلك الوقت، انخفض ذلك المعدل تدريجيا، حتى وصل في الفترة بين عامي 1992 و1994 إلى 65 حالة زواج...

5. تعاني كثير من ربات البيوت من ضغوط نفسية حادة. مطالب الأبناء، والزوج والمجتمع، تسبب ضغوطات على المرأة الحديثة. غالبا ما يتطلب ذلك بعض العون الطبي. ما الخطأ في تناول حبة فعالة تمنح الطاقة وتريح البال نسبيا؟ لا ريب أن تناول النساء الإمفاتيمين أفضل من التعرض إلى انهيارات عصبية. ليست هناك شواهد قوية تقترح أن الإمفاتيمين، حال تناول جرعات متوسطة، يسبب الإدمان، كما أنه ليس باهظ الثمن. هكذا يبدو أن المرأة الحديثة لن تفقد الكثير بل ستجني الكثير باستخدامه.



7

أغاليـط الاستدلال

حتى الآن، كنت تتعامل مع المادة الأصلية التي يعرضها الكاتب أو المتحدث وتحاول تجميعها في بنية عامة تحوز معنى. لقد تعلمت سبلا في التخلص من الأجزاء غير المهمة وفي اكتشاف "الغراء اللامرئي" الذي يمسك بالأجزاء المرئية - أي الافتراضات. لقد أنجزت كل ذلك عبر طرح أسئلة نقدية. دعونا نراجع بإيجاز هذه الأسئلة:

1. ما المسألة وما النتيجة؟
2. ما المبررات؟
3. أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟
4. ما الخلافات القيمية وما الافتراضات القيمية؟
5. ما الافتراضات الوصفية؟

يتوجب أن يمكنك طرح هذه الأسئلة من فهم واضح لاستدلال المؤلف ويجعلك تستشعر مكامن قوة حجته ومكامن ضعفها. معظم فصول الكتاب التالية تركز على مدى تماسك البنية عقب تجميعها. السؤال الأساسي الآن هو

"ما مدى وجاهة النتيجة في ضوء المبررات المتوفرة؟" أنت الآن مهيأ لجعل *التقييم* موضع اهتمامك. الغاية من القراءة والاستماع النقديين الحكم على وجاهة النتيجة أو جدارتها بالاهتمام.

في حين كانت الإجابة عن الأسئلة الخمس الأولى نقطة بدء ضرورية للعملية التقييمية، ننتقل الآن إلى أسئلة تتطلب إصدار أحكام أكثر مباشرة وصراحة حول وجاهة الاستدلال أو جودته. تتعين مهمتنا الآن في فرز الذهب الخالص من الذهب المزيف. إننا نرغب في عزل أفضل المبررات ـ تلك التي نود التعامل معها بالقدر الأعظم من الجدية.

الخطوة الأولى في هذه المرحلة من التقييم فحص بنية الاستدلال لتحديد ما إذا كان المؤلف صادر على افتراض مشكوك في أمره أو مارس علينا بعض "الحيل"، إما عبر تمرير خطأ منطقي أو استدلال مضلل. لقد ركز الفصل السادس على العثور على الافتراضات ومن ثم التفكر في وجاهتها. أما هذا الفصل فيركز على "الحيل" الاستدلالية التي نسميها كما يسميها الآخرون "الأغاليط".

الحيل التالية حيل شائعة:

1. تأمين استدلال يشترط *افتراضات خاطئة أو غير صحيحة.*
2. *تشتيت الانتباه* عبر جعل المعلومات تبدو متعلقة بالنتيجة رغم أنها ليست كذلك.
3. توفير دعم يفترض صحة النتيجة.

موضعة هذه الحيل يحمينا من التأثر بها أكثر مما يجب. كيف تبدو الأغلوطة في الاستدلال؟ اعتبر الاستدلال التالي.

> **عزيزي المحرر:** لقد صدمت بدعم مقالتك لحجة عضو مجلس الشيوخ سبندال التي تدافع عن رفع الضرائب لتوفير المزيد من المبالغ الحكومية المخصصة لتحسين الطرق العامة. لا غرو أنه يدافع عن هذا الرفع. أي شيء آخر تتوقعه من أحد ليبرالي فرض الضرائب وإنفاقها!

لاحظ أن هذه الرسالة تبدو أول وهلة كأنها تعرض "مبررا" ضد مقترح رفع الضرائب، يستشهد بسمعة عضو مجلس الشيوخ الليبرالي السيئة. غير أن المبرر لا *يتعلق* بالنتيجة. لقد أغفل كاتبها مبررات ذلك العضو ولم يؤمّن أية مبررات محددة ضد رفع الضرائب. عوضا عن ذلك، قام بهجوم شخصي على عضو المجلس. فضلا عن ذلك، استخدامه *النبز بالألقاب* "ليبرالي فرض الضرائب وإنفاقها" إن هو إلا *استدرار لعطف القارئ*، وتشتيت لانتباهه عن المسألة الأساسية. لقد ارتكب الكاتب أغلوطة في الاستدلال ـ الأغلوطة الشخصية، وكما هو الحال في العديد من الأغاليط، النبز بالألقاب استدرار غير مشروع لعواطف القراء.

سوف يدرِّبك هذا الفصل على تحديد الأغاليط.

سؤال نقدي: ما أغاليط الاستدلال؟

انتبه: الأغلوطة "حيلة" استدلالية قد يستخدمها المؤلف إبان محاولته إقناعك بقبول نتيجته.

نهج سؤالي في العثور على أغاليط استدلالية

ثمة أغاليط استدلالية عديدة، يمكن تصنيفها بطرق مختلفة. كثير منها شائع إلى حد أوجب حظوتها بمسميات خاصة. بمقدورك العثور على قوائم طويلة كثيرة للأغاليط في عديد الكتب ومواقع شبكة المعلومات. لحسن الحظ، لا مدعاة لدرايتك بكل الأغاليط الشائعة وبأسمائها كي تتمكن من تحديدها. إذا طرحت الأسئلة المناسبة، فسوف تعثر على أغاليط استدلالية ـ حتى إن لم تتمكن من معرفة أسمائها.

بهذا نكون تبنينا نهج توكيد إستراتيجيات مساءلة الذات، بدلا من تذكر قائمة طويلة تشتمل على كل أنواع الأغاليط. غير أننا نرى أن معرفة أسماء أكثر الأغاليط شيوعا يجعلك أكثر حساسية للأغاليط ويشكل "طريقا لغوية مختصرة" في الإفصاح عن استجابتك لاستدلالات خاطئة إلى آخرين يألفون تلك الأسماء. لذا سوف نشير إلى أسماء الأغاليط إبان تحديد العمليات الاستدلالية المضللة، ونشجعك على تعلم أسماء الأغاليط الشائعة الواردة في نهاية هذا الفصل.

سبق أن حددنا في الجزء السابق إحدى الأغاليط: الحجة الشخصية. يمكنك أن تبدأ قائمتك الخاصة بالأغاليط بهذه الأغلوطة، التي نعرفها على النحو التالي:

الأغلوطة الشخصية: هجوم على الشخص بدلا من التعامل مباشرة مع مبرراته.

تقييم الافتراضات نقطة بدء

إذا تسنى لك موضعة الافتراضات (انظر الفصلين الخامس والسادس)، خصوصا الافتراضات الوصفية، فقد تسنى لك اكتساب مهارة أساسية تعين على

تحديد الافتراضات المشكوك في أمرها واكتشاف الأغاليط. كلما كان الافتراض أكثر عرضة للارتياب، كان أقل أهمية للاستدلال. بعض "المبررات" غير متعلقة بالنتيجة إلى حد يستوجب المصادرة على افتراضات باطلة كي تؤمن رابطا منطقيا. مثل هذا الاستدلال أغلوطة، ويتوجب عليك رفضه فورا.

في الجزء التالي، تمارين على اكتشاف أغاليط أخرى. نقترح أن تتخذ الخطوات التفكيرية التالية في موضعة الأغاليط:

1. حدد النتيجة والمبررات.
2. تذكر النتيجة دائما واعتبر المبررات التي تقدر أنها تتعلق بها؛ قارن بين هذه المبررات ومبررات المؤلف.
3. حدد ما إذا كانت المبررات تقر مناقب أو مثالب محددة و/ أو عينية؛ إذا لم يكن ذلك كذلك، فينبغي أن يشغلك أنه لم يكن كذلك.
4. حدد الافتراضات الضرورية بأن تسأل نفسك "لو كان المبرر صحيحا، ما الذي يتوجب على المرء اعتقاده كي يسهم ذلك المبرر في دعم النتيجة، وهل محتم على المرء أن يعتقد في صدق المبرر؟"
5. اسأل نفسك "هل الافتراضات وجيهة؟" إذا استبين أن ثمة افتراضا خاطئا قد صودر عليه، فقد اكتشفت أغلوطة في الاستدلال ولك أن ترفض هذا الاستدلال.
6. راجع إمكان أن يشتت الانتباه عن المبررات المهمة عبر عبارات تستدر عواطفك.

لتطبيق هذه العملية التي يتوجب عليك القيام بها لتقييم الافتراضات ولتلحظ من ثم الكثير من الأغاليط، سوف نفحص وجاهة الاستدلال الوارد في النص التالي. سوف نبدأ بتشكيل البنية.

المسألة المتضمنة في هذا التشريع ليست حقيقة مسألة ما إذا

كان تعاطي الخمور ضارا أو غير ضار بالصحة، بل ما إذا كان الكونجرس راغبا في جعل "وكالة الإعلام الفيدرالية" تتخذ قرارا عشوائيا بحظر الإعلان عن الخمور في الراديو والتليفزيون. لو سمحنا لهذه الوكالة بذلك فيما يتعلق بالخمور، ما الذي سوف يمنعها من أن تقرر السنة المقبلة أن الحلوى ضارة بالصحة العامة لأنها تسبب البدانة، وتسوس الأسنان، ومشاكل صحية أخرى؟ ماذا عن الحليب والبيض؟ إن بهما كميات كبيرة من الدهن الحيواني ولا ريب أنهما تسببان الكولسترول في الدم، وتسهمان وفق تقدير الكثيرين من الإخصائيين في أمراض القلب. هل نرغب في أن تكون الوكالة قادرة على حظر الإعلانات عن الحليب والبيض والزبدة والجيلاتي في التليفزيون؟

نعلم أيضا أنه لا إجراء تتخذه الحكومة الفيدرالية، مهما كان متطرفا، يمكن أن يؤدي أو سوف يؤدي إلى الإحجام عن تعاطي الخمور كلية. إذا رغب الناس في تعاطي المشروبات الروحية، فسوف يجدون السبيل إلى ذلك.

النتيجة: *يتوجب عدم السماح لوكالة الإعلام الفيدرالية بحظر إعلانات الخمور في الراديو والتليفزيون.*

المبررات: 1. *إذا سمحنا لوكالة الإعلام الفيدرالية بحظر الإعلانات في الراديو والتليفزيون، فسوف تقوم قريبا بحظر الكثير من أنواع الإعلانات الأخرى، لأن كثيرا من المنتجات تشكل مخاطر على الصحة العامة.*

2. *لا إجراء تتخذه الحكومة الفيدرالية يمكن أن يؤدي أو سوف يؤدي إلى الإحجام عن تعاطي الخمور كلية.*

أولا، يجب أن نلحظ أن المبررين يشيران إلى مناقب بعينها تنجم عن الحظر - وهذه بداية جيدة. غير أن وجاهة المبرر الأول تتوقف على افتراض مضمر مفاده أننا إذا سمحنا باتخاذ إجراءات وفق مناقب حالة ما، فسوف يستحيل إيقاف اتخاذ الإجراءات نفسها في حالات مماثلة. هذا في تقديرنا افتراض باطل لأننا نعتقد أن هناك الكثير من البنود في نظامنا القانوني قادرة على إيقاف مثل هذه الإجراءات إذا اتضح أنه لا مسوغ لها. وفق هذا فإننا نحكم بعدم وجاهة هذا المبرر. إن مثل هذا الاستدلال مثال على أغلوطة المنحدر الزلق.

أغلوطة المنحدر الزلق: افتراض أن خطوات مقترحة سوف تسبب سلسلة من الحوادث المستهجنة والخارجة عن نطاق السيطرة، رغم وجود إجراءات تحول دون وقوع مثل هذه السلسلة من الحوادث.

أهمية المبرر الثاني موضع شك لأنه حتى لو كان صحيحا، فإن الافتراض - الهدف الأساسي من حظر الإعلان عن الخمور في الراديو والتليفزيون *الكف كلية عن تعاطي الخمور* - الذي يربط بين المبرر والنتيجة، افتراض باطل. الهدف الأكثر احتمالا هو *التقليل من تعاطي* الخمور. وفق هذا ننكر هذا المبرر. تسمى هذه الأغلوطة بأغلوطة البحث عن حلول كاملة، وهي تتخذ الشكل التالي: الحل س لا يستحق دعمنا ما لم يتسن له الخلاص من المشكلة كلية. إذا حدث أن عثرنا على حل كامل، وجب علينا تبنيه. لكن كون جزء من المشكلة سوف يظل على حاله بعد تطبيق حل ما لا يعني أن هذا الحل تعوزه الحكمة. قد يكون تبني حل بعينه أفضل بكثير من عدم تطبيق أي حل، فقد يقربنا من حل المشكلة نهائيا.

إذا انتظرنا الحصول على حلول نهائية، فسوف نجد أنفسنا في أغلب الأحيان مشلولين، عاجزين عن اتخاذ أي إجراء. التالي مثال آخر على هذه الأغلوطة: لماذا نحاول منع الناس من الوصول إلى مراكز الإجهاض الطبية في الولايات المتحدة؟ حتى لو نجحنا في ذلك، تظل النساء الراغبات في إجهاض أجنتهن قادرات على السفر إلى أوربا لإجهاضها.

أغلوطة الحلول الكاملة: افتراض باطل مفاده أنه يتوجب عدم تبني أي حل يبقي على جزء من المشكلة.

اكتشاف أغاليط استدلالية شائعة أخرى

سوف تقوم الآن بتمرينات على اكتشاف المزيد من الأغاليط الشائعة. حاول إبان قيامك بهذه التمرينات أن تفيد من التلميحات الخاصة بالأغاليط السالف ذكرها. ما إن تطور عادة اكتشاف الأغاليط، حتى يسهل عليك اكتشافها. يعرض كل تمرين استدلالا يتضمن بعض الأغاليط. سوف نوضح لماذا نعتقد أن الاستدلال أغلوطي، ثم نسمي ونعرّف الأغلوطة.

تمرين 1

آن الأوان لجعل الماروانا خيارا للذين يعانون من آلام مبرحة مزمنة. إننا نصادق على المخدرات حين يصل المجتمع إلى إجماع حول قيمتها، وهناك الآن كما يتضح إجماع على مثل هذه المصادقة. يفيد استطلاع أجري مؤخرا أن 73٪ يعتقدون في وجوب السماح باستخدام الماروانا لأسباب طبية. فضلا على ذلك، هناك جمعية في كاليفورنيا لمعالجة ضحايا الإيدز تدعم تدخين الماروانا بديلا طبيا لمرضى الإيدز. لا أحد من خصوم تشريع استخدام الماروانا لأسباب طبية أمضى ساعات طوال مع شخص يصرخ من الألم ويفضل الموت عليه.

أول خطوة لتحليل الأغاليط، عرض مخطط الحجة.

النتيجة: *يتوجب أن يكون تدخين الماروانا بديلا طبيا.*

المبررات: 1. *إننا نصادق على المخدرات حين يصل المجتمع إلى إجماع حول قيمتها الطبية، وهناك استطلاع أجري مؤخرا يبين وجود إجماع على المصادقة على استخدام الماروانا طبيا.*

2. *هناك جميعة في كاليفورنيا تدعم استخدام الماروانا الطبي.*

3. لا أحد من خصوم تشريع استخدام المارجوانا لأسباب طبية أمضى ساعات طوال مع شخص يصرخ من الألم.

أولا، يجب أن نلحظ أنه لا مبرر من هذه المبررات يشير إلى فوائد خاصة يتميز بها استخدام المارجوانا طبيا. لذا يتوجب علينا الحذر منذ البداية. ثانيا، إن نظرة أكثر تفحصا على صياغة المبرر الأول تبين تغيرا في معنى حد أساسي، وهذا تغير يمارس حيلة علينا. معنى كلمة إجماع يتغير بحيث يبدو كما لو أن المؤلف قدم حجة مهمة بينما لم يفعل. عادة ما يعني الإجماع على المصادقة على مخدر ما إجماع البُحاث العلميين على فوائد استخدامه، وهذا يختلف تماما عن الإجماع الناجم عن اتفاق الشعب الأمريكي في استطلاع للآراء. هذا إذن مبرر تعوزه الوجاهة، ويتوجب من ثم رفضه. نسمي هذا الخطأ في الاستدلال أغلوطة الاشتراك. أنى تجد كلمة أساسية في حجة تستخدم أكثر من مرة، تأكد مما إذا كان معناها قد تغير؛ إذا تغير، فكن حذرا من أغلوطة الاشتراك.

أغلوطة الاشتراك: كلمة أساسية تستخدم في حجة بمعنيين أو أكثر بحيث تفقد الحجة وجاهتها حال ملاحظة التغير في المعنى.

ولكن، رغم أن هناك استخداما مضللا لكلمة *إجماع*، ألا تظل نتائج الاستطلاع نفسها قادرة على دعم النتيجة؟ فقط إذا قبلنا الافتراض القائل إنه عندما يكون الحكم رائجا، يتوجب أن يكون وجيها ـ وهذا افتراض باطل. غالبا ما يحدث ألا يقوم الناس بدراسة المشكلة على نحو يكفل لهم إصدار حكم وجيه. احذر من الركون إلى الأحكام السائدة، أو العواطف الرائجة. نسمي هذا الخطأ في الاستدلال أغلوطة اللجوء إلى الشيوع.

أغلوطة الشيوع: محاولة تسويغ زعم بالركون إلى عواطف شائعة بين الناس؛ افتراض أغلوطي مفاده أن كل ما تفضله قطاعات كبيرة من الناس حسن.

افحص الآن مبرر المؤلف الثاني. ما الافتراضات التي صادر عليها؟ لإثبات أن استخدام المارجوانا طبيا أمر مرغوب فيه، يركن *إلى سلطات مشكوك في أمرها*

ـ جمعية *في كاليفورنيا*. لا يكون الموقف وجيها لمجرد أن هناك سلطات تدعمه. الأمر المهم في تحديد أهمية مثل هذا الاستدلال هو الشواهد التي تستخدمها تلك السلطات في إصدار حكمها. ما لم نعرف أن لدى هذه السلطات دراية خاصة بالمسألة، يتوجب اعتبار هذا المبرر أغلوطة. تسمى هذه الأغلوطة بأغلوطة الاحتكام إلى سلطات مشبوهة.

أغلوطة الاحتكام إلى سلطات مشبوهة. دعم نتيجة بالاستشهاد بسلطة ليست لديها خبرة خاصة بالمسألة المعنية.

دعونا الآن نفحص بعض الحجج المتعلقة بمسألة خلافية أخرى. هل يتوجب على الكونجرس المصادقة على برنامج تنمية ممول فيدراليا خاص بالأطفال يوفر مراكز حضانة لهم؟

التمرين 2

أعارض برنامج التنمية الحكومي الخاص بالأطفال. أولا، أنا مهتم بحماية الأطفال في هذه البلاد. إنهم في حاجة إلى الحماية من المخططين الاجتماعيين *والأيديولوجيين الأبرار في أعين أنفسهم* الذين يتدخلون في مسار الحياة ويأخذون الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم كي يجعلوهم *بيادق* في مخطط شامل مصمم لإنتاج سعادة لا حدود لها خلال عقدين من الزمان. يتوجب أن يتنشأ الأطفال مع أمهاتهم، وليس مع طائفة من المتعهدين ومساعدي الممرضات. المسألة هي ما إذا كان يتوجب على الآباء أن يستمروا في امتلاك حق تشكيل شخصيات أطفالهم، في مقابل منح الدولة بكل قواها الأدوات والأساليب الأزمة لتشكيل شخصيات الصغار.

نبدأ بمخطط الحجة.

النتيجة: *أعارض برنامج التنمية الحكومي الخاص بالأطفال.*

المبررات: 1. *الأطفال في حاجة إلى الحماية من المخططين الاجتماعيين والأيديولوجيين الأبرار في أعين أنفسهم الذين يتدخلون في مسار الحياة ويأخذون الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم.*

2. يتوجب أن يمتلك الآباء لا الدولة حق تشكيل شخصيات أطفالهم.

بوصفنا قراء ومستمعين نقادا، يتوجب أن نبحث عن حقائق محددة تتعلق بالبرنامج. هل نجد أية حقائق محددة في المبرر الأول؟ لا. إن المبرر يحشد بعموميات غير محددة مشحونة عاطفيا، طبعنا بعضا منها بخط مائل. عادة ما تثير مثل هذه الحدود عواطف سلبية، يأمل الكاتب أو المتحدث أن يربطها القراء أو المستمعون بالموقف الذي يعاديه. مرة أخرى، ينهمك الكاتب في عملية نبز بالألقاب واستدرار للعواطف. استخدام كلمات سلبية مشحونة بالعواطف إنما يشتت انتباه القراء والمستمعين للحقائق.

مارس الكاتب علينا حيلا متعددة. إنه يقر أن البرنامج "يأخذ الأطفال من أحضان أمهاتهم وأسرهم" وأن الأطفال سوف يكونون "بيادق في مخطط شامل". وبطبيعة الحال، لا أحد يرغب في حدوث ذلك للأطفال. غير أن السؤال المهم ما إذا كان البرنامج المقترح سوف يسبب كل ذلك. في تقديرنا أن هذا غير محتمل.

يمارس الكاتب علينا حيلتين شائعتين، فبعد أن يستدر عطفنا باختياره ألفاظه، يشكل موقفا يقوم بالهجوم عليه رغم أنه ليس موقفا واقعيا، ما يسهّل عليه استدراجنا لنتيجته. لقد صور رؤية الخصم في شكل موقف "يسهل الهجوم عليه". الافتراض الباطل هنا أن الموقف الذي يتعرض للهجوم هو الموقف الذي يتبناه المشرع فعلا. الدرس نسبة إلى المفكر الناقد هو: حين يهاجم شخص جوانب من موقف ما، تأكد دائما من أنه يعرضه بطريقة منصفة. إذا لم يقم بذلك، فقد ارتكب أغلوطة رجل القش.

رجل القش ليس رجلا حقيقيا؛ إنه شخص يسهل ضربه بالقاضية ـ كما هو

حال الموقف الذي يتعرض للهجوم حين يرتكب المرء أغلوطة رجل القش. أفضل سبيل للتأكد من مدى إنصاف عرض الموقف هو التأكد من الحقائق المتعلقة بكل المواقف.

أغلوطة رجل القش: تشويه موقف الخصم على نحو يسهل الهجوم عليه؛ بحيث تهاجم وجهة نظر لا وجود حقيقي لها.

دعونا الآن نتفحّص المبرر الثاني. يقر الكاتب أنه إما لدى الأبوين حق تشكيل شخصية أطفالهم، وإما يتوجب على الدولة الحصول على الأدوات الحاسمة. كي تصدق مثل هذه الجمل، يتوجب افتراض وجود بديلين لا ثالث لهما. غير أن هناك بدائل أخر. لقد اختلق الكاتب *إحراجا زائفا*. أليس بالإمكان أن يوجد برنامج تنمية خاص بالأطفال وأن تظل الأسر تحدث تأثيرا قويا على أطفالها؟ احذر دوما من معاملة المسائل الخلافية على اعتبار وجود بديلين لا ثالث لهما؛ فغالبا ما يكون هناك أكثر من ذلك. حين يمعن المؤلف في تبسيط المسألة عبر الاقتصار على ذكر بديلين، يسمى هذا الخطأ بأغلوطة إما – وإما أو أغلوطة الإحراج الزائف. كي تعثر على أغاليط إما– وإما، انتبه للتعبيرات التالية:

إما... وإما

البديل الوحيد هو

البديلان هما

لأن س لم تنجح، وحدها ص التي سوف تنجح

وجود مثل هذه التعبيرات لا يستلزم ضرورة وجود أغلوطة. أحيانا لا يوجد سوى بديلين. هذه العبارات إنها تلفت انتباهك كي تسأل: "ولكن هل هناك أكثر من بديلين في هذه الحالة؟".

هل تستطيع رؤية أغلوطة الإحراج الزائف في الحوار التالي الذي جرى بعد بضعة أسابيع من الهجوم الإرهابي الذي حدث يوم 11 سبتمبر 2001؟

مواطن: أعتقد أن الهجوم الإرهابي أدى إلى اتخاذ إجراءات وضعت قيودا كثيرة على حقنا في الخصوصية.

سياسي: لماذا تكره أمريكا؟

أغلوطة إما- وإما (الإحراج الزائف): افتراض وجود بديلين لا ثالث لهما حال وجود أكثر من بديلين.

تشتمل الحجة التالية على أغلوطة أخرى تتضمن افتراضا باطلا. حاول تحديد الافتراض.

التمرين 3

أستاذ جونز، ليس من المناسب أن تجري امتحانات مفاجئة لطلبتك. إن ذلك يفرض عليك أعباء إضافية ويصيب الطلبة بالتوتر. يتوجب ألا يحتاج الطلبة إلى امتحانات مفاجئة تحثهم على الاستعداد لكل محاضرة.

تركن النصيحة الموجهة للأستاذ جونز إلى افتراض باطل كي يكون بمقدورها دعم النتيجة. وجوب أن يكون الشيء صحيحا ـ يتوجب ألا يحتاج الطلبة إلى امتحانات مفاجئة تحثهم على الاستعداد لكل محاضرة ـ لا يضمن كونه صحيحا. غالبا ما يكون الواقع أو "ما هو كائن" مغايرا لما "يجب أن يكون".

ثمة مثال شائع آخر على هذا الاستدلال الخاطئ يحدث حال نقاش مقترحات فرض قيود حكومية. مثال ذلك، قد يجادل المرء ضد فرض قيود على الإعلانات أثناء برامج الأطفال بقوله إنه يتوجب على الآباء تغيير المحطة أو قفل التليفزيون إذا كان الإعلان مضللا. ربما يسلك الآباء في عالم مثالي على هذا النحو، غير أن كثيرا منهم أكثر انشغالا من أن يراقبوا برامج الأطفال.

حين يتطلب الاستدلال منا افتراض أن ما نحسب وجوب حدوثه يناظر ما هو *واقع بالفعل أو سوف يقع*، فإنه يرتكب أغلوطة التفكير التمنوي. نأمل أن

يوجه الواجب حدوثه سلوكنا. غير أن ملاحظات كثيرة تقنعنا بأن وجوب ألا تقوم الإعلانات والساسة والمؤلفون بتضليلنا لا يحمينا بذاته من تضليلهم المستمر لنا. العالم من حولنا محاكاة مشوهة للعالم كما يجب أن يكون.

التالي مثال أخير على التفكير التمنوي قد يبدو مألوفا لديك.

يستحيل أن يكون اليوم يوم الخميس؛ فأنا لم أكمل بحثي بعد.

أغلوطة التفكير التمنوي: المصادرة على افتراض باطل مفاده: نتمنى لو كانت س صحيحة؛ إذن س صحيحة فعلا.

ثمة خلط آخر يسبب خطأ في الاستدلال غالبا ما نواجهه إبان البحث عن تفسيرات. يتطلب التفسير تحليلا لعلة وقوع الحدث. التفسير عمل مضن وغالبا ما يختبر حدود معرفتنا. حين يطلب منا تفسيرا، نغوى تكرارا بإخفاء جهلنا عبر تسمية ما حدث. بعد ذلك نفترض أننا بمعرفة الاسم عرفنا السبب.

إننا نقوم بذلك لأن التسمية تجعلنا نتوهم أننا حددنا شيئا لدى الشخص، أو يختص به الشخص، يجعله يسلك وفقه. مثال ذلك، عوضا عن تحديد جملة العوامل الخارجية والداخلية المركبة التي جعلت شخصا ما يعبر عن غضبه، من قبيل ممارسات تعزيزية يقوم بها أبواه، عدم نومه، ضغوطات الحياة، نقول إن لديه "مزاجا سيئًا" أو "إنه شخص عدائي". إن مثل هذه التفسيرات تسرف في التبسيط وتحول دون بحثنا عن فهم أعمق.

التالي أمثلة يتوجب أن تثير انتباهك لهذه الأغلوطة:

1. تستجيب فتاة لإدمان أبيها على شرب الخمر بسؤال أمها، "لماذا يسلك أبي على هذا النحو الغريب؟"، فتجيب أمها "إنه يعاني من أزمات منتصف العمر".

2. يبكي المريض في كل مرة يسأله مرشده عن طفولته. عقب ذهاب المريض، يتساءل متدرب يراقب جلسة الإرشاد، "لماذا يبكي حين تسأله عن سني طفولته؟"، فيجيب المرشد "إنه يعاني من عصاب ذهني".

تخفق هاتان الاستجابتان في تفسير ما حدث. ربما تؤمّن مورثات الأب، ضغوطات العمل، المشاكل الزوجية، أو عادات التدريب أساسا لتفسير الإدمان على الخمر. غير أن "أزمات منتصف العمر" ليست تفسيرا غير مناسب فحسب، بل مضلل. نتوهم أننا عرفنا علة الإدمان، لكننا لم نعرف.

انتبه لهذا الخطأ حين يزعم الناس أنهم اكتشفوا سبب السلوك بينما اقتصروا فحسب على تسميته.

أغلوطة التفسير بالتسمية: المصادرة على افتراض باطل مفاده أن تسمية الواقعة أو السلوك تكفل تفسيره تفسيرا مناسبا.

البحث عن مشتتات الانتباه

إبان البحث عن الأغاليط، سوف تفيد من الاهتمام بشكل خاص من الاستدلال الذي يستخدمه المؤلف والذي يشتت *انتباهك* عن أهم المبررات. مثال ذلك، قد تضللك أغلوطة النبز بالألقاب والأغلوطة الشخصية عبر توجيه انتباهك إلى طبيعة الشخص وتشتيته عن المبررات المشروعة. في هذا الجزء نعرض تمارين توضح أغاليط يرجع اكتشافها حال طرح السؤال: هل احتال علينا المؤلف بتشتيت انتباهنا.

التمرين 4

خطبة سياسية: في الانتخابات القادمة، سوف تتاح لكم فرصة التصويت لامرأة تمثل مستقبل هذه الأمة العظيمة، امرأة ناضلت من أجل الديمقراطية ودافعت عن العلم الأمريكي، امرأة حاسمة في قراراتها، واثقة بالحلم الأمريكي وشجاعة في السعي وراءه. هذه امرأة حريصة تدعم الأطفال والبيئة وتسهم في توجه هذه البلاد شطر السلام والازدهار والحرية. إن الصوت الذي يذهب إلى السيدة جودهارت صوت للحق والرؤية والصالح العام.

تستطيع دون ما حاجة إلى عرض مخطط بنية الاستدلال أن ترى كيف أن الحجة تفشل في تأمين أية معلومات محددة عن ماضي المرشحة، بل تعرض سلسلة من *الألفاظ القيمية* التي ترتبط بعواطف إيجابية مكرسة. نسمي هذه الألفاظ القيمية بـ "التعميات البراقة" لأنها تحوز مثل هذه التداعيات الإيجابية وعامة إلى حد يجعلها تعني للقارئ ما يريد لها أن تعنيه. تقودنا العموميات البراقة إلى قبول أو المصادقة على نتيجة دون تقصي المبررات المهمة، الشواهد، أو أية مناقب أو مثالب محددة. العموميات البراقة شبيهة بالنبز المعكوس، لأن الأخير يروم جعلنا نشكل حكما سلبيا دون تقصي الشواهد. استخدام الألفاظ القيمية خدعة شائعة يستخدمها الساسة لأنها تشتت انتباه القارئ أو المستمع عن مسلكيات أو سياسات محددة، يسهل عليها إثارة الاختلاف.

العموميات البراقة: استخدام كلمات قيمية غامضة لكنها مغرية عاطفيا تجعلنا ننزع إلى المصادقة على شيء دون فحص دقيق لمبرراته.

دعونا نفحص أداة تشتيتية شائعة أخرى.

التمرين 5

لا أفهم كيف يستمر الناس في الجدل بأن السيارات اليابانية أفضل من الأمريكية. يكفيك أن تقارن إنجازات الاقتصاد الياباني بإنجازات الاقتصاد الأمريكي. لقد عانى اليابانيون ثلاثة أعوام من التردي الاقتصادي، فيما حظينا بثلاثة أعوام من الازدهار الاقتصادي.

ما المسألة الحقيقية؟ أيهما أفضل، السيارة اليابانية أم السيارة الأمريكية؟ ولكن، ما لم يكن القارئ حريصا، فسوف يخوض بدلا من ذلك في مسألة إنجازات الاقتصاد الياباني والاقتصاد الأمريكي. إذا حدث ذلك، فقد نجح الكاتب في تشتيت انتباه القارئ شطر مسألة أخرى. حين يشتت الكاتب أو المتحدث انتباهنا عن المسألة، نستطيع القول إنه *صرف الانتباه* عن مسار الحجة. كثير منا يقوم بذلك، كما في المثال التالي:

الأم: لماذا تأخرت ساعة عن العشاء، في حين طلبت منك أن تعودي في الموعد؟

الابنة: أنت دائما تترصدين اللمم (الأخطاء البسيطة).

إذا نجحت الابنة في مسعاها لتشتيت انتباه أمها، فسوف تصبح المسألة ما إذا كانت الأم تترصد أخطاء ابنتها، وليس علة تأخر الابنة.

لن تجد في العادة صعوبة في موضعة أغلوطة صرف الانتباه طالما أبقيت المسألة الحقيقية ماثلة في ذهنك، وكذا شأن الشواهد اللازمة لحسمها.

أغلوطة صرف الانتباه: يعرض موضوعا غير متعلق بموضوع النقاش لتشتيت الانتباه عنه و"لكسب" الجدل بتغيير مسار الانتباه إلى مسألة أخرى. تتم خطوات الأغلوطة على النحو التالي: يناقش الموضوع س؛ يعرض ص على أنه متعلق بـ ص، رغم أنه ليس كذلك؛ يتم التخلي عن س.

إن مثل هذا الضرب من الاستدلال أغلوطي لأن مجرد تغيير موضوع النقاش لا يشكل حجة ضد الزعم المعني.

خفة اليد: المصادرة على المطلوب

الحيلة الأخيرة التي سوف نقوم بتوضيحها حيلة مضللة بوجه خاص. أحيانا يتم توظيف النتيجة في دعم نفسها، بحيث لا يطول التغيير إلا الصياغة، وذلك في محاولة لتضليل السذج. مثال ذلك، من يجادل بأن الانسحاب من الدراسة *أمر غير* مرغوب فيه لأنه سيء، لا يجادل في واقع الأمر بشيء. ذلك أن النتيجة إنما "تثبت" بالنتيجة نفسها (بعد أن أعيدت صياغتها). مثل هذه الحجج *تصادر على المطلوب*، ولا تجيب عن المسألة. دعونا نفحص مثالا أقل وضوحا.

يستبان أن كتب التعليم المبرمج الدراسية أفضل من الكتب الدراسية التقليدية من حيث كفاءة التعلم، لأن للاحتياز على مواد تعرض بطريقة الخطوة- خطوة فوائد جمة.

مرة أخرى، المبرر الذي يدعم النتيجة إنما يعبر عنها بكلمات مختلفة. بالتعريف، التعلم المبرمج إجراء خطوة - خطوة. إن الكاتب يجادل بأن هذا الإجراء جيد لأنه جيد. قد يشير المبرر الوجيه إلى فوائد محددة يتسم بها التعليم المبرمج، من قبيل تأمين قدرة أعظم على الاحتفاظ بالمعلومات التي يتم تعلمها.

أنى *افترضت* النتيجة في الاستدلال، فيما توجب إثباتها، تقع مصادرة على المطلوب. حين تحدد بنية الحجة، افحص المبررات للتأكد من أنها لا تقتصر على إعادة صياغة النتيجة ومن أن النتيجة لا تستخدم في إثبات المبررات. إذا اختلط عليك الأمر، فقد تفيد من المثالين التاليين، حيث يصادر على المطلوب في أحدهما ولا يصادر عليه في الآخر.

(1) السماح للصحافة بالاحتفاظ بسرية مصادرها أمر مفيد كثيرا للبلاد لأنه يشجع الأفراد على الإدلاء بشهادات ضد أصحاب النفوذ.

(2) السماح للصحافة بالاحتفاظ بسرية مصادرها أمر مفيد كثيرا للبلاد لأن تمتع الأفراد بامتياز تأمين معلومات للصحافة دون الإعلان عن أسمائهم يعزز مصالح المجتمع الأكبر.

الفقرة الثانية تصادر على المطلوب عبر تكرار النتيجة. إنها تفشل في تحديد المناقب وتقتصر على تكرار أن سرية المصادر مفيد للمجتمع.

أغلوطة المصادرة على المطلوب: حجة تفترض فيها النتيجة في المبررات.

استخدام السؤال النقدي

حين تعثر على أغلوطة، فقد عثرت على أساس لرفض الحجة. ولكنك ترغب، انسجاما مع روح التفكير الناقد البناء، في مواصلة نقاش المسألة. لسوء الحظ، مؤلف الكتاب أو المقالة ليس ماثلا أمامك كي يكمل النقاش. في حالة ارتكاب الأغلوطة في حجة شفوية، أفضل طريقة لاستمرار المحادثة أن تسأل مرتكب الأغلوطة ما إذا كان لديه مبرر أفضل لدعم النتيجة. مثال ذلك، إذا

ارتكب أغلوطة صرف الانتباه، اسأله إذا كان بمقدوره الرجوع إلى المسألة الأصلية.

تلخيص أخطاء الاستدلال

استخدمنا عدة تمارين في توضيح عدة سبل يمكن أن يخطئ الاستدلال وفقها. لم نأت على ذكر كل السبل، لكننا عرضنا ما يكفي لبداية جيدة. لقد احتفظنا بأغاليط أخرى لفصول لاحقة لأنه يرجح أن تعثر عليها حين تركز على السؤال المحدد في كل فصل. حين تواجه أغلوطة جديدة، تأكد من تضمينها في القائمة.

للعثور على أغاليط الاستدلال، تذكَّر دائما أنواع المبررات التي تعد وجيهة ـ أي الشواهد والمبادئ الأخلاقية المتعلقة بالمسألة. يتوجب رفض الاستدلال حال اكتشاف افتراضات خاطئة، تشتيت الانتباه، أو دعم نتيجة يفترض صدقها. ينبغي مقاربة الاستدلال بحرص حال ركونه إلى مواقف تصادق عليها جماعة أو سلطة ما. يتوجب أن تسأل دوما "هل ثمة مبررات وجيهة لاعتبار مثل هذا الركون شاهدا مقنعا؟" هناك تنبيه مهم آخر: لا ترفض الاستدلال تلقائيا لمجرد أنه يركن إلى سلطة أو موقف تصادق عليها جماعة ما. قيِّم بحرص مثل هذا الاستدلال. مثال ذلك، إذا قرر معظم أطباء البلاد القيام بتمارين بدنية، فإن هذه المعلومة مفيدة في إقرار ما إذا كانت التمارين البدنية مفيدة. بعض السلطات تحوز بالفعل معلومات قيمة. بسبب أهميتها مصدرا للشواهد، سوف نناقش بالتفصيل الركون إلى السلطة في الفصل التالي.

مفاتيح موضعة أغاليط الاستدلال وتقويمها

يتوجب عليك رفض الاستدلال إذا كان المؤلف:

1. يهاجم شخصا أو يهاجم خلفيته، عوضا عن أفكاره.
2. يستخدم استدلال المنحدر الزلق.
3. يشي بالبحث عن حلول كاملة.
4. يرتكب أغلوطة الاشتراك.
5. يركن بطريقة غير مناسبة إلى آراء سائدة.
6. يركن إلى سلطات مشبوهة.
7. يعرض إحراجا زائفا.
8. يفكر بطريقة ثمنوية.
9. يفسر بالتسمية.
10. يشتت الانتباه عن المسألة.
11. يصرف الانتباه عبر عموميات براقة.
12. يصادر على المطلوب.

تعميق الدراية بالأغاليط

ننصح بمراجعة كتب دراسية ومواقع على شبكة المعلومات لتعميق وعيك وفهمك للأغاليط الاستدلالية. كتاب دامر (Damer) *Attacking Faulty Reasoning* مصدر مفيد في جعلك تكون أكثر ألفة بالأغاليط الاستدلالية. عشرات من قوائم الأغاليط توجد في الشبكة، تختلف كثيرا من حيث قيمتها. المواقع القليلة التالية توفر أوصافا وأمثلة على العديد من الأغاليط.

The Nizkor Project: Fallacies

http://www.nizkor.org/features/fallacies/

The Fallacy Zoo by Brian Yoder (list of basic fallacies with examples)

http://www.primenet.com/~byoder/fallazoo.htm

The Fallacy by Gary Curtis

http://gncurtis.home.texas.net/index.html

Stephen's Guide to the Logical Fallacies

http://www.datanataion.com/fallacies/

الأغاليط وأسلوبك في الكتابة والتحدث

حين تكتب أو تتحدث، فإنك تخوض في عمليات استدلالية. إذا كان هدفك عرض حجة وجيهة، لا ترغب فيها في ممارسة أية حيل على القارئ كي يتفق معك، يتوجب عليك تجنب ارتكاب أية أغاليط استدلالية. الوعي بالأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الكتّاب توضح لك المحاذير التي يتوجب عليك الانتباه إليها حين تشكل حججك. يمكنك تجنب الأغاليط بمراجعة افتراضاتك بحرص شديد، وتذكر أن معظم المسائل الخلافية تشترط عرض مناقب ومثالب محددة، مع الاحتفاظ بقائمة مرجعية للأغاليط الاستدلالية الممكنة.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *هل هناك أية أغاليط في الاستدلال؟*

حاول تحديد أغاليط الاستدلال في كل من النصوص الثلاثة التالية.

النص 1

تجاوز كبير الأطباء اختصاصاته حين أوصى بتدريس الثقافة الجنسية في المستوى الثالث من التعليم الابتدائي. يستبان أنه ضحية أخرى لهستيريا الإيدز التي تنتاب الأمة. لسوء الحظ، أن إعلانه المتأثر بالإعلام بث الروح في أشياع الثقافة الجنسية ـ رغم أنه يلحق الضرر بأطفال الأمة.

كانت الثقافة الجنسية حكرا على الأسرة، فلم تُفرض على الصغار إلا مؤخرا. غير أن توصية كبير الأطباء تلغي دور الأسرة كلية. يتوجب أن يقوم الأباء بشرح الجنس لأبنائهم على نحو يناسبهم. الثقافة الجنسية، حين لا تشرف عليها الأسرة، مجردة من القيم وأي حس بالأخلاق، ولذا يتوجب تثبيطها. لسنوات اضطلعت الأسر بمسؤولية الثقافة الجنسية، ويتوجب أن تستمر بذلك.

الثقافة الجنسية تشجع التجريب. لدى الصغار فضول، وتعرضهم لأسرار الجنس في سن مبكرة يشجع على الاتصالات الجنسية غير المشروعة. النقاش الصريح للجنس يحرج الأطفال، ويقوض حياء الإناث الفطري.

النص 2

ساندرا: لا أفهم لماذا تعارض السماح ببيع الجعة في منتدى الطلبة الجامعي. كل استطلاعات آراء الطلبة تبين أن 80٪ يناصرون هذا المقترح.

جو: متوقع منك أن تناصري بيع كل أنواع المشروبات الروحية في كل وقت وفي كل مكان، فأنت من أكبر مدمني الكحوليات في الجامعة.

النص 3

بــــل: يجب اعتبار الدول التـي تـأوي الإرهـابيين الـراغبين في تـدمير الولايات المتحدة أعداء للولايات المتحدة. كل دولـة لا تـسلم الإرهابيين لنظام العدالة الأمريكي إنـما تقـف في صـفهم. هـذا يعني أن قادة هذه الدول لا يرغبون في القصاص من الإرهابيين ويكرسون جهودهم للتستر على القتلة، المغتصبين، اللـصوص، والمعادين للديمقراطية.

تايلور: هذا هو نوع الحجـة الـذي أتوقـع مـن شـخص لديـه أقـارب يعملون في وكالة المخابرات الأمريكية. يبدو لي أنه ما إن تبدأ في وصف الدول التي لا توافق على سياسة أمريكا بالأعداء، حتـى تنتهي باعتبار كل الدول تقريبـا أعـداء لهـا، بحيـث نبقـى دون حلفاء.

بــــل: إذا كان ذلك كـذلك، فهـذا وضـع سـيء. أمريكـا تـدافع عـن الحرية، والديمقراطية، والحقيقة، ولذا فإن لها أن تعادي العـالم. فضلا على ذلك، يتوجب أن تكون الولايات المتحدة قادرة عـلى إقناع الدول المعادية لها بخطأ مسلكها لأن معتقداتنا تنهض على أسس دينية راسخة.

تايلور: هل تعتقد حقيقة أن معظم المتدينين يناصرون الحرب؟ لقد بين استفتاء أجرته جـالوب أن 75٪ مـن المتـدينين لا يعتقـدون في وجوب شن حرب على الدول التي تأوي الإرهابيين.

بــــل: أعتقـد أن في هـــذا مبالغـــة. كـم عـــدد الـذين استُطلعت آراؤهم؟

تايلور: لست متأكدا. ولكن دعنا نعد إلى المسألة الأصلية. أكبر مشكلة تواجه اتخاذ موقف صارم من الدول التي تؤوي الإرهابيين إنما تتعين في أن مثل هذه السياسة لن تقضي على الإرهاب في العالم.

بـــل: لماذا تستمر في دعم الإرهابيين؟ لقد كنت أحسب أنك وطني. ثم إن هذه دولة ديمقراطية، ومعظم الأمريكيين يتفقون معي.

عينات من الأجوبة:

النص 1

النتيجة: *يجب عدم تدريس الثقافة الجنسية في المدارس.*

المبررات: *1. يشي تقرير كبير الأطباء بأنه أصيب بنوبة هستيريا.*

2. هذه مسؤولية الآباء.

3. الثقافة الجنسية تشجع على الاتصالات الجنسية.

يبدأ المؤلف حجته بالهجوم على كبير الأطباء بدلا من نقاش المسألة. إنه يزعم أن التوصية نتاج مصاحب لهستيريا الإيدز وليست نتاج بحث مكثف. اقتراح المؤلف أن كبير الأطباء يصدر تقارير تستجيب لمواضيع إعلامية ساخنة اقتراح يقوض مصداقيته ويشوه سمعته، ولذا فإن المؤلف يرتكب الأغلوطة *الشخصية*.

مبرره الثاني يخلط بين "ما هو كائن" بـ "ما ينبغي أن يكون". وجوب أن يكون الآباء مسؤولين عن الثقافة الجنسية لا يستلزم أنهم يؤمّنون *بالفعل* هذه الثقافة.

المبرر الثالث يعرض إحراجا زائفا ـ إما الإبقاء على الثقافة الجنسية خارج المدارس وإما مواجهة أطفال متحللين أخلاقيا لا يلتزمون بالقيم. ولكن أليس بالإمكان أن يكون الأطفال متحللين أخلاقيا حتى حال اضطلاع الآباء بمسؤولية

تثقيفهم جنسيا؟ أليس بالإمكان أن تقوم المدرسة والبيت معا بدور في التثقيف الجنسي؟ أليس بالإمكان أن تنتج الثقافة الجنسية أطفالا مهيئين للتعامل مع مسألة الجنس في حياتهم عوضا عن جانحين قاصرين أخلاقيا؟

النص 2

نتيجة ساندرا: *يتوجب السماح ببيع الجعة في منتدى الطلبة.*

مبرر ساندرا1. *معظم الطلبة يناصرون الفكرة.*

نتيجة جو: *ينبغي عدم السماح ببيع الجعة في منتدى الطلبة (نتيجة مضمرة)*

مبرر جو: *يجب عدم الاستماع لحجة ساندرا لأنها مدمنة على الخمر.*

يرتكب كل من ساندرا وجو أغاليط في حجتيهما. تؤسس ساندرا حجتها على رأي أغلبية الطلبة الذي يقر وجوب بيع الجعة في المنتدى الطلابي. إنها تصادر على افتراض باطل مفاده أن المسلك يكون مناسبا حين يحظى بموافقة الأغلبية. قد يكون الطلبة أنصارا للمقترح، لكنهم ربما لم يهتموا كثيرا بمناقب ومثالب جعل الجعة ميسرة.

يرتكب جو أغلوطتين في حجته الموجزة. أولا، يشن هجوما شخصيا على ساندرا، عوضا عن التعامل مع استدلالها. إدمان ساندرا المزعوم ليس محل النقاش. إنها تؤمّن مبررا لبيع الجعة في المنتدى؛ لكن جو يتغاضى عن هذا المبرر ويقوم عوضا عن ذلك بالهجوم عليها. ثانيا، يرد جو على رجل قش حين يهاجم موقفا متطرفا لم تتبنَّه. إن ساندرا لم تقم إطلاقا بالدفاع عن شرب الكحول دون قيود.

ملخص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

هل هناك أية أغاليط في الاستدلال؟

بعد أن تعين المبررات، حدد ما إذا كان المؤلف قد استخدم أية حيل استدلالية. إذا عثرت على أغلوطة في الاستدلال، فإن هذا المبرر يفشل في توفير دعم مناسب للنتيجة. وفق ذلك، لا تقبل نتيجة المؤلف تأسيسا على ذلك المبرر. إذا لم يؤمّن المؤلف مبررات وجيهة، لا تقبل نتيجته. لذا فإن البحث عن أغاليط خطوة مهمة أخرى في تحديد ما إذا كنت سوف تقبل نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الأغاليط.

1. الموقع الذي أعمل به رديء نسبة إلى مواقع أخرى. لماذا؟ أولا، رئيسي في العمل معتوه. إنه غبي حقا، وليست لديه أية فكرة عن إدارة المحل. أيضا، فإن طبيعة العمل نفسه سيئة. يتوجب علينا مسح الأرض، إعادة تنظيم الأرفف، وغسل النوافذ كل يوم، ولمدة ثمان ساعات يوميا. يستحيل أن تقوم المحلات الأخرى بشيء من هذا القبيل. فضلا على ذلك، يحظى بعض العمال بمعاملة خاصة. أعرف أن أنجيلا تحصل على أجر أكبر بكثير من أجري، ولعلها تقدم خدمات إضافية لرئيس العمل.

5. كلما زادت نفقات التعليم، تحسنت نوعيته. المدارس التي توصف بأنها متفوقة لأنها تدرس كتبا ترقى إلى المستوى الجامعي هي المدارس الأغلى ثمنا. وفق ذلك، عليك أن تدفع أكثر أو تحصل على تعليم أدنى. نفقات التعليم الأغلى تسمح بدفع مرتبات أعلى للأساتذة. إذا لم يرض الأستاذ عن مرتبه، فسوف يتدنى مستوى التعليم. يشير "اتحاد المدرسين الأمريكية" إلى أن عضو هيئة التدريس الذي يشعر بالرضا يحصل عادة على تقدير امتياز من قبل المشرفين عليه. مفاد الأمر أن دفع نفقات تعليم أعلى في صالح الطالب. الطلبة الذين يعترضون على ذلك تنقصهم بعض المعلومات. نعلم جميعا أنه بقدر ما تدفع بقدر ما تجني نفعا.

6. سوف تفيد الرياضة الاحترافية كثيرا من اشتراط قيام الحكام بدراسة إعادة عرض فورية للتحركات الخلافية. إن استخدام هذه التقنية سوف يحسن مستوى الألعاب لأنه سوف يسعد عددا أكبر من الجمهور. إنهم يطالبون باستحداث هذا التعديل. فضلا على ذلك، سوف يقل عدد الشكاوى في حال استخدام إعادة العرض الفورية. وأخيرا، فإن ذلك يجعل الرياضة أكثر احترافية.

8

وجاهة الشواهد :

الحدس، الخبرة، الشهادة الشخصية

واللجوء إلى السلطة

تسنى لكم في الفصل السابق إحراز خطوة كبيرة نحو عملية تقييم الحجاج المقنع بمعرفة كيفية الكشف عن بعض مغالطات الاستدلال. من هنا سيتمحور اهتمامنا في الفصول القادمة بعملية التقويم من خلال معرفة طرح الأسئلة الناقدة التي تتعلق بجزء بعينه من بنية الاستدلال: المزاعم المتعلقة "بالوقائع". لننظر في مثال على مثل هذه المزاعم:

- *تناول خبز الشعير يقلل مخاطر السرطان.*
- *عقوبة الإعدام تردع الجريمة.*
- *لم يعد الحرم الجامعي آمنا، فقد نشرت مجلة التايم تقريرا مفاده زيادة حالات الاعتداء في الحرم الجامعي بنسبة 10٪ خلال الأعوام الثلاثة الماضية.*

ماذا عسانا نصنع بهذه المزاعم الثلاثة؟ أتراها مشروعة؟ تتضمن معظم الاستدلالات مزاعم من هذا القبيل.

في الفصل الراهن، سنبدأ عملية تقييم مثل هذا النمط من الاستدلالات.

سؤال نقدي: *ما قدر وجاهة الشواهد: الحدس، الخبرة الشخصية، الشهادة، واللجوء إلى السلطة؟*

الحاجة إلى الشواهد

تتضمن معظم الاستدلالات التي نعرض لها اعتقادات تتعلق بالحالة التي كان أو يكون أو سوف يكون عليها العالم، ويرغب صاحب المقال منا أن نقبل "الوقائع". وقد تتمثل تلك الاعتقادات في صورة نتائج، أو استدلالات، أو افتراضات. يمكن أن نطلق على هذه المعتقدات اسم المزاعم الوقائعية.

السؤال الأول الذي يجب عليك أن تطرحه بخصوص المزاعم الوقائعية هو: "ما الذي يحملني على تصديقها؟".

السؤال الثاني الذي يتعين عليك طرحه هو: "هل يحتاج ذلك الزعم المتضمن إلى شاهد مساند؟" إذا لم يكن هناك شاهد، فإن الزعم يكون مجرد زعم، وهنا يتعين علينا أن نرتاب بقوة في موثوقية الأحكام التي لا تشكل سوى مزاعم.

أما إذا تضمن الاستدلال شاهدا، فسؤالك التالي سيكون: "ما قدر وجاهة ذلك الشاهد؟".

ولكي نقيِّم شاهدا بعينه، يتعين علينا أن نتذكر أن المزاعم الوقائعية تتفاوت من حيث درجة قبولها. مثال ذلك، قد تشعر بأنك متيقن تماما من صدق الزعم القائل: "معظم أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي من الرجال"، لكنك أقل يقينا من صدق الزعم القائل "تناول الخبز المصنوع من الشعير يقلل خطر الإصابة بالنوبات القلبية".

وحيث إنه من العسير جدا، إن لم يكن من المستحيل، إثبات الصدق أو الكذب *المطلق* لمعظم المزاعم، فإننا عوضا عن السؤال عن مصداقيتها، من الأفضل أن نسأل ما إذا كانت *جديرة بالثقة*. إننا نرغب أساسا في أن نسأل "هل يمكننا أن نعتمد على هذه الاعتقادات؟"، وكلما زاد كيف وكم الشواهد المساندة للزعم، تضاعف إمكان اعتمادنا عليه، وزادت درجة إمكان أن نطلق على هذا الزعم "واقعة".

على سبيل المثال، تتوافر لدينا شواهد كثيرة على أن هناك إرهابيين اختطفوا الطائرات التي اصطدمت بمركز التجارة العالمي في الحادي عشر من سبتمبر 2001. من هنا نستطيع أن نطلق على الزعم السابقة اسم "واقعة". من ناحية أخرى، تتوافر لدينا شواهد متعارضة على الاعتقاد بأن "الجنسية المثلية سلوك مكتسب"، ولذا فإننا لا نستطيع أن نعد هذا الاعتقاد واقعة. ويكمن الاختلاف الجوهري بين المزاعم التي تتكون من مجرد آراء وتلك التي توسم بالوقائع في توفر الشواهد المناسبة. فكلما زاد عدد الشواهد المساندة للاعتقاد، ارتفعت درجة اعتباره "وقائعيا".

وقبل أن نحكم على درجة إقناع مقال معين، فإننا نرغب في معرفة أي المزاعم الوقائعية أكثر موثوقية. ولكن كيف نحدد الموثوقية؟ تتمثل الإجابة في طرح أسئلة من قبيل:

ما الإثبات؟	كيف تعرف أنه صحيح؟
أين الشواهد؟	لماذا تعتقد ذلك؟
هل أنت متيقن من صدقها؟	هل تستطيع إثباتها؟

سوف تصبح على الطريق الصحيح ضمن أفضل المفكرين الناقدين عندما تنمي عادة طرح مثل هذه الأسئلة بصورة منتظمة. تتطلب هذه الأسئلة من مقدمي الحجج أن يكونوا على قدر من المسؤولية وذلك بالكشف عن الأسس التي ترتكن إليها حججهم. وعلى صاحب أي حجة ألا يتردد في الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها عليه. إن أصحاب الحجج يعرفون أن لديهم دعما قويا لمزاعمهم، ويرغبون من ثم في أن يشاركوا الآخرين في التعرف على شواهدهم أملا في أن يشاركوهم التسليم بنتائجهم. وعند طرح هذه الأسئلة بصورة منتظمة، سنلاحظ أن العديد من الاعتقادات تعوزها الشواهد الكافية التي تؤيدها أو تفندها بصورة جلية. فعلى سبيل المثال، هناك العديد من الشواهد التي تؤيد الزعم بأن تعاطي حبة أسبرين يوما بعد يوم يقلل من خطر الإصابة بالنوبات القلبية، غير أن ثمة شواهد أخرى تعارض ذلك الزعم. في مثل هذه الحالات، نحتاج إلى إصدار أحكام تتعلق برجحان شاهد على آخر حتى نقرر مدى موثوقية الزعم الوقائعي.

يتطلب القيام بمثل هذا الحكم أن نطرح السؤال المهم، "ما قدر جودة الشواهد؟" تركز الفصول الثلاثة القادمة على الأسئلة التي يجب أن نطرحها لكي نقرر مدى تأييد أصحاب المقالات لمزاعمهم الوقائعية. وكلما ازدادت موثوقية المزاعم الوقائعية، توجب أن تزداد درجة إقناع الاستدلالات.

تحديد المزاعم الوقائعية

نصادف المزاعم الوقائعية في صورة (أ) نتائج وصفية، (ب) مبررات تؤيد تلك النتائج الوصفية أو الفرضية، أو (ج) افتراضات وصفية. دعونا نفحص مثالا متضمنا في إطار حجج قصيرة يوضح الحالات السابقة.

(أ) *قد تسهم الحمية الغذائية في نمو الاضطرابات الغذائية*. لقد اكتشف باحثون قاموا بدراسة تاريخ الحمية الغذائية وشدة فترات النهم في

التهام الطعام لدى 111 امرأة انخرطن في برنامج علاجي خاص بالاضطرابات الغذائية، أن 60٪ منهن قررن أن أول مرة تناولن الطعام بنهم كانت عقب بدء محاولاتهن القيام بالحمية الغذائية.

لاحظ أن فرضية "الحمية الغذائية قد تسهم في نمو الاضطرابات الغذائية" زعم وقائعي يتخذ صورة نتيجة وصفية مدعومة بالشواهد البحثية. في هذه الحالة، نرغب في أن نسأل "هل تبرر الشواهد تلك النتيجة (الزعم الوقائعي)؟".

(ب) يجب علينا أن نخفض أعداد الطلبة في الفصول الدراسية في جامعاتنا، *فالفصول الكبيرة، وفق إحصاءات حكومية حديثة، تؤدي إلى اغتراب أكبر لدى الطلبة.*

لاحظ أن الزعم الوقائعي هنا هو التعميم بأن "الفصول الدراسية الكبيرة تؤدي إلى اغتراب أكبر لدى الطلاب" ، حيث يقدم هذا الزعم تبريرا للنتيجة الوصفية السابقة. في مثل هذه الحالات، علينا أن نسأل، "هل ذلك التبرير (الزعم الوقائعي) مؤيد من قبل الشواهد؟" .

(ت) لا يمكننا السماح بالمزيد من المهاجرين في هذا البلد. إن العدد الأكبر من المهاجرين – أكثر من ستة ونصف مليون – استوطنوا كاليفورنيا ويكلفونها وحدها ما يقدر بثلاثة ملايين دولار سنويا في صورة نفقات صحية، وتعليمية، وخدمات عامة أخرى. (نحن أمام افتراض غير محدد يربط التبرير بالنتيجة: *فالتأثير الإيجابي للمهاجرين على الاقتصاد، من خلال خلقه منافع أخرى كإيجاد فرص عمل جديدة ودفع الضرائب، أقل بدرجة كبيرة من التكلفة*).

لاحظ أن هذا الزعم الوقائعي يمثل افتراضا وصفيا، قد يكون أو لا يكون جديرا بالثقة. وقبل أن نعتقد في صدق الافتراض، ومن ثم التبرير، ينبغي أن

نسأل، "هل تؤيد الشواهد الافتراض تأييدا قويا؟" سوف تكتشف أنه في الوقت الذي يدرك بعض أصحاب المقالات أهمية دعم تبريراتهم بالشواهد، فإنهم لا يدركون الحاجة لجعل افتراضاتهم صريحة وواضحة. من هنا، فنادرا ما يقدمون شواهد على افتراضاتهم، على الرغم من أنه في الكثير من الحالات تكون تلك الشواهد مفيدة تماما في الحكم على جودة الحجة.

مصادر الشواهد

متى يجب أن نقرر أن زعما وقائعيا جديرا بالثقة به؟ هناك ثلاث حالات نكون فيها أكثر ميلا للموافقة على الزعم الوقائعي:

1. عندما يتمثل ذلك الزعم في صورة معرفة عامة غير متنازع عليها، كالزعم بأن "رفع الأثقال يزيد من قوة العضلات".
2. عندما ينتج الزعم عن حجة مؤسسة تأسيسا جيدا.
3. عندما يتم تأييد الزعم بشواهد وجيهة موثوق بها متضمنة في نفس الاستدلال أو يؤيد بشواهد أخرى نكون على معرفة بها.

ينصب اهتمامنا في الفصل الراهن على الحالة الثالثة. إن تحديد دقة شاهد معين يتطلب منا أن نسأل "ما قدر وجاهة الشاهد؟". وللإجابة عن هذا السؤال يتعين علينا أن نسأل أولا "ما الذي نعنيه بكلمة شواهد؟".

انتبه: الشواهد معلومات صريحة يعرضها صاحب المقال ليدعم أو يبرر موثوقية زعم وقائعي معين (انظر الفصل الثالث). في الحجج المعيارية، نحتاج إلى شواهد لدعم مبررات المزاعم الوقائعية؛ أما في الحجج الوصفية، فنحتاج إلى شواهد نعضد بها بصورة مباشرة نتيجة وصفية بعينها.

تتوقف جودة الشاهد على نمط ذلك الشاهد. هكذا، إذا أردنا أن نقيِّم شاهدا

معينا، يتعين أن نسأل في البداية "ما نوع ذلك الشاهد؟"؛ فمعرفة نوع الشاهد تقودنا إلى نوع السؤال الذي يتعين علينا طرحه.

تتضمن الأنواع الأساسية من الشواهد:

- الحدس
- الخبرة الذاتية
- الشهادة الشخصية
- اللجوء إلى السلطة
- الملاحظات الشخصية
- الأمثلة
- الدراسات البحثية
- المماثلة

كل نوع من هذه الشواهد، إذا ما استُخدم بصورة مناسبة، يعد "شاهدا جيدا"، لأنه يمكن أن يؤيد زعم المؤلف. وكمنقب الذهب الذي يفحص بدقة بالغة الحصى في الإناء طمعا في العثور على المعدن النفيس، ينبغي أن نفحص بدقة الشواهد لتحديد جودتها. إننا نود أن نعرف، "هل يقدم شاهد المؤلف دعما موثوقا لزعمه؟" من هنا، نبدأ بتقييم الشواهد بطرح السؤال: "ما قدر جودة الشواهد؟".

في الفصل الراهن والفصل التالي، سنفحص نوع الأسئلة التي يمكن أن تشمل كل أنواع الشواهد التي تساعدنا في الحكم عليها. وسنبدأ في الفصل الراهن بفحص الحدس، السلطة، والشهادة الشخصية.

الحدس شاهدا

عندما نستخدم الحدس لتأييد زعم معين، فإننا نعتمد على "الحس المشترك"

أو على "مشاعرنا الذاتية"، أو أحاسيسنا الداخلية. عندما يؤيد صاحب المقال زعما معينا بالقول إن "الحس المشترك يخبرنا بذلك"، أو بالقول "أعلم فحسب أنه صادق"، فإنه بذلك يستخدم الحدس شاهدا.

تكمن المشكلة الجوهرية في الحدس في كونه يتعلق بخبرة ذاتية خاصة، لا سبيل للآخرين أن يحكموا على موثوقيتها. هكذا، عندما تتعارض الاعتقادات الحدسية، وهو أمر كثير الحدوث، لا يكون لدينا أساس متين للحكم على صدقها. فضلا عن ذلك، فإن الحدس يعتمد في معظمه على عمليات عقلية غير واعية، غالبا ما تتجاهل الشواهد المناسبة بل وتعكس تحيزات قوية. من هنا، يجب الاحتراز من المزاعم التي تعتمد فقط على الحدس.

من ناحية ثانية، قد يعتمد "الحدس" على نوع آخر من الشواهد، من قبيل الخبرات الشخصية والقراءات الملائمة المتعمقة. فعلى سبيل المثال، عندما يحدس الطيار المتمرس أن طائرته ليست على ما يرام عند الإقلاع، فإننا نؤيد بقوة طلبه إجراء فحوصات إضافية قبل الإقلاع. إن أحاسيسنا الداخلية لا تكون أحيانا مجرد خبط عشواء. غير أننا نرغب، باعتبارنا مفكرين ناقدين، أن نعرف ما إذا كانت المزاعم المستندة إلى الحدس تستند إلى أية شواهد أخرى مؤيدة.

مخاطر اللجوء إلى شواهد الخبرة الذاتية

تستند الحجة التالية إلى نوع معين من الشواهد لتعضيد زعم وقائعي:

- "عندما كنت طفلا صغيرا تم إيداعي دار حضانة معينة، ولم أتعرض لأذى بسبب تلك الخبرة. من هنا، لا أعتقد أن وضع الأطفال في دور الحضانة يسبب أية مشكلات".
- "لقد تعاطيت دواء مضادا للاكتئاب الذي ينتابني، غير أن الوضع تفاقم سوءا. من هنا أعتقد أننا نبالغ في تعاطي العقاقير علاجا للأمراض العقلية".

تلجأ الحجتان السابقتان إلى الاستعانة بشواهد تستند إلى الخبرات الشخصية. يجب أن تسترعي عبارات من قبيل "أعرف شخصا...."، "من خلال خبرتي الشخصية، اكتشفت أن..." انتباهك لمثل هذا النمط من الشواهد. وحيث إن الخبرات الشخصية تكون حية حاضرة في ذاكرتنا، كثيرا ما نلجأ إليها شواهد لدعم اعتقادات بعينها. فعلى سبيل المثال، قد تكون لديك خبرة غير سارة مع محام ما بسبب مبالغته في قيمة أتعابه، مما يجعلك تعتقد أن كل المحامين يبالغون في تقدير أتعابهم. وبينما قد يصدق أو يبطل التعميم في مثل حالة هذا المحامي، فإن الاعتماد على مثل هذه الخبرات لتبرير التعميم مسلك غير صحيح! وحيث إن الخبرة الشخصية المفردة، أو حتى تراكمات الخبرة الشخصية، لا تكفي لتزويدنا بعينة ممثلة للخبرات المشتركة، فإنها كثيرا ما تؤدي إلى الوقوع في أغلوطة التعميم المتعجل. ويمكن أن نستدل من الخبرة الشخصية البارزة المفردة أو الخبرات الشخصية المتعددة حدوث نتيجة معينة. فعلى سبيل المثال، قد تصادف أشخاصا يدخنون ثلاث علب سجائر في اليوم ويظلون على قيد الحياة حتى سن التسعين. غير أن مثل هذه الخبرات لا تبرهن على أن مثل هذه النتائج محتملة أو نمطية.

• **أغلوطة التعميم المتعجل:** استدلال نتيجة تتعلق بمجموعة كبيرة وفقا لخبرات تتعلق بأعضاء محدودين في تلك المجموعة.

سوف نعود إلى الحديث عن هذه الأغلوطة في الفصل التاسع عندما نناقش شواهد الأبحاث وموضوع العينات.

الشهادة الشخصية شاهدا

- "يجب أن يقوم الدكتور "ناجح" بإجراء عمليتك الجراحية. لم لا وقد نجح نجاحا باهرا في معالجة الألم الذي ألمّ بكتفي."
- " لقد أصبت بالسرطان وأخبرني الطبيب أنني سأعيش شهرا واحدا، ولكن بعد زيارة واحدة لتلك المعالجة الروحانية، اختفى

السرطان. يجب عليك أن توقف العلاج الإشعاعي وتزور تلك السيدة".

- "خلال ستة أسابيع فقط، فقدت عشرة كيلوجرامات باستخدام جهاز التخسيس. أنصحك بقوة أن تستخدم ذلك الجهاز".
- "انظر إليّ، إنني مرهق دائما، كل مفاصلي تؤلمني، وأعاني من طفح جلدي، ولا أستطيع تذكر أي شيء منذ أن عدت من الحرب. لا تقل لي إنه لا يوجد ما يسمى متلازمة أعراض حرب الخليج".

الإعلانات التليفزيونية، وإعلانات الأفلام، والتوصيات على الأغلفة الخلفية للكتب، و"البراهين" التي تثبت وجود أمور خارقة للطبيعة أو أحداث ومخلوقات متنازع على وجودها، كثيرا ما تحاول إقناعنا باللجوء إلى نوع معين من الخبرة الشخصية، تتمثل في الاستشهاد بآراء أشخاص يحكمون على جودة فكرة أو منتج معين، أو يزعمون أن الأحداث الخارقة للعادة وقعت بالفعل، استنادا إلى خبراتهم الشخصية. مثل هذه الاقتباسات تستخدم كشهادات شخصية.

ما قدر جدوى هذه الشواهد؟ عادة، لا فائدة تُرجى من ورائها إطلاقا، ففي معظم الأحوال لا ينبغي أن نعطي قيمة كبيرة للشهادة الشخصية ما لم تتوفر لنا تفاصيل عن الخبرات، والاهتمامات، والقيم، والتحيزات التي تكمن وراءها. وعلى وجه الخصوص يجب أن نكون على وعي بالمشكلات التالية التي تتعلق بالشهادة الشخصية:

• الانتقائية

تتفاوت خبرات البشر تفاوتا كبيرا. الذين يحاولون إقناعنا عادة ما يقومون بانتقاء شهاداتهم. من هنا يجب دائما أن نطرح السؤال: "ما خبرات أولئك الذين لم نستمع إلى شهاداتهم؟". بالإضافة إلى ذلك، يجب أن ندرك أن الذين يدلون بشهاداتهم كثيرا ما يختارون ما يثير اهتمامهم، إذ نجدهم يولون اهتماما خاصا بما

يتوافق مع اعتقاداتهم، متجاهلين ما يخالفها. كثيرا ما يصح القول إن الرؤية تبرر المعتقد. إن توقعاتنا تؤثر بقوة في طريقة خبرتنا بالأحداث. إذا اعتقدنا في وجود الكائن الضخم صاحب الأقدام العملاقة، أو أن الملائكة تترك آثارا تدل على وجودها، فمن المرجح أن نرى خيالات غامضة لذلك الكائن الضخم أو لآثار تلك الملائكة.

• المصالح الشخصية

تصدر العديد من الشهادات الشخصية، من قبيل تلك المستخدمة في الكتب، والأفلام، والمنتجات التي يروج لها التليفزيون من قبل أشخاص يطمحون لتحقيق كسب معين من وراء شهاداتهم. فعلى سبيل المثال، يقرّظ بعض المؤلفين كتبا معينة، أملا في الحصول على تقييم إيجابي لكتبهم عند مراجعتها. هذا يجعلنا في حاجة لأن نطرح السؤال: "هل ثمة علاقة تربط بين مقدم الشهادة وبين ما يروج له، بحيث نتوقع منه تحيزا واضحا في شهادته؟".

• المعلومات المستبعدة

نادرا ما تقدم الشهادات الشخصية معلومات كافية حول الأسس التي تقوم عليها. فعلى سبيل المثال، عندما يطنب أحد أصدقائك في مدح أستاذ معين، عليك أن تسأله عن سبب افتتانه بذلك الأستاذ. ذلك أن معايير حكمنا قد تختلف عن معايير مقدم الشهادة. وكثيرا ما تعوزنا المعلومات للحكم على تلك المزاعم.

• العامل الإنساني

يكمن أحد أسباب إقناع الشهادة الشخصية في صدورها عن بشر مثلنا. كما أنها تكون حيّة حافلة بالتفاصيل، في مقابل الإحصاءات والرسوم التي تكون عالية التجريد. أيضا فإنها كثيرا ما تصدر عن أشخاص مفرطي الحماسة، يبدون موضع ثقة، حسني النية، وصادقين. مثل هؤلاء الأشخاص يحملوننا على الرغبة في تصديقهم.

اللجوء إلى السلطة شاهدا

يزعم متحدث ما أن سيارات فورد أفضل من سيارات جنرال موتورز، وعندما نسأله كيف عرف ذلك، يجيب، "إن مجلة Consumer Reports تقول ذلك، فضلا عن مقال آخر قرأته الأسبوع الماضي في جريدة النيويورك تايمز يزعم أن فورد تصنع سيارات أفضل".

لقد دافع المتحدث عن زعمه باللجوء إلى سلطة – والمقصود بها مصدر يفترض فيه أنه يعرف أكثر مما نعرف عن موضوع معين – تتمثل فيمن نطلق عليهم الخبراء. وعندما يلجأ المتجادلون إلى السلطة أو الخبراء، فإنهم يلجأون إلى أشخاص يرون أنهم في وضع يسمح لهم بالحصول على وقائع معينة ويمتلكون مواصفات خاصة تمكّنهم من استخلاص النتائج من الوقائع. وتعج حياتنا اليومية بألوان مختلفة من حالات اللجوء إلى السلطة:

نقاد الأفلام: "هذا الفيلم واحد من أفضل عشرة أفلام هذا العام" وفقا لمجلة "مراجعات الأفلام".

مؤسسات: "تؤيد الجمعية الطبية الأمريكية AMA هذا الرأي".

باحثون: "تبين الأبحاث...".

أقارب: "يقول جدي...".

دين: "ورد في القرآن...".

مجلات: "وفقا لما ورد في مجلة النيوزويك....".

أساتذة جامعيون: "يقر التأويل الصحيح لأفلاطون أن...".

شهود خبراء: "أعتقد أن المدعي عليه...".

يمكنك بسهولة إضافة المزيد إلى القائمة السابقة. ولكن يجب أن يكون

واضحا لديك أننا نعتد ببعض الشواهد التي تستند إلى اللجوء إلى السلطة دون بعضها الآخر. لماذا؟

السبب يرجع إلى أن بعض السلطات تكون أكثر حرصا وتدقيقا عند الإدلاء برأيها. على سبيل المثال، تحرص مجلتا النيوزويك والتايم على التقييم الدقيق للشواهد المتاحة قبل إقرار وجهة نظر معينة بدرجة تفوق حرص مجلة National Inquirer (وهي من مجلات الإثارة).

ومن المرجح أن المقالات المنشورة عن الاكتئاب في الموقع الإلكتروني الخاص بالمعهد الوطني للصحة العقلية National Institute of Mental Health تتأسس على شواهد يتم اختيارها بعناية تفوق تلك التي يتم نشرها على الموقع الإلكتروني الخاص بشخص معين. من المرجح أيضا أن أقاربنا أقل موضوعية عند تقييم مرشح سياسي معين من محرري الصحف الكبرى.

يجب أن تتذكر أن السلطة، لأسباب عديدة، كثيرا ما تخطئ. كما أن أحكامها كثيرا ما تتعارض. ولعل المثال الآتي المأخوذ عن مجلة The Experts Speak، يذكرنا بوضوح بلا معصومية آراء الخبراء.

(Christopher Cerf and Victor Navasky, 1998, Revised Edition., Villard Books, New York).

- "الأمر في غاية الوضوح... الأرض في منتصف العالم وكل الأجسام تتجه نحوها". بطليموس (عالم فلك وجغرافي سكندري)، المجسطي، القرن الثاني الميلادي، ص 5.
- "لقد شاءت الطبيعة أن تكون النساء عبيدا لنا... إنهن ملك لنا، تماما كما تكون ثمار الشجرة ملكا لصاحب الحديقة. إن طلب المرأة المساواة ليس سوى فكرة جنونية!... النساء لسن سوى آلات لإنجاب الأطفال". نابليون بونابرت (1769 – 1821)، ص 32.

- "لن يستمر وجود جهاز الفيديو في أي سوق يغزوها أكثر من ستة أشهر؛ سوف يمل الناس التحديق في صندوق خشب كل مساء"، Darry L Fzanuck (رئيس شركة استوديوهات فوكس للقرن العشرين)، 1946 (صفحة 41).
- "إذا كان التدخين المفرط يقوم بالفعل بدور في الإصابة بسرطان الرئة، فهو يقوم على ما يبدو بدور ضئيل". Dr. W.C. Heuper (المعهد الوطني للسرطان NCI)؛ مقتبس من النيويورك تايمز، أبريل 1954 (ص 228).

تذكرنا مثل هذه الاقتباسات بأهمية طرح أسئلة ناقدة عندما يلجأ المتجادلون إلى السلطة. يتعين أن نسأل "ما الذي يحملنا على تصديق هذه السلطة؟"؛ أو بشكل أكثر تحديدا، عليك أن تطرح الأسئلة الآتية:

ما قدر الخبرة أو التدريب الذي تمتلكه السلطة حول الموضوع الذي تتحدث عنه؟ هل درس الشخص، مثلا، الموضوع المطروح لفترة طويلة كافية؟ أو، هل يمتلك خبرة متعمقة تتعلق بالموضوع؟

هل كان الشخص (مصدر السلطة) في وضع يسمح له بأن يكون مطلعا على الوقائع ذات الصلة بالموضوع؟ هل كان مثلا شاهد عيان على الأحداث التي يزعمها؟ أم أن مراسلا صحفيا، في واقع الأمر مثلا، هو الذي شاهد الحدث، أو أنه اعتمد فقط على تقارير الآخرين؟ إذا لم يكن مصدر السلطة شاهد عيان، فإلى أي المصادر استند؟ وأية مزاعم يكرر؟ ولم يتوجب علينا الاعتماد على تلك المزاعم؟ يجب عليك على وجه العموم، أن تعتد بالمصادر المباشرة – أو شهود العيان – أكثر من اعتدادك بالمصادر الثانوية، أي أولئك الذين يعتمدون على الآخرين في شهادتهم. التايم والنيوزويك، مثلا، مصادر ثانوية فيما يختص بالقضايا الطبية، بينما دوريات من قبيل "دورية الجمعية الطبية الأمريكية" تعد مصدرا أوليا.

هل هناك أسباب قوية تدعونا للاعتقاد في أن السلطة لا تخلو نسبيا من مؤثرات مشوهة؟ ثمة عوامل يمكن أن تؤثر في طريقة نقل الشواهد من قبيل الحاجة الشخصية، التوقعات المسبقة، الاعتقادات العامة، التوجهات، القيم، النظريات أو الأيديولوجيات. إن مثل هذه العوامل تؤثر بطريقة مقصودة أو لا واعية في طريقة عرض الشواهد. فعلى سبيل المثال، إذا سألت جنرالا في الجيش عما إذا كان خفض النفقات العسكرية يضر بالجيش، فقد يجيب "بنعم" ويقدم لك عددا من الشواهد المحكمة. هنا قد يكون رأي الجنرال غير متحيز للموقف. ولكن، نظرا لمكانته، يجب أن نكون على حذر من احتمال أنه حاول خلق أسباب تبرر تحيزه.

نقصد بالتحيز والتحامل امتلاك شعور شخصي قوي حول خيرية أو سوء أمر معين، بحيث يتداخل ذلك مع قدرتنا على التقييم النزيه. ونظرا لوجود عوامل كثيرة تدفعنا إلى التحيز في جل أحكامنا تقريبا، فإننا لا نتوقع أن تكون السلطة نزيهة *تماما*. على ذلك، يمكننا توقع تحيز أقل من سلطة ما مقارنة بسلطة أخرى، ونحاول تحديد هذا التحيز من خلال جمع معلومات حول المصلحة الشخصية التي قد تكون لسلطة معينة إزاء موضوع النقاش. فمثلا، يجب أن نكون على حذر عند احتمال أن تتربح السلطة ماليا بسبب دفاعها عن موقف معين.

وحيث إنه من المحتمل أن يكون للسلطة مصلحة شخصية في موضوع معين ورغم ذلك تقدم مزاعم ذات مصداقية، ينبغي ألا نرفض زعما ما لمجرد ارتيابنا في احتمال تداخل مصلحة السلطة الشخصية مع نزاهتها.

تكمن إحدى الخطوات التي قد تساعدنا في جلاء هذا الأمر في معرفة ما إذا كانت السلطات المختلفة ذات التوجهات، والتوقعات، والقيم، والمصالح المتباينة توافق على الزعم المطروح. هكذا، نكون في حاجة لطرح السؤال الآتي:

"هل اكتسبت السلطة سمعة طيبة متواترة في تقديم مزاعم موثوق بها؟ هل استطعنا الاعتماد على هذه السلطة في الماضي؟".

يجب أن نكون على وجه الخصوص مهتما بنوعية السلطة عند مواجهة مزاعم وقائعية على شبكة الإنترنت، كل شخص على الشبكة يتحول تقريبا إلى "سلطة"، ولعل مرجع ذلك يكمن في أن الأفراد أحرار في زعم ما يشاءون، فضلا عن عدم وجود آلية متاحة لتقييم مثل هذه المزاعم. من الواضح أننا في مثل هذا الموقف ينبغي أن نكون في غاية الحذر!

استخدام السؤال الناقد

عندما تحدد مشكلة معينة باستخدام الحدس، أو الخبرة الشخصية، أو شهادة الآخرين، أو اللجوء إلى السلطة كشاهد، قد يتوافر لديك أساس قوي يجعلك تتردد في قبول النتيجة القائمة على أساس ذلك الشاهد. إن معرفة تلك المشكلات تحصنك ضد الحجاج الزائف. لكنك على الرغم من ذلك ترغب في العمل الجاد لكى تكون منصفا للحجج التي يقدمها لك الآخرون لتحكم عليها. من هنا فمن المناسب أن تطلب من أولئك الذين لم يقدموا إليك شواهد وجيهة أن يقدموا شواهد أفضل. قدم كل الفرص الممكنة التي تستحقها الحجج.

تلخيص

مفاتيح لتقييم الشواهد

استخدم الأسئلة التالية لتساعدك في تقييم الأنماط المختلفة للشواهد.

الحدس

هل للحدس أية شواهد أخرى تعضده؟

ما قدر خبرة أو تدريب السلطة فيما يتعلق بالموضوع المطروح؟

هل السلطة في وضع يسمح لها بالاطلاع على الوقائع ذات الصلة بالموضوع؟

هل يوجد سبب مقنع للاعتقاد بأن السلطة بعيدة نسبيا عن التأثيرات المشوهة؟

هل اكتسبت السلطة سمعة طيبة في تكرار إصدار مزاعم موثوق بها؟

الشهادة الشخصية

ما التحيزات أو المصالح التي قد تؤثر في شهادة شخص معين؟

هل لدى الشخص أية خبرة تساعده في الحكم؟

كيف يقيّم الشخص الافتراضات التي تؤثر في شهادته؟

أي الشهادات الشخصية الأخرى قد تساعد في تقييم شهادة هذا الشخص؟

ما المعلومات المفتقدة في شهادة هذا الشخص؟

لقد انصب اهتمامنا في الفصل الراهن على تقييم أنواع متعددة من الشواهد المستخدمة لتعضيد المزاعم الوقائعية: الحدس، والخبرة الشخصية، والشهادة الشخصية، واللجوء إلى السلطة. مثل هذه الشواهد يجب الاعتماد عليها بدرجة من الحذر والحيطة.

لقد قدمنا إليكم بعض الأسئلة التي يجب أن تطرحوها لتحددوا درجة إحكام الشواهد. في الفصل القادم، سنناقش أنماطا أخرى من الشواهد، بينما نستمر في طرح السؤال "ما قدر جودة الشواهد".

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *ما قدر جودة الشواهد: الحدس، الخبرة الشخصية، الشهادة، واللجوء إلى السلطة؟*

قيّم الشواهد في التمارين الآتية.

النص 1

في الوقت الذي ارتفعت تكاليف التعليم ارتفاعا هائلا، أضحى الطلاب يتلقون الأقل والأقل مقابل ما يدفعونه. فهم يدفعون عشرين ألف دولار في العام مقابل تعليمهم، لكنهم لا يتلقون التعليم الذي يعتقدون أنهم دفعوا ما يقابله. الأساتذة يكرسون وقتهم وجهدهم للبحث العلمي، وليس للتدريس. لنتأمل التعليقات الآتية لطلبة إحدى الجامعات البحثية الكبرى:

ساندرا دبليو، طالبة في المستوى الثاني في تخصص اللغة الإنجليزية: "يجلس الواحد منا محشورا وسط صف يحوي ثلاثمائة طالب وطالبة مستمعا إلى الأستاذ الذي هو طالب دراسات عليا لا يجيد حتى التحدث بالإنجليزية".

لوري ل، طالبة في الفرقة الثالثة تخصص علم نفس: "لقد مضى عليّ في الكلية أكثر من ثلاث سنوات، ولم تتح لي حتى الآن فرصة مقابلة أي أستاذ وجها لوجه".

جون م، طالب في الفرقة الأولى تخصص فلسفة: "من المستحيل أن تعثر على الأساتذة عندما تريدهم. إن أحد أساتذتي لا يأتي إلى الجامعة إلا مرة واحدة أسبوعيا".

النص 2

تنتاب معظم الشباب في إحدى لحظات حياتهم فكرة أن يصبحوا محامين، وتظل تلك الفكرة تلح على تفكيرهم حتى بعد أن يلتحق معظمهم بكلياتهم. إن هذا البلد [أمريكا] يعج لسبب ما بالمحامين، الذين لا يجد الكثير منهم عملا. يقول دكتور شارب، أستاذ القانون، "إن فصول القانون التي أقوم بتدريسها مليئة تماما بالطلبة، فكل المقاعد مشغولة".

ورد في تقرير لصحيفة التايم أن عدد طلاب القانون يفوق ثلاثة أضعاف عدد المحامين في أمريكا. وفضلا عن هذا، فإن نحو 60٪ من طلبة القانون لن يجدوا وظائف تلائم تخصصاتهم.

لماذا تتسم هذه الوظيفة بكل تلك الجاذبية؟ يرجع الأمر في الغالب إلى بريق المال. يقول تقرير صادر عن دراسة أجرتها جامعة هارفارد على مجموعة عشوائية من دارسي القانون الجدد أن نحو 70٪ منهم ذكروا أن الراتب المرتفع سبب الجاذبية الأساسي. بيد أن واقع الأمر، على الرغم من ذلك، يبين أن معظم المحامين لا يربحون الكثير على الإطلاق. يقول ميرون نيكل، الذي عمل بالمحاماة خمسة عشر عاما، "لم أكسب أبدا أكثر من 45 ألف دولار في العام". التصور السائد عن ثراء المحامين أصحاب النفوذ في نيويورك ليس سوى انعكاس للصورة الساحرة الجذابة في أجهزة التليفزيون والأفلام السينمائية.

عينات من الأجوبة:

النص 1

النتيجة: *طلاب الجامعات البحثية الكبرى لا يحصلون على مقابل ما يدفعونه.*

المبرر: *أبدى ثلاثة طلاب عدم رضاهم عما يتلقونه من تعليم.*

على الرغم من أن النتيجة السابقة قد تكون أو لا تكون دقيقة، لا ينبغي أن نعتمد على مثل هذه الشهادات بوصفها إثباتات محكمة. توضح التمارين السابقة بجلاء ضعف الشهادة الشخصية كشاهد أو دليل. تأمل كيف تبدو مثل هذه "الروايات المرعبة" نمطية؟ هل قام الطلبة الآخرون بإطراء أساتذتهم؟ كيف جرت عملية المقابلات الشخصية؟

هل كان اختيار المؤلف لتعليقات المقابلات متحيزا؟ هـل كـان أولـئـك الطلبة على دراية بالأمر الذي يرغب القائمون على المقابلة إثباتـه ومـن ثم يحاولون إرضاءهم؟ قبل أن نستنتج أن الطلاب كانوا مخدوعين فـيما يخص تعليمهم، فإننا نرغب في الحصول على شهادة أكثر مصداقية مـن القليل الذي تقولـه الـشهادة الشخـصية. إن كـل مـا تخبره بنـا تلـك الشهادة، على أية حال، أنه مـن المحتمـل أن يكـون للطـلاب خـبرات رديئة مع الأساتذة في الجامعة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد أنواع الحدس، واللجوء إلى السلطة، والشهادة الشخصية في كل من الأمثلة الآتية:

1. جرب معجون الأسنان الجديد "المبيض"، فهو معجون جديد غني بالفلورايد يبيض الأسنان وينظفها. إن أربعة أشخاص من بين كل خمسة يستخدمون معجون "المبيض" في منازلهم. ولا يقتصر الأمر على هذا فقط، بل إن الأطباء أيضا ينصحون باستخدام معجون "المبيض". يجمع الخبراء على أنك إذا أردت الحصول على أسنان بيضاء، نظيفة، صحية، لامعة؛ فليس أمامك سوى "المبيض".

2. سوف أسجل الفصل القادم في المقرر الذي يطرحه الدكتور "بديع" لأن كل الشواهد تؤكد أنه سيكون مقررا رائعا. لقد درست صديقة أختي مقررا مختلفا العام الماضي مع الدكتور "بديع" وأكدت استمتاعها بالمقرر، وهي تحث كل من تقابله على أن يلتحق بمقررات الدكتور "بديع".

3. ليس من شك في أن التاريخ سيذكر أن كليتون كان أفضل رؤساء الولايات المتحدة. يكفي أن آل جور نائب الرئيس خلال فترة حكم كليتون والذي يعتد برأيه في مثل هذه الأمور، ذكر أن التاريخ سيتذكر أن كليتون "أعظم رئيس عرفته الولايات المتحدة".

9

وجاهة الشواهد:

الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية

الأمثلة العينية، والمماثلة

نواصل في الفصل الراهن تقييم موضوع الشواهد. سوف ينصبُّ تركيزنا على أربعة أنواع من الشواهد: الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية، الأمثلة، والمماثلة. سوف نناقش كل واحد من هذه الأنماط كلما صادفناها تستخدم شواهد.

سؤال نقدي: ما قدر وجاهة الشواهد: الملاحظة الشخصية، الدراسات البحثية، أمثلة الحالات، والمماثلة؟

الملاحظة الشخصية

تعد الملاحظة الشخصية واحدة من أنماط الشواهد التي لها قيمتها الجوهرية للكثير من الأبحاث العلمية. فنحن، على سبيل المثال، نشعر بالثقة تجاه ما نشاهده بأعيننا بالفعل، ولذا فإننا نثمن بقوة روايات شهود العيان. على ذلك، فإن إحدى الصعوبات التي تواجه الملاحظة الشخصية تكمن في نزوعنا نحو رؤية وسماع ما نرغب في سماعه أو مشاهدته، ومن ثم اختيار وتذكر جوانب الخبرة التي تتوافق تماما مع خبراتنا وخلفيتنا السابقة.

والملاحظ ليس كالمرآة، فهو لا يقدم لنا ملاحظات "نقية خالصة". إن ما نراه وننقله إلى الآخرين يمر خلال مجموعة من القيم، والتحيزات، والاتجاهات

والتوقعات. وبسبب مثل هذه التأثيرات، كثيرا ما يختلف الملاحظون حول حقيقة ما يشاهدون. هكذا، يجب أن نكون على حذر من الاعتماد على الملاحظة التي يقوم بها ملاحظ واحد في مواقف نتوقع أن تتم من قبل ملاحظين مختلفين.

سوف تساعدك الأمثلة الثلاثة الآتية على إدراك مخاطر الاعتماد على الملاحظة الشخصية كشاهد.

- ما يراه الحكم في لعبة كرة القدم هدفا، يراه لاعبو الفريق المهزوم تسللا.
- تقع سرقة في محل صغير. يزعم أحد الشهود أنه شاهد السارق يحمل مسدسا كبيرا، بينما يقسم شاهد آخر أن اللص كان يلوّح في الهواء بلعبة تشبه المسدس.
- يذهب أحد أصدقائك إلى أن ملاحظاتك ذات مغزى مهم، بينما يعتبرها شخص آخر عدوانية، في الوقت الذي يلاحظ فيه صديق ثالث أن ملاحظاتك حازمة بصورة تثير الإعجاب.

وإذا كنا نقر بأن الملاحظة الشخصية كثيرا ما تكون مصدرا قيما للشواهد، غير أنه يتعين علينا أن ندرك أنها ليست "مرايا غير متحيزة تعكس صورة

الواقع"! إذ عند استخدام مثل هذه الملاحظات لتعضيد نتائج خلافية، يجب أن نسعى نحو التحقق منها بواسطة ملاحظين آخرين، كما يتعين علينا أيضا أن نستعين بشواهد متنوعة لدعم النتيجة. فإذا زعم شخص ما، مثلا، أنه شاهد أستاذا يتصرف بطريقة موحية جنسيا نحو طالبة معينة، فإن شهادته تكتسب المزيد من المصداقية إذا ما أكد طلاب آخرون تلك الملاحظة. لاحظ أيضا أن تقارير الملاحظات تغدو إشكالية كلما اتسعت الفترة الزمنية الفاصلة بين الملاحظة وتقريرها.

عند استخدام تقارير الملاحظات كشواهد في الصحف، والمجلات، والكتب، والتلفزيون، والإنترنت، يجب أن تكون هناك مبررات قوية تخول الاعتماد عليها. إن أفضل التقارير مصداقية هي تلك التي تتأسس على ملاحظات حديثة، يقوم بها ملاحظون تتوافر لديهم أفضل ظروف محيطة، شريطة ألا يكون محتملا أن تكون لديهم توقعات قوية مسبقة أو تحيزات نحو موضوع الملاحظة.

الدراسات البحثية شواهد



"تظهر الدراسات أن ...".

"اكتشف الباحثون في تقرير حديث أن ...".

"يشير تقرير في New England Journal of Medicine إلى أن ...".

تعد الدراسات البحثية أحد أنماط السلطة الذي يعتمد كثيرا على الملاحظة ويحمل وزنا وقيمة، وتتمثل الدراسات البحثية عادة في مجموعة منظمة من الملاحظات يقوم بها باحثون متمرسون على القيام بالأبحاث العلمية. ما قدر موثوقية نتائج الأبحاث؟ كما هو الأمر عند اللجوء إلى سلطة ما، لا نستطيع أن نقرر موثوقية نتائج أي بحث قبل أن نطرح العديد من الأسئلة.

وبسبب التعقيد البالغ الذي تتسم به الأحداث في عالمنا، ولأن البشر غير معصومين من الخطأ في ملاحظاتهم ونظرياتهم المتعلقة بتلك الأحداث، تبنى

المجتمع فكرة الاعتماد على المنهج العلمي مرشدا مهما لتحديد الوقائع. يحاول المنهج العلمي أن يتجنب الكثير من التحيزات المحايثة لملاحظاتنا عن العالم ولحدسنا وحسنا المشترك.

ما وجه التميز في المنهج العلمي؟ يسعى المنهج العلمي إلى الوصول إلى معلومات تنتظم في صورة *معطيات قابلة للتحقق من قبل الجميع* – أي معطيات يتم الحصول عليها في ظل شروط تسمح للباحثين الآخرين المؤهلين أن يقوموا بملاحظات مماثلة لمعرفة ما إذا كانت تقود إلى نفس النتائج. هكذا، إذا قرر باحث معين، مثلا، أن علاجا إشعاعيا جديدا يقضي على خلايا السرطان، ستكون لدينا ثقة متزايدة في ذلك العلاج إذا كرر باحثون آخرون التجربة وحصلوا على نفس النتيجة.

السمة الأساسية الثانية التي تميز المنهج العلمي هي *الضبط*، أي استخدام إجراءات خاصة لتقليص الخطأ في الملاحظات وفي تأويل نتائج الأبحاث. فإذا كان التحيز في رصد الملاحظات، مثلا، يعد مشكلة كبرى، فقد يحاول الباحثون التحكم في هذا النوع من الأخطاء باللجوء إلى ملاحظين مختلفين لمعرفة مدى اتفاق كل واحد مع الآخر. كثيرا ما يمعن الفيزيائيون في عملية التحكم من خلال دراسة المشكلات في المعمل حتى يتمكنوا من التقليل من العوامل الخارجية العارضة. والتحكم، لسوء الحظ، عادة ما يكون أكثر صعوبة في مجال العالم الاجتماعي منه في العالم الفيزيائي، ولذا فإنه فمن العسير تطبيق المنهج العلمي بنجاح على مشكلات عديدة تتعلق بالسلوك الإنساني المعقد.

والمكون الثالث للمنهج العلمي هو *الدقة في استخدام اللغة*. كثيرا ما تأتي تصوراتنا مشوشة، مبهمة، لذا يحاول المنهج العلمي أن يكون دقيقا ومتسقا في استخدامه للغة.

ويتضمن العلم عناصر عديدة لا يسمح المجال هنا بمناقشها، بيد أننا نريد منك أن تضع في الحسبان أن البحث العلمي، إذا ما تم بصورة صحيحة، يعد أحد أفضل مصادر الشواهد لأنه يؤكد على التحقق، والتحكم، والدقة.

مشكلات تعاني منها نتائج الأبحاث

لا يعنى تطبيق البحث العلمي على دراسة مشكلة معينة أن شواهد البحث تصبح آليا ذات موثوقية أو أن تأويل معنى الشواهد يصبح دقيقا. فكما هو شأن اللجوء إلى أي مصدر، يجب مقاربة اللجوء إلى شواهد الأبحاث بشيء من الحذر. وحيث إن الإجابة عن بعض الأسئلة، خاصة تلك التي تتعلق بالسلوك الإنساني، يمكن أن يتم حتى حال وجود أفضل الشواهد بصورة احتمالية، ثمة عدد من الأسئلة المهمة التي يجب طرحها حول الدراسات البحثية قبل أن نقرر مقدار النتائج الذي يجب أن نعتمد عليه.

عندما يلجأ كاتب المقال إلى البحث العلمي كمصدر يستمد منه الشواهد، يجب عليك أن تتذكر الآتي:

1. تتباين الأبحاث العلمية تباينا كبيرا من حيث *جودتها*، من هنا يجب أن يزداد اعتمادنا على بعض الأبحاث دون بعضها الآخر. ثمة أبحاث تُجرى بعناية وأخرى تتم بصورة غير مرضية، ومن ثم يجب أن نعتمد على النوع الأول. ولأن عملية البحث معقدة جدا وعرضة للعديد من المؤثرات الخارجية، حتى المتمرسين على القيام بالبحث العلمي يجرون أحيانا أبحاثا تتضمن عيوبا خطيرة، كما أن النشر في دوريات علمية لا يضمن أن تأتي دراسة بحثية معينة خالية من الكثير من الأخطاء.

2. كثيرا ما تتناقض نتائج الأبحاث. من هنا، فإن دراسة بحثية مفردة منزوعة خارج سياق مجموعة من الدراسات البحثية التي تعالج مشكلة معينة كثيرا ما تقود إلى نتائج مضلِّلة. إن خلاصة الأبحاث التي يجدر أن تحظى باهتمامنا هي تلك التي تتكرر بواسطة أكثر من باحث أو مجموعة من الباحثين. يجب دائما أن نطرح السؤال: "هل تحقق باحثون آخرون من هذه النتائج؟".

3. *لا تبرهن* نتائج الأبحاث على نتائج الحجج، فهي، في أفضل الأحوال، تؤيد تلك النتائج. إن معطيات الأبحاث لا تتحدث عن نفسها! وعلى الباحثين

دائما تأويل معاني معطياتهم، كما أن المعطيات يمكن أن تفسّر بأكثر من طريقة. هكذا، لا يجب أن نعتد بالنتائج التي يتوصل إليها الباحثون كما لو أنها "حقائق" مبرهنة. عندما تقابلك عبارة من قبيل "معطيات البحث تبين أن..."، يجب عليك أن تترجمها إلى "يؤول الباحثون معطيات أبحاثهم على أنها تبين أن...".

4. للباحثين، شأنهم شأن كل واحد فينا، توقعاتهم، وقيمهم، وحاجاتهم التي تؤدي إلى تحيز الأسئلة التي يطرحونها، والطريقة التي يجرون بها أبحاثهم، والطرق التي يؤولون بها معطيات أبحاثهم. والعلم، على الرغم من جهوده الرائعة لتجنب التحيز، ليس محايدا، وليس خلوا من القيمة، كما أنه ليس نشاطا موضوعيا خالصا. كثيرا ما يتكون لدى العلماء مثلا ميل عاطفي نحو فرض معين. وشأن سائر المخلوقات الإنسانية الأخرى اللامعصومة من الوقوع في الخطأ، قد يجد العلماء صعوبة في المعالجة الموضوعية للمعطيات التي تتعارض مع ذلك الفرض. إن أحد دعائم قوة البحث العلمي تكمن في محاولة جعل إجراءاته ونتائجه متاحة للجميع حتى يتمكن الباحثون الآخرون من الحكم على قيمة البحث ومن ثم محاولة تكراره. وعلى الرغم من هذا، وعلى الرغم من المظهر الموضوعي الذي قد يبدو عليه تقرير علمي معين، فإنه دائما ما يتضمن عناصر ذاتية مهمة.

5. كثيرا ما يشوه الكتاب والمتكلمون نتائج العلم أو يفرطوا في تبسيطها. وهنا قد يقع تضارب كبير بين النتيجة التي يستلزمها البحث الأصلي واستخدام الشواهد التي تدعم معتقدات صاحب المقال. فعلي سبيل المثال، قد يزيد الباحثون بدقة النتائج المتضمنة في تقارير أبحاثهم الأصلية، بيد أن الآخرين يستخدمون تلك النتائج دون الاستناد إلى المؤهلات التي قادت إليها.

6. بمرور الوقت تتغير "وقائع" الأبحاث، خاصة تلك التي تتعلق بالسلوك الإنساني. فعلى سبيل المثال، كل "الوقائع" البحثية التالية تؤكدها مصادر علمية محترمة، رغم أن الشواهد البحثية الحديثة تفندها:

- يموت الأعسر في سن أصغر من السن الذي يموت فيه مستخدم يمناه.
- تستفيد النساء الأقل من خمسين عاما من اختبارات فحص الثدي.
- تم اكتشاف المورثة التي تسبب اضطرابات الاكتئاب.
- يساعد الطعام المحتوي على ألياف على منع سرطان القولون.
- تتراكم الآثار المدمرة للطلاق على الأطفال عبر مختلف مراحل حياتهم.

7. تتنوع الأبحاث في اصطناعيتها. فلكي يتم إنجاز هدف التحكم، يفقد البحث غالبا جزءا من خصائصه الطبيعية. وكلما زادت اصطناعية البحث العلمي، زادت صعوبة التعميم من الدراسات البحثية إلى العالم الخارجي. وتتبدى مشكلة اصطناعية الأبحاث العلمية بوضوح عند دراسة ظواهر السلوك الاجتماعي المعقدة. فإذا أراد الباحثون، على سبيل المثال، دراسة الآثار المترتبة على العنف التليفزيوني، فقد يلجأون إلى تعريض الأطفال إلى مشاهدة أفلام الكارتون التي تتضمن مشاهد عنيفة، ثم يلاحظون بعد ذلك عدوانية الأطفال تجاه الدمى. هنا يجب أن نطرح السؤال "هل كان سلوك الأطفال العدواني تجاه الدمى مفرطا في اصطناعيته لدرجة لا تجعله يخبرنا بالكثير عن السلوك العدواني في مواقف أخرى؟".

8. يمكن للحاجة المادية، والوضع الاجتماعي، والأمن، والعوامل الأخرى أن تؤثر في نتائج الأبحاث؛ فالباحثون في نهاية الأمر بشر وليسوا آلات، لذا فإنه يتعذر عليهم أن يكونوا موضوعيين بصورة مطلقة. مثال ذلك، قد يكون اكتشاف الباحثين الذين يحصلون على تمويل مباشر من شركات الأدوية الكبرى لنتائج إيجابية لأدوية تلك الشركات أكثر تكرارا من اكتشاف مماثل يقوم به الباحثون الذين لا تربطهم علاقات شخصية مع تلك الشركات. كما أن ضغوط الترقي والتثبيت في الوظائف، والرغبة في الحصول على منح مالية هائلة، ومغريات الشهرة، قد تؤثر جميعها في نتائج الأبحاث.

وكما ترى، على الرغم من الجوانب الإيجابية العديدة لشواهد الأبحاث، فإننا نرغب في تجنب تبني نتائج الأبحاث بصورة مبتسرة.

مفاتيح لتقييم الدراسات البحثية

طبق الأسئلة التالية على نتائج الأبحاث لتحدد ما إذا كانت تصلح شواهد يعتد بها:

1. *ما قدر جودة مصدر التقرير*؟ إن أكثر التقارير مصداقية هي تلك التي يتم نشرها عادة في دوريات علمية محكمة، وتلك التي لا تقبل أي دراسة إلا بعد أن يراجعها عدد من الخبراء المختصين، وعادة، وإن لم يكن دائما، كلما كان المصدر ذا سمعة عالية، جاءت الدراسة جيدة، ومن هنا حاوِل جاهدا أن تعرف كل ما تستطيع عن مكانة مصدر الدراسة.
2. إضافة إلى جودة المصدر، هل هناك مفاتيح أخرى متضمنة في اقتراحات صاحب المقال تفيد أن البحث تم إعداده جيدا؟ مثال ذلك، *هل يشير التقرير إلى تفاصيل عن مواضع القوة في البحث*؟
3. *هل تم تكرار إجراء الدراسة نفسها*؟ هل توصلت أكثر من دراسة إلى النتيجة نفسها؟ فالنتائج حتى إذا كانت ذات "مغزى إحصائي" يمكن أن تنشأ بالمصادفة الخالصة. فعلى سبيل المثال، عند العثور على ارتباط معين يتكرر بصورة منتظمة متسقة في دراسات معدة إعدادا جيدا، كالعلاقة بين التدخين والإصابة بالسرطان، يتوافر لدينا مبرر لتصديقها، على الأقل حتى يقدم من يختلفون معها شواهد مقنعة تبرر آراءهم.
4. *إلى أي حد كان صاحب المقال انتقائيا في اختيار دراساته*؟ هل تم مثلا استبعاد دراسات مناسبة تتناقض نتائجها مع دراسة صاحب المقال، وهل اكتفى الباحث باختيار الدراسات التي تعضد موقفه؟
5. *هل هناك أي شاهد على وجود تفكير ناقد مكثف*؟ هل أظهر المتحدث أو الكاتب اتجاها ناقدا نحو الدراسات السابقة التي تؤيد وجهة نظره؟

6. *هل توجد أسباب تدعو اي باحث لتحريف نتائج البحث*؟ يجب أن نكون على حذر من المواقف التي يسعى فيها الباحثون للحصول على نتائج بعينها.

7. *هل شروط البحث مصطنعة بحيث تؤدي إلى تشويه البحث*؟ اطرح دائما السؤال "ما مدى تشابه الشروط التي تم البحث في ظلها مع المواقف التي يرغب الباحث في تعميمها؟".

8. *إلى أي مدى يستطيع الباحث تعميم عينات البحث*؟ سوف نناقش هذا السؤال بالتفصيل في الجزء التالي.

9. *هل هناك أي تحيز أو تشويه في المسوح الإحصائية أو الاستبيانات، أو المعدلات، أو أي أدوات قياس يستخدمها الباحث*؟ لا بد أن نتأكد من أن الباحث قام بقياس ما يريد بدقة. وحيث إن مشكلة تحيز الإحصاءات والاستبيانات تمثل إحدى المشكلات المهمة التي تتداخل مع نسيج الأبحاث، سوف نناقشها بالتفصيل في جزء لاحق.

التعميم من عينات الأبحاث

يستخدم المتحدثون والمؤلفون عادة تقارير الأبحاث لتدعيم التعميمات، أي المزاعم المتعلقة بالأحداث بصفة عامة. فعلى سبيل المثال، القول "كان الطلاق ضارا بأطفال عائلة جون" لا يعد تعميما، ولكن القول "الطلاق ضار بالأطفال" يعتبر كذلك. وتعتمد القدرة على التعميم من نتائج الأبحاث على كم، وتنوع، واتساع، وعشوائية اختيار عينة المبحوثين أو أحداث الدراسة. ويطلق على عملية اختيار أحداث أو أفراد الدراسة اسم اختيار العينة.

ونظرا لأن الباحثين لا يستطيعون دراسة كل الأحداث أو كل الأفراد الذين سيتم التعميم من خلالهم، يتعين عليهم تبني طريقة لاختيار العينة؛ وثمة طرق يتم تفضيلها. من هنا يجب أن تضع في حسبانك بعض الاعتبارات المهمة عند تقييم عينات الأبحاث:

1. يجب أن تكـون العينـة كبـيرة بدرجـة تـبرر التعمـيم أو النتيجـة. وفي معظـم الحـالات، كلـما زاد عـدد الأبحـاث أو عـدد الملاحظـين، زادت مـصداقية النتائج. فإذا أردنا صياغة تعميم حول مرات تلقي طلبة الجامعة العـون مـن الآخرين عند إعداد تقاريرهم الدراسية، فمن الأفـضل أن نختـار للدراسـة 100 طالب وطالبة عوضا عن عشرة.

2. يجب أن تكون العينة *واسعة*، أو متنوعة، بما يتوافق مـع نـوع الأحـداث التـي يجب الوصول إلى نتائج بصددها. فإذا أراد الباحثون مثلا الوصول إلى تعميم يتعلق بعادة تعاطي الخمور بصفة عامة لدى طلبة الجامعة، فينبغي أن تكـون شواهدهم مؤسسة على اختيار عينات من طلبة كليـات مختلفـة وينتمـون إلى مراحل دراسية مختلفة. فقد تختلف عـادات تعـاطي الخمـر في كليـة خاصـة صغيرة في الغرب الأوسط الأمريكي عن تلك الخاصة بطلبة جامعة حكومية كبرى في الساحل الغربي. هكذا، فإن الدراسة التي تجرى على طلبـة ينتمـون إلى كلية واحدة تفتقد عنصر العينة الواسعة.

3. من الأفضل أن تكون العينة *عشوائية*. عندما يختار الباحثون عيناتهم عشوائيا، فإنهم يحاولون التأكد من أن الأحداث التي يرغبون في تعميمهـا متـساوية في فرص اختيارها كعينات، ومن ثم فإنهم يحـاولون تجنـب العينـات المتحيـزة، وتحاول مراكز استطلاع الرأي الكبرى مثل مركز Gallop على سبيل المثـال، دائما أن تختار العينات بصورة عشوائية، لأن ذلك يجنبها استخدام مجموعات من الأحداث أو الأفـراد ذات خـصائص متحيـزة. هـل تـستطيع أن تحـدد السمات المتحيزة في كل من العينات الآتية؟

أ. الأفراد الموجودون في منازلهم الساعة الثانية والنصف مساء للرد على هواتفهم.

ب. قراء المجلات النسائية المعروفة الـذين يتـابعون ويجيبـون عـن اسـتطلاعات الرأي في تلك المجلات.

هكذا، يجب أن تطرح على كل الدراسات البحثية السؤال "كم عدد الوقائع والأفراد الذين تشملهم العينة؟ وما مقدار اتساع العينة وما مقدار عشوائيتها؟".

تكمن إحدى المشكلات الشائعة التي تنشأ عن عدم الإدراك الكافي بمحدودية عملية اختيار العينات في مبالغة أصحاب المقالات في تعميم نتائج أبحاثهم، فهم يقرون تعميمات أوسع من التي يتضمنها البحث. لقد أطلقنا في الفصل السابع على مثل هذه التعميمات المبالغ فيها اسم أغلوطة التعميم المتعجل. دعونا نلق نظرة فاحصة على المبالغة في تعميم البحث.

> ينتشر السب باستخدام الألفاظ النابية بين أساتذة جامعاتنا، فلقد أظهرت دراسة حديثة أجريت على ثلاثمائة طالبة في كلية برايسفيل أن أكثر من 20٪ منهن ذكرن تعرضهن لمثل هذا السلوك من قبل أستاذ واحد على الأقل.

إن إجراءات اختيار العينات تمنع الوصول إلى مثل هذا التعميم المسهب. فتقرير البحث السابق يتضمن إمكانية تعميم النتيجة على أي جامعة، في حين أن البحث أجري على جامعة واحدة فقط.

إننا لا نثق حتى بإمكانية تطبيق النتيجة على ذات الجامعة التي أجري فيها البحث، لأننا لا نعرف مقدار العشوائية التي اختار الباحثون بها العينة. إن تقرير البحث يعد معيبا لمبالغته المفرطة في التعميم.

تذكر: لا نستطيع التعميم إلا على أفراد وأحداث تماثل تلك التي درسناها في البحث!

انتبه لاحتمال المبالغة في التعميم! فهو نزوع إنساني قوى متغلغل في النفوس يجب مجابهته باستمرار.

المسوح الإحصائية المتحيزة

المساء ما زال في أوله، وقد انتهيت لتوك من تناول وجبة الغداء؛ يرن جرس الهاتف لتستمع إلى من يقول لك "نحن نقوم باستطلاع رأي الجمهور". هل يمكنك الإجابة على بعض الأسئلة؟ إذا أجبت "نعم" ستكون ضمن الآلاف الذين يشاركون كل عام في استطلاعات الرأي - هذا مثال لأحد طرائق البحث التي ستتكرر أمامك كثيرا. فكر في عدد المرات التي سمعت فيها العبارة "وفقا لاستطلاع حديث للرأي...".

يستخدم المسح الإحصائي عادة لقياس ميول واعتقادات الأفراد؛ ولكن ما درجة جدارته بالثقة؟ يتوقف الأمر على أمور كثيرة! فاستجابات الأفراد للمسح الإحصائي تخضع لمؤثرات عديدة، من هنا ينبغي أن نكون في غاية الحذر عند تأويل ما يتضمنه من معان. دعنا نفحص بعض هذه المؤثرات.

أولا، كي تكتسب استجابات المسح الإحصائي مصداقية، يتعين الإجابة بأمانة على الأسئلة المطروحة، كما يجب أن تعكس التقارير اللفظية المعتقدات والاتجاهات الفعلية. ولكن الناس، لأسباب عديدة، كثيرا ما يحجبون الحقيقة. فهم قد يتطوعون مثلا بتقديم إجابات ظنا منهم أنهم مطالبون بتقديمها، عوضا عن تقديم إجابات تعكس اعتقاداتهم الحقيقية، وقد يظهرون عداء تجاه المسوح أو الأسئلة المطروحة عليهم، وربما يولون تلك الأسئلة اهتماما ضئيلا. إذا حدث وكنت قد شاركت في مسح إحصائي فقد تستطيع التفكير في مؤثرات أخرى خلاف التي ذكرناها.

تذكر: *ليس بمقدورك أن تسلم بأن التقارير اللفظية تعكس بدقة اتجاهات صادقة.*

ثانيا، كثيرا ما يكتنف الغموض عملية صياغة الأسئلة؛ من ثم تصبح عرضة لتأويلات متعددة. كما أن استجابة الأفراد على الأسئلة المطروحة تتباين تباينا كبيرا. تخيل، مثلا، التأويلات المختلفة الممكنة للسؤال المسح الآتي: هل

سعدت بزواجك؟ كلما زاد غموض كلمات المسح قلت ثقتك في مصداقية نتيجته. يجب دائما أن تطرح السؤال "كيف تمت صياغة أسئلة المسح؟" في العادة كلما تمت صياغة السؤال صياغة دقيقة، زاد احتمال تفسيره بصورة متشابهة لدى مختلف الأفراد.

ثالثا، يتضمن المسح الإحصائي العديد من التحيزات/*المبيتة* التي تجعلها أكثر عرضة لإثارة الشكوك. وتعد الصياغات المتحيزة والسياقات المتحيزة أهم تلك الأنواع، كما تعد صياغة الأسئلة بصورة متحيزة إحدى المشكلات الشائعة؛ فتغيير طفيف في طريقة طرح السؤال يمكن أن يكون لها أثر كبير في طريقة الإجابة عن ذلك السؤال. دعنا نفحص نتيجة مؤسسة على استطلاع حديث ومن ثم ننظر في مشكلة المسوح الإحصائية:

> أرسل عضو كونجرس أمريكي استبيانا إلى أعضاء دائرته الانتخابية ثم تلقى منهم الاستجابة التالية: 92٪ صوتوا ضد مراكز رعاية الأطفال التي تدعمها الحكومة.

دعونا الآن نتفحص بعناية السؤال الذي ضمنه عضو الكونجرس المسح السابق: "هل تعتقد أنه يتعين على الحكومة الفيدرالية أن تقيم مراكز رعاية للأطفال كي تساعد الآباء في تنشئة أطفالهم؟" تأمل جيدا هذا السؤال. هل تلاحظ التحيز المبيت المتضمن في الكلمات الرئيسية "تساعد الآباء على تنشئة أطفالهم". ألا تعتقد أن الاستجابة للسؤال كانت لتختلف لو أنه صيغ على النحو التالي: "هل تعتقد أنه يتعين على الحكومة الفيدرالية أن تقيم مراكز رعاية للأطفال لتساعد الآباء غير القادرين على إيجاد بدائل لرعاية أطفالهم أثناء عملهم؟". هكذا، فإن الاستجابات التي تم الحصول عليها على السؤال السابق لا تعد مؤشرا دقيقا يقيس اتجاهات الناس نحو مراكز رعاية الأطفال.

يجب باستمرار فحص أسئلة المسوح والاستبيانات لاحتمال تضمنها على تحيزات. كما يجب عليك أن تنتبه جيدا إلى الطريقة التي تصاغ بها الأسئلة!

هذا مثال آخـر: لقد ميزنا لك الكلمـة التـي تـدل علـى التحيـز بـاللون الأسـود الداكن.

سؤال: هل تعتقد أنه ينبغي أن يسمح لشخص يعاني من اضطرابات الجنسية المثلية أن يضطلع بمهمة تعليم أطفالك الأبرياء.

نتيجة: 75٪ من الناس لا يرغبون أن يعَلم الجنسيون المثليون أطفالهم.

أما تأثير *السياق* على إجابة سؤال معين فمن الممكـن أيـضا أن يكـون قويـا. حتى الإجابات المقدمة عن الأسئلة عينها قد تختلف من اسـتطلاع رأي إلى آخـر، حيث يتوقف الأمر على طريقة عرض الاستبيان وكيفية وضع السؤال في المسح. تأمل السؤال الآتي المتضمن في مسحين إحصائيين حديثين: "هل تعتقد أنـه يجـب أن يسمح للمرأة الحامل بالحصول على حـق الإجهـاض إذا كانـت متزوجـة ولا ترغب في المزيد من الأطفال؟". لقد سبق هذا السؤال في أحد المسحين سؤال آخر هو: "هل يجب أن يسمح للمرأة بالإجهاض إذا تـوافر لهـا دليـل عـلى أن الجنـين مشوه؟"؛ بينما في المسح الثاني لم يسبق السؤال أي سؤال آخر. من هنا فليس مـن المستغرب أن تختلف نتائج المسحين. هل أدركـت كيـف أن الـسياق قـد يـؤثر في استجابات الأفراد.

يعد *طول* الاستبانة عاملا آخر مهما يتعلق بموضوع الـسياق. ففـي المـسوح المطولة، قد تختلف استجابات الأفراد عن الأسئلة التي تكون في بداية المسح عـن تلك التي تأتي في نهايته، ويعزى ذلك ببساطة إلى إصابتهم بالإجهاد. كـن منتبهـا لتأثير عناصر السياق عند تقييم نتائج المسح.

إذا كانت طريقة استجابة الأفراد للمسح تتأثر بعوامل عديـدة غـير معروفـة لنا، كالرغبة في إرضاء البـاحثين، أو طريقـة تأويـل الـسؤال، فهـل لنـا أن نعتـبر شواهد المسوح شواهد جيدة؟ ثمة جدل حاد يدور حول هذا الموضـوع، غـير أن إجابتنا هي "نعم" طالما كنا حـذرين ولا نعمـم أكثـر ممـا تـضمنه الأدلـة. بعـض المسوح أفضل سمعة من بعضها الآخر. كلما زادت درجة جودة المسح، كان أجدر

بك أن تتأثر بنتائجه، وإن كنا ننصحك بالفحص الدقيق لإجراءات المسح قبل التسليم بنتائجه. وعندما تتيقن من سلامة الإجراءات، يمكنك أن تمضي في استدلال تعميمك المؤسس ـ ويجب عند التعميم أن تضع في الحسبان أي تحيز قد تصادفه. فعلى سبيل المثال، إذا انتهيت من مسح استعنت فيه بمشتركي مجلة ذات توجه أيديولوجي معين، يتعين عليك أن تقصر أي تعميم تتوصل إليه على مشتركي تلك المجلة. وعليك أن تدرك أنه حتى المسوح المتحيزة قد تكون ذات فائدة. من هنا فأنت في حاجة لأن تتعرف على ماهية التحيزات حتى لا تتأثر سلبا بما تسفر عنه النتائج.

التقييم الناقد للحجج المؤسسة على الأبحاث

لنشرع الآن في استخدام تساؤلاتنا المتعلقة بالأبحاث في تقييم الحجة الآتية التي تمت فيها الاستعانة بشواهد الأبحاث لتوضيح نتيجة معينة:

> وفق دراسة حديثة، الآباء الذين يحاولون أن يحولوا بين أطفالهم وبين البدانة قد ينتهي بهم الأمر إلى تنشئة أطفال لا يعرفون متى يتوقفون عن التهام الطعام بعد أن يحصلوا على كفايتهم. فقد اكتشفت الدراسة التي أجريت على 77 طفلا بين الثالثة والخامسة من العمر أن الأطفال الأكثر وزنا هم من تكون "أمهاتهم" أكثر تحكما فيما يختص بكميات الطعام التي تسمح لهم بتناولها. فكلما أقرت الأم بزيادة تحكمها في كميات الطعام التي يتناولها الطفل كشف ذلك عن انضباط ذاتي متدن لدى ذلك الطفل كما ذكر كل من جونسون وليان ل. برتش في عدد نوفمبر من دورية طب الأطفال Pediatrics. لقد أجريت تلك الدراسة في مدرسة تمهيدية لمرحلة ما قبل المدرسة تابعة لجامعة إلينوي في تشامبين أربانا. انتهت الدراسة إلى أن الأطفال الذين تدعهم أمهاتهم

يتناولون الطعام بتلقائية أكثر وتسمح لهم بتناول الطعام عندما يشعرون بالجوع، والذين لا يلتهمون بالضرورة كل ما يقدم لهم من طعام، يظهرون استعدادا طبيعيا لتنظيم سعراتهم الحرارية. "وقد يفضي اضطراب هذه الأنظمة الداخلية إلى الإفراط في تناول الطعام في مرحلة الطفولة المتأخرة، مما قد يتسبب في بدانة الطفل" وفقا لرأي أحد خبراء تغذية الأطفال في المركز الطبي لجامعة ستانفورد.

تم عرض البحث في السياق السابق في صورة غير نقدية، فنحن لا نلحظ أي صدى لتفكير ناقد فعال. إن المقال يقبل بطريقة غير ناقدة محصلات البحث. لقد تم نشر الدراسة الأصلية في دورية ذائعة الصيت، بما يوحي بأنها دراسة متميزة. لكن التقرير لا يشير إلى مواضع القوة أو الضعف في الدراسة، وإن كان يقدم بعض التفاصيل حول إجراءات البحث حتى نتمكن من الحكم على قيمته كأساس للتعميم. ليس ثمة ما يفيد أن البحث تم تكراره. أيضا لا نعلم الأسس التي اختار صاحب المقال دراساته وفقا لها، ولا كيفية انسجام هذا البحث مع الأبحاث الأخرى المتعلقة بأسباب البدانة، كما لا نعرف المنافع الشخصية التي عادت على الباحثين، وإن كنا نستطيع أن نقول إن نشر مثل هذا البحث قد يساعدهم في الحصول على منح أو ترقيات، مما قد يجعلهم أقل حذرا في تأويل ما تسفر عنه أبحاثهم.

هل أفرط الباحثون أصحاب الفقرة السابقة في التعميم؟ العينة المختارة صغيرة ـ 77 طفلا ـ فضلا عن عوزها العشوائية والتنوع. إننا نرغب في طرح عدة أسئلة تتعلق بطرق اختيار العينة: كيف تم اختيار هؤلاء الأطفال؟ وكيف تم عرض فكرة الدراسة على الآباء؟ هل هناك شبهة تحيز في اختيار الآباء الراغبين في المساهمة في مثل هذا النوع من الدراسة؟ هل كنا لنحصل على نتائج مماثلة لو اخترنا عائلات أخرى مغايرة عشوائيا يذهب أبناؤها إلى عدد أكبر من المدارس

من مختلف مناطق الدولة؟ يعد الاقتباس السابق مثالا جليا على موضوع الإفراط في التعميم!

هل الاستبيانات متحيزة؟ تخيل أنك أب طلب منه أن يستكمل استبيانا معينا يتعلق بمقدار التحكم في أطفالك. ألا تعتقد أنه بإمكاننا أن نثير شكوكا حول دقة الاستجابات المقدمة لمثل هذه الاستبيانات؟ إن المعلومات المتاحة حول صياغة لغة الاستبيان أو حول ترتيب موضوعاته من الضآلة بحيث لا تسمح بالحكم على غموض صياغة الموضوعات واحتمال تحيز الصياغة وتحيز السياق.

لقد أثرنا شكوكا حول الفقرة السابقة تكفي لزعزعة الثقة في المزاعم الوقائعية التي تقررها. من هنا يجب أن نستعين ببحوث أخرى قبل أن نقرر مصداقية تلك المزاعم.

والآن لننتقل إلى نوع آخر مختلف تماما من الشواهد.

الأمثلة العينية شواهد

> يتحدث مرشح الرئاسة قائلا: لقد قدم برنامج حزبنا المعجزات إلى المرأة في بلادنا. في واقع الأمر توجد بين الحضور أليس جودكيس، وهي سيدة في السبعين من عمرها تجشمت عناء الطيران من بلدة صغيرة في جنوب إلينوي لتكون بيننا اليوم. وبفضل برنامجنا التنشيطي الجديد الخاص بتوظيف كبار السن، فإن أليس تعمل في وظيفة بدوام كامل في إحدى المستشفيات. أليس، ألا تفضلت بالوقوف؟

إن أحد أنواع الشواهد المتكررة التي تتعارض تعارضا واضحا مع نمط الدراسات البحثية الذي وصفناه آنفا، والتي ذكرنا أنه يعتمد على دراسة عينات ضخمة ممثله، يتمثل في الوصف المفصل لشخص أو عدة أشخاص أو أحداث لتدعيم نتيجة معينة. تتأسس مثل هذا الأوصاف عادة على ملاحظات أو

مقابلات تتراوح من حيث العمق والدقة والتسطيح. نطلق على مثل هذه الأوصاف أمثلة عينية.

كثيرا ما يبدأ أصحاب المقالات عروضهم لإقناع الآخرين بتقديم أوصاف مثيرة تتعلق بحالات معينة. فعلى سبيل المثال يبدأ أحد طرق تبرير الحاجة إلى قوانين مشددة للتحكم في انتشار الأسلحة النارية بعرض أوصاف حية مؤثرة تعتمد على دراسات لحالة أفراد أبرياء قتلوا بالأسلحة النارية.

كثيرا ما تؤثر فينا الأمثلة العينية بسبب كونها مفعمة بالحياة، حافلة بالتفاصيل المثيرة، مما يجعلها يسيرة التصور. وقد تزايد اعتماد المرشحين السياسيين على الأمثلة المشخصة في خطبهم، لمعرفتهم أن التفاصيل الثرية للأمثلة تولد ردود فعل عاطفية. على ذلك، يجب علينا اعتبار هذه الحالات مجرد أمثلة مؤثرة أو حكايا وليست براهين، كما ينبغي أن يزداد ارتيابنا عند استخدامها شواهد.

إن مثل هذه الحالات المثيرة تلجأ إلى استدرار عواطفنا وتنأي بنا عن السعي نحو البحث عن المزيد من الشواهد البحثية المناسبة. إن وصفا تفصيليا، مثلا، لأم بدينة مزواجة مترفة تعيش على برنامج المعونة لعشر سنوات حياة تعوزها المسؤولية، وتنجب أطفالا من كل واحد من أزواجها، قد يدفعنا إلى تجاهل المعطيات الإحصائية الأكثر تعبيرا التي تقول أن 10٪ فقط ممن يحصلون على المعونة يستمرون على قائمة تلك البرامج لفترة تزيد على أربع سنوات.

انتبه لاستخدام الأمثلة العينية كإثبات!

على الرغم من أن الأمثلة العينية تتسق مع النتيجة، لا تدع هذا الاتساق يخدعك. اسأل نفسك دائما: "هل المثال نمطي متكرر؟" هل هناك أمثلة مضادة قوية؟ هل يوجد تحيز في طريقة عرض المثال؟ هل الأمثلة الشخصية تكون مفيدة في بعض الأحوال، حتى وإن لم تكن شواهد جيدة؟ بالتأكيد نعم! فهي شأنها شأن الخبرات الشخصية، تظهر إمكانات مهمة، كما أنها تسبغ طابعا شخصيا إنسانيا

على الإحصاءات المجردة. وهي تيسر للأفراد الارتباط بموضوع معين ومن ثم يزداد اهتمامهم بذلك الموضوع.

المماثلة شاهدا

تأمل بدقة بنية الحجج القصيرة الآتية، ركز انتباهك على المبررات المؤيدة للنتائج.

- لا يمكن للتعليم أن يؤهل الرجال والنساء للزواج. إن محاولة تأهيلهم تعليميا للزواج تشبه محاولة تعليمهم السباحة دون السماح لهم بالنزول إلى الماء. القيام بذلك أمر مستحيل.
- من المسئول عن كل هذا السلوك اللاأخلاقي في الإدارة الحالية؟ ليس من شك في أنه الرئيس. يبدأ فساد السمكة، في الواقع، من رأسها.

ليس من شك في أنك لا ترغب أن تدخل جسدك ملعقة مليئة بالزرنيخ يوميا. لذا فإنني لا أفهم سبب استمرارك في التدخين، فكلاهما يمكن أن يقضي عليك.

تستخدم الحجج الثلاث السابقة المماثلة شواهد مؤيدة، ويختلف هذا النمط من الشواهد اختلافا جوهريا عن أنماط الشواهد التي قمنا بتقييمها من قبل. كيف لنا أن نقرر ما إذا كان شاهد ما محكما؟ قبل المضي في القراءة، حاول أن تحدد قوة تأثير الحجج الثلاث السابقة.

كثيرا ما يحاول أصحاب المقالات البرهنة على نتيجة تتعلق بأمر لا يكونون نسبيا على ألفة به. من هنا يلجأون إلى استخدام المماثلة باعتبارها أحد أنواع الشواهد. وهم يبررون حججهم على النحو التالي: إذا كان الموضوعان متشابهين في أحد الجوانب فمن المحتمل أن يتشابها في جوانب أخرى.

فعلى سبيل المثال، عندما سعى الباحثون في البداية إلى معرفة سبب مرض

الإيدز، طابقوا بينه وبين أمراض بدت تشاركه في بعض السمات، مثل التهاب الكبد الوبائي، ومن ثم حاولوا استدلال نتائج تتعلق بسبب الإصابة بالإيدز وفق ما يعرفونه من معلومات عن الإصابة بتلك الأمراض المماثلة. ونحن نستدل بطريقة مماثلة عندما نقرر مشاهدة فيلم معين لأن صديقا لنا أوصى بذلك؛ فنحن ننتقل من القول بأنه نظرا لأننا نشبه بعضنا بعضا في العديد من الأمور التي نحبها أو نمقتها، فإننا سنستمتع بمشاهدة الفيلم نفسه.

سوف نشير إلى الحجة التي تستخدم تشابها معروفا بين شيئين كأساس لنتيجة تتعلق بخصائص غير معروفة نسبيا عن واحد منهما باسم الاستدلال بالمماثلة. ويعد الاستدلال بالمماثلة أحد الطرق الشائعة لتقديم شواهد تدعم النتيجة.

والمماثلة تقدح زناد الاستبصار لكنها تخدعنا في نفس الوقت. فمثلا، تعد المماثلة خصبة بناءة بدرجة عالية في الاستدلال العلمي والقانوني. فنحن حين نستدل على نتائج تتعلق بالبشر على أساس أبحاث أجريت على الفئران، فإننا نستنتج ذلك بالمماثلة. كما أن الكثير من أفكارنا حول بنية الذرة هو استدلال بالمماثلة. وعندما نتخذ قرارا في قضية قانونية، فقد نؤسس ذلك القرار على المماثلة بين تلك القضية وقضايا سابقة. فعلى سبيل المثال، عندما يناقش القضاة موضوعا ما إذا كان منع حرق علم الدولة يعد انتهاكا لقوانين حق التعبير التي يكفلها الدستور، يتوجب عليهم أن يقرروا ما إذا كان حرق العلم يشبه من بعض الوجوه حرية التعبير؛ من هنا، فهم يستدلون بالمماثلة. مثل هذا الاستدلال يمكن أن يكون مقنعا حافلا بالتبصر.

غير أن استدلالات المماثلة قد تكون بالمثل خادعة. فأحد الرؤساء السابقين لأحد الدول الأوربية، على سبيل المثال، استخدم لونا من ألوان المماثلة للدفاع عن إعدام المتهمين باقتراف جريمة الزنا، والدعارة والجنسية المثلية.

> ماذا تفعل إذا أصيب إصبعك بالغرغرينا؟ إنك لا تترك الغرغرينا تصيب يدك كلها ومن ثم جسمك بأكمله. كلا،

> وإنما تجتث الإصبع المصاب. الأمر مماثل مع الفساد. من هنا ينبغي أن نجتث الفساد.

هل تماثل الغرغرينا الزنا والدعارة والجنسية المثلية؟ إطلاقا. من ثم فإن المماثلة هنا خادعة تماما. عندما أحرقت بعض المجتمعات أفرادا لأنهم اعتبروهم "سحرة"، اعتمدوا على استدلال يوظف مماثلة خاطئة.

تقييم المماثلة

نظرا لأن الاستدلال بالمماثلة شائع الاستخدام ويحمل إمكانية أن يكون مقنعا وخادعا في الآن عينه، ستكتشف أنه من المفيد لك الإقرار بمثل هذا اللون من الاستدلال وأن تعرف كيف تقيمه بصورة منتظمة. ولكي تحكم على جودة المماثلة، يتعين عليك أن تهتم بعنصرين:

1. عدد الجوانب التي يتشابه ويختلف فيها الموضوعان اللذان نقارن بينهما.
2. *تعلق* أوجه التشابه والاختلاف بهذين الموضوعين.

تحذير: تستطيع على وجه التقريب دائما أن تعثر على بعض أوجه التشابه بين أي شيئين. من هنا، فالاستدلال بالمماثلة لا يكون مقنعا لمجرد وجود العديد من أوجه التشابه. فالمماثلة القوية تقتضي أن يكون للشيئين اللذين تتم المقارنة بينهما أوجه تشابه وأوجه اختلاف مناسبة. وتحاول كل المماثلات أن توضح المبادئ الأساسية الكامنة خلفها. والتشابهات والاختلافات المناسبة هي تلك التي ترتبط مباشرة بالمبادئ الكامنة التي توضحها بالمماثلة.

دعونا نفحص سلامة الحجة الآتية القائمة على المماثلة:

> لا أسمح لولدي بمغادرة المنزل عندما يصاب بالأنفلونزا أو الحصبة. فلماذا يرغب أولئك الآباء أن يبعثوا بصغارهم المصابين بمرض الإيدز إلى المدارس؟ هل يشعر هؤلاء الأطفال بالرغبة في الجري، والقفز، واللعب بينما هم

مرضى؟ أنت لا تسمح لابنك المريض بالحصبة أن يذهب إلى المدرسة؛ إذن فالأولى أن تدعه في المنزل إذا كان مصابا بالإيدز، فهو في نهاية الأمر مريض.

أحد أوجه التشابه الأساسية بين الحصبة والإيدز تتعلق بإمكان نقل المرض بسبب إرسالهم إلى المدرسة. غير أننا نلاحظ أيضا بعض أوجه الاختلاف. فالحصبة تصاحبها أعراض حادة تتلاشى بالتدريج، كما أن فيروس الحصبة ينتقل بسهولة من شخص مصاب إلى آخر معافى. أما تطور أعراض مرض الإيدز فلا يمكن التنبؤ بها بسهولة، فقد تمر فترة طويلة على المريض دون أن تظهر عليه أعراض حادة. كما أن هذا المرض لا ينتقل بسهولة بين الأشخاص لأن انتقاله يتم عن طريق الدم. من هنا، فكثيرا ما يشعر الأطفال المصابون بالمرض بالقدرة التامة على الالتحاق بالمدرسة، ووفقا لمعرفتنا الراهنة، يبدو أنه من غير المرجح بدرجة كبيرة انتقال المرض من شخص إلى آخر. وحيث إن للاختلافات السابقة دور مؤثر في قرار استبعاد الطفل من المدرسة، من هنا فهي اختلافات مهمة تتعلق بالموضوع؛ هكذا تفشل تلك المماثلة في أن تقدم دعما قويا للنتيجة.

ثمة إستراتيجية أخرى قد تساعدك في تقييم الاستدلال بالمماثلة تتمثل في أن تقدم من عندك مماثلات بديلة لفهم نفس الظاهرة التي يرغب المؤلف أو المتحدث في فهمها. فهذه المماثلات التي تقدمها إما أن تؤيد أو تتناقض مع النتائج المستدلة من المماثلة الأصلية. فإذا تناقضت مع النتيجة فإنها في هذه الحالة تكشف عن مشكلات متضمنة في الاستدلال الأصلي بالمماثلة.

على سبيل المثال، عندما يزعم المؤلفون أنه ينبغي أن يسمح لمدمني المشروبات الكحولية بمزايا التأمين الصحي، والحصول على الإجازات المرضية من العمل، فضلا عن المزايا الأخرى المرتبطة بأمراض الغفلة، فإنهم يستخدمون لونا من ألوان المماثلة لاستخلاص النتائج المتعلقة بأولئك المدمنين. ذلك أن إدمان المشروبات الكحولية يماثل الأمراض التي ترد إلى أسباب بيولوجية. غير أن

مؤلفين آخرين استعانوا بمماثلة بديلة، زاعمين أن إدمان المشروبات الكحولية يماثل "انكسار الإرادة". لاحظ كيف أن التفكير في هذه المماثلة المختلفة الأخيرة قد يخلق شكوكا في قدرة المماثلة الأصلية على الإقناع.

واليك أحد الطرق المثمرة التي تستطيع أن تحصل بها على المماثلات الخاصة بك.

1. حدد بعض السمات المهمة للموضوع الذي تقوم بدراسته.
2. حاول أن تحدد مواقف أخرى مغايرة ذات خصائص مشابهة تكون على ألفة بها. أطلق العنان لخيالك. العصف الذهني. حاول أن تتخيل مواقف مختلفة.
3. حاول أن تحدد ما إذا كانت المواقف المألوفة يمكن أن تزودك ببعض الاستبصارات حول المواقف غير المألوفة.

على سبيل المثال، عند تفكيرك في موضوع إدمان المشروبات الكحولية، تستطيع أن تفكر في المواقف الأخرى التي يلتمس فيها الأفراد إشباعا لرغباتهم رغم الآثار السلبية المحتملة على المدى البعيد. هل فكرت في أمور من قبيل التدخين، تناول الطعام، أو المقامرة؟ هل تحفزك هذه الأفكار على التفكير في طرق أخرى تتعلق بإدمان المشروبات الكحولية؟ لعلك الآن أصبحت قادرا على التقييم المنهجي للحجج الثلاث القصيرة التي وردت في مستهل هذا الجزء. اطرح السؤال الذي تود طرحه لتحدد بنية الحجة. ثم اطرح بعد ذلك الأسئلة التي تقيم من خلالها الحجة. ابحث عن أوجه التشابه والاختلاف المتعلقة بالموضوع. وفي العادة كلما ارتفعت نسبة العناصر المتشابهة مقارنة بالعناصر المختلفة المناسبة كانت المماثلة أقوى. كما تكون المماثلة مقنعة بدرجة مؤثرة إذا لم تعثر على عناصر مختلفة مناسبة بينما استطعت العثور على شواهد جيدة تدلل بها على أن أوجه التشابه المتعلقة بالموضوع موجودة بالفعل.

لقد عثرنا على عناصر اختلاف مناسبة أضعفت الأمثلة الثلاثة الأولى للمماثلة. قارن تقييمك لها مع القائمة الآتية:

(المثال الأول) المهارات الأساسية المطلوبة للسباحة الناجحة مهارات حركية؛ بينما تختلف الكثير من المهارات المطلوبة للزواج الناجح عن مثل هذه المهارات الحركية. فهناك مهارات من قبيل إدارة الأموال والتواصل يمكن تعلمها بعيدا عن موضوع الزواج.

(المثال الثاني) تعمل " أقسام" الإدارة السياسية بصورة أكثر استقلالا عن عمل "أجزاء" السمكة. يمكن للسلوك اللاأخلاقي المتدني أن ينشأ عن أسباب مختلفة معقدة.

(المثال الثالث) عند التسمم بالزرنيخ، يكون الموت مباشرا وحتميا، لكن في حالة التدخين، لا تبين الإحصاءات أن الموت يكون مباشرا أو حتميا. أيضا يقدم التدخين درجة عالية من الرضا والاستمتاع المباشر، بينما الزرنيخ لا يقدم ذلك.

وتندرج المماثلة الخادعة أو المضللة تحت تعريفنا لمغالطات الاستدلال؛ حيث يطلق على هذا اللون من الخداع اسم أغلوطة المماثلة الخاطئة.

- **أغلوطة المماثلة الخاطئة:** وترتكب عند اقتراح مماثلة تحتوى على أوجه اختلاف متعلقة مهمة.

بهذا المعنى، كل المماثلات خاطئة لأنها تتضمن الافتراض الخاطئ القائل إنه بسبب تشابه شيئين في جانب أو أكثر، يترتب بالضرورة تشابههما في جوانب أخرى مهمة. لعله من الأفضل أن تنظر إلى المماثلات على أنها تتدرج من مماثلة في غاية الضعف إلى أخرى في منتهى القوة. ولكن حتى أفضل المماثلات تبقى فقط مجرد عامل مساعد ملهم. هكذا، إذا استدل مؤلف معين على نتيجة تتعلق بحالة معينة من خلال مقارنة حالة أخرى، يتعين عليه أن يقدم المزيد من الشواهد لدعم المبدأ الذي تكشف عنه أفضل مماثلة ذات مغزى.

تلخيص

لقد استمر اهتمامنا في هذا الفصل بموضوع تقييم الشواهد، وقد قمنا بمناقشة الأنواع التالية من الشواهد: الملاحظة، الدراسات البحثية، الأمثلة العينية والمماثلة. ولكل مصدر من المصادر السابقة قوته وضعفه. عادة، تستطيع أن تعتمد باطمئنان على المزاعم التي يؤيدها المؤلفون أو الكتاب مباشرة بواسطة البحث العلمي المكثف. غير أن هناك موضوعات عديدة لم يحسمها البحث العلمي بعد، ومن ثم، يتعين على العلماء أن يلجأوا في فهمها إلى أبحاث علمية غير مكتملة وعلى المصادر الأخرى للشواهد. يجب أن تكون منتبها للمزاعم التي تدعمها ملاحظات متحيزة، والأبحاث ذات التصميم الضعيف، أو المماثلة المعيبة. عندما تصادف أي شاهد، يتعين عليك أن تحدد جودته بالسؤال، "ما جودة الشاهد؟".

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *ما قدر جودة الشاهد؟*

قم بتقييم الفقرات الآتية عبر فحص جودة الشاهد المتضمن.

النص 1

إلى أي حد تؤثر المشكلات العاطفية والأكاديمية في الأطفال بالتبني أكثر من تأثيرها في أقرانهم من غير المتبَنين؟ للإجابة عن هذا السؤال، تم تقييم التطورات السيكولوجية والأكاديمية في عينة تتكون من 130 طفلا بالتبني و 130 طفلا من غير المتبنين تتراوح أعمارهم ما بين السادسة والحادية عشر، وقامت الأمهات والمعلمون بتقييم تلك التطورات. وقد تم تكليف عائلات من نيو جرسى، بشرق بنسلفانيا ومدينة نيويورك بالاستعانة بجماعات مساعدة الأطفال بالتبني، مؤسسات التبني، إعلانات الصحف، والأحاديث الشفهية. أما عائلات المجموعة غير المتبناة فقد تم اختيارهم من خمس مدارس

مختلفـة تنتمـي لمنـاطق أخـرى في نيـوجرسي ومـن خـلال إعلانـات الصحف. وقد حصل الأطفال المتبنون على درجات أعلى فـيما يخـتص بالمشكلات السيكولوجية والسلوك الدراسي، وعلى درجات منخفضة فيما يختص بالفعالية الاجتماعيـة والتحـصيل الـدراسي بدرجـة تفـوق الدرجات التي حصل عليها الأطفال غير المتبنين. تؤيد النتائج السابقة الموقف القائل أن نمو المشكلات العاطفية والدراسية يزداد خطرا عنـد الأطفال بالتبني.

النص 2

إننا في حاجة إلى نظام إجباري متسق يتعلق بعقـاب المجـرمين. دعونـا نحدد أرقاما معينة لكل فعل إجرامي تتناسب مع قسوة ذلـك الفعـل، ثم نحدد وفقا لذلك عقوبة للفعل. تلك هي الطريقة الوحيدة العادلـة التي نضمن بها أن القضاة سيحكمون على المجرمين بعقوبـات عادلـة. إن وضع قيمة عددية لجريمة معينة لا يختلف كثيرا عن حساب دخـول اللاعب إلى منطقة النهاية في كرة القدم الأمريكية بستة نقاط وحـساب إحرازه هدفا من ركلة أرضية بثلاث نقاط.

النص 3

حقا، إن أحد أعظم الحريات التي نتمتع بها كأمريكيين هي حقنا في نقد ساستنا. غير أننا نحتاج لرسـم الحـدود التـي تقـرر متـى تـضر حريـة الحديث بجهودنا لكسب المعركة ضد الإرهاب. يقول جسـتس هـولمز إن من يرفع عقيرته صائحا: "حريق!" وسط مـسرح مـزدحم يـسبب مخاطر جلية داهمة ولا يعد فعله من قبيل التعبير الذي يستحق الحمايـة. من الواضح أن التفوه بأمور قد تضر بجهـود الحـرب ضـد الإرهـاب يخلق مخاطر جلية داهمة. ألم يقترح هولمز رسم خط فاصل بينهما؟

إن أولئك الذين يجادلون ضد حظر مثل هذا النوع من الأحاديث قلة. في ربيع 2002، تم إجراء مسح إحصائي لعينة من مائة شخص في مركز تجاري ضخم في هيوستن بولاية تكساس، وتم سؤالهم عما إذا كانوا يؤيدون الجهود الرامية إلى تقييد الحديث اللاوطني المناوئ للحرب الذي من شأنه أن يضر بجهود الدولة في حربها ضد الإرهاب. أجاب ثمانون في المائة من تلك العينة بنعم على ذلك السؤال.

عينات من الأجوبة:



النص 1

التيجة: *خطر المشكلات العاطفية والأكاديمية في الأطفال بالتبني أكبر من خطرها في حالة غير المتبنين.*

المبرر: *حصل الأطفال المتبنون على درجات أعلى فيما يختص بالمشكلات السيكولوجية ومشكلات السلوك المتعلق بالدراسة وعلى درجات منخفضة فيما يختص بالفعالية الاجتماعية والتحصيل الدراسي بدرجة تفوق الدرجات التي حصل عليها الأطفال غير المتبنين.*

هذه مجرد دراسة مفردة، وبودنا أن نعرف قدر نمطية هذه النتائج في الأبحاث الأخرى في هذا المجال. أيضا فإننا لا نستطيع أن نعرف من المعلومات المطروحة ما إذا كانت الدراسة نشرت في مجلة علمية حسنة السمعة. على ذلك، نستطيع أن نطرح بعض الأسئلة المفيدة بخصوص هذه الدراسة. من الواضح أن حجم العينة كبير إلى حد مناسب، وعلى الرغم من أنها أخذت من عدة ولايات إلا أن سعتها موضع شك. إلى أي حد كان حجم الأسر، مستوى الدخل، وأعمار الآباء نمطيا في الأسر المتبنية؟ لعل أهم مشكلة في طريقة أخذ العينات هي افتقار العينة للعشوائية. بحسبان إجراءات الاستقطاب، هل كانت هناك عوامل انتقائية جعلت بعض الآباء يتطوعون للاشتراك في الدراسة، وهل اختلفت هذه العوامل الانتقائية في حالة الأسر المتبنية عنها في حالة غيرها من الأسر. قد تكون الأسر

المتبنية مثلا أنزع بوجه عام إلى التطوع حتى لو كان أطفالها يعانون من مشاكل. إذا كانت مثل هذه العوامل الانتقائية فاعلة، فإن العينة متحيزة.

ما مدى دقة قياسات الترتيب؟ هل يمكن الثقة في قدرة تراتيب الآباء والمدرسين على تبيان التكيف العاطفي بدقة؟ ما مدى موضوعية تراتيب الآباء والمدرسين؟ هل تؤثر الدراية بأن الطفل متبني في تحديد رتبته؟ بودنا أن نعرف المزيد حول دقة هذه التراتيب قبل أن نضع ثقتنا في النتيجة.

النص 2

النتيجة: *الأحكام المثبتة للمجرمين رغبية.*

المبرر: *تحديد أحكام المجرمين شبيه بتحديد نقاط لعبة كرة القدم.*

يحاول المؤلف إثبات تشابه مهم: بين تحديد نقاط الوصول إلى منطقة النهاية في لعبة كرة القدم الأمريكية وتحديد نقاط للجريمة. أيضا فإن نظام النقاط يجعل لعبة كرة القدم منصفة. غير أن تحديد نقاط لفعل إجرامي عملية أكثر تعقيدا بكثير من عملية تحديد نقاط الوصول إلى منطقة النهاية. مثال ذلك، في حين لا نعتبر ظروف الوصول إلى تلك المنطقة أمرا مهما في كيفية منح النقاط، قد نعتبر ظروف الجريمة غاية في الأهمية لتحديد قدر عقاب المجرم. أيضا، قد نحبذ المرونة واعتبار العامل الإنساني في عملية إقرار العقوبات الجنائية التي تعد حاسمة، خلافا لما يحدث في سياق كرة القدم ـ التي هي مجرد لعبة. ربما يكون القضاة أقدر على تحيد العقوبة المناسبة للجريمة بسبب خبرتهم وألفتهم بالقضية. وبسبب العدد الكبير من أوجه الخلاف، نخلص إلى أن هذه المماثلة ليست غاية في الأهمية.

تلخيص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

ما قدر جودة الشواهد؟

عندما يقدم مؤلف معين تبريرا يؤيد به نتيجة معينة، يجب أن تبحث عن السبب الذي يجعلك تؤمن بهذا التبرير. من خلال تحديد الشاهد المقدم لدعم تبرير معين، فإنك تمضي خطوة أخرى إلى الأمام في عملية تقييم أهلية التبرير. فإذا كان الشاهد الذي يؤيد التبرير محكما، فإنك تستنتج أن التبرير يؤيد النتيجة بصورة جيدة. من هنا، فإنك قد تصبح أكثر رغبة في قبول نتيجة المؤلف إذا قدم شاهدا محكما لتأييد تبرير معين، والذي يقدم بدوره تأييدا قويا للنتيجة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الملاحظات الشخصية، الدراسات البحثية، الأمثلة العينية، والمماثلة في كل من الأمثلة الآتية:

1. لا أعتقد مطلقا أن الإنترنت يمكن أن تكون مصدرا موثوقا يستخدمه الطلبة في أعمالهم، على الأقل إذا ظلت دون ضوابط كما هو الحال عليه الآن. إذا استمرت الإنترنت في ظل هذا الكم الهائل من المواقع دون وجود طريقة محددة للتحقق من مصداقية المعلومات التي تعرضها، فستبقى مجرد وسيلة غير مأمونة العواقب.

2. الشخص الأول: الالتحاق بكلية صغيرة أفضل كثيرا من الالتحاق بجامعة كبيرة، لأن الجامعات الكبيرة لا تقدم الرعاية الشخصية والاهتمام الذي تمنحه الكليات الصغيرة. فالجامعات الكبيرة تعجز عن الاستجابة لحاجات كل طالب وطالبة بنفس الطريقة التي تستجيب بها الكليات الصغيرة لهذه الحاجات. إن الجامعات الكبيرة تشبه الفيل الضخم الذي يتحرك ببطء محطما كل الأشجار الصغيرة في طريقه.

الشخص الثاني: أنا أخالفك الرأي، لأنني أعتقد أنه كلما زاد عدد الطلبة الملتحقين بجامعة معينة زادت وتنوعت المقررات والخدمات التي تقدمها الجامعة. إنني أعتقد أن الجامعات تشبه حفلات عيد الشكر التي يحضر كل مدعو فيها طبقا من أطباق الطعام التي يفضلها، وكلما زاد عدد المدعوين، زاد عدد الأطباق التي يحضرونها معهم ومن ثم تنوعت الوجبات المقدمة.

3. أظهرت دراسة حديثة أن الملاكمين يعانون من تلف خلايا المخ نتيجة الرياضة العنيفة التي يمارسونها. لقد اتصل الباحثون القائمون على تلك الدراسة هاتفيا بثلاثة وعشرين ملاكما ممن اعتزلوا اللعبة وممن كانوا (1) بين الخامسة والعشرين والستين من العمر، (2) يعيشون حاليا في ولاية نيويورك، (3) لم

يعتزلوا الملاكمة لأسباب صحية، أو لمرض عصبي، أو أسباب نفسية، (4) اعتزلوا الملاكمة قبل عام على الأقل من القيام بالدراسة، (5) لم يكن لهم تاريخ مرضي عضوي أو عصبي أو نفسي، (6) لم يعرف عنهم الإفراط في تعاطي المشروبات الكحولية أو المخدرات. وقد تطوع ثمانية عشر ملاكما من بين العدد السابق للمشاركة في الدراسة. وقد اشتملت المجموعة على بطلين محترفين سابقين وثلاثة منافسين مصنفين ضمن الفئة ذات المستوى الرفيع، وملاكم واحد كان معروفا بضرباته الساحقة؛ أما الآخرون فعرف عنهم أنهم ملاكمون فنانون أجادوا استخدام العلم في توقع الضربات والدفاع عن النفس. واقتضت الدراسة مرور كل ملاكم بفحوص عصبية، وفحص مقطعي بالأشعة للمخ (لقياس مقدار ضمور المخ) واختبارات كهربية وسيكولوجية أخرى. وقد كشف الباحثون عن وجود شواهد تبين حدوث تلف بالمخ في اختبارين على الأقل لدى ثلاثة عشر ملاكما من بين خمسة عشر ملاكما محترفا، وشواهد أخرى تبين وجود تلف مخي طفيف لدى الملاكمين الهواة الثلاثة المشاركين. وانتهى المؤلفون إلى أن تلف المخ يتكرر عند الملاكمة المحترفين.

10

الأسباب المنافسة

دعونا نستهل هذا الفصل بالقصة التالية:

> بعد أن هيأ الباحث بدقة الظروف لبرغوث كي يقفز خارج الصندوق عقب سماعه صوتا مرتفعا، قام بقطع الزوج الأول من أرجله ليرى أثر ذلك علي سلوكه. عندما لاحظ أن البرغوث ما زال قادرا على القيام بالمهمة، قام بقطع الزوج الثاني من أرجله . وعندما لم يلحظ اختلافا في أدائه، اجتث الزوج الأخير من أرجل الحشرة ليكتشف أنه لم يعد يستطيع القفز. وهنا، دوّن الباحث في مذكراته "عند قطع كل أرجل البرغوث، يفقد حاسة السمع".[1]

توضح هذه القصة هدفا مشتركا من وراء استخدام الشواهد: الإجابة عن السؤال "ما سبب حدوث أمر معين؟". مثلا، ما السبب في انخفاض معدل جرائم القتل في الولايات المتحدة عام 2000؟ أو ما السبب في زيادة معدل حالات الاكتئاب بين المراهقين خلال العقد الماضي؟

---

(1) Adopted from Schuyler W Huck and Howard M. Sandler, *Rival Hypotheses* (New York Harper & Row, 1979), p xiii

توضح القصة أيضا صعوبة سائدة عند استخدام الشواهد للبرهنة على أن شيئا سبّب شيئا آخر – مشكلة *الأسباب المنافِسة*. قدم الباحث المتخيل في الفقرة السابقة تأويلا واحدا لمحصلات بحثه: وهو أن قطع أرجل البرغوث يؤثر على قدرته على السمع. نتوقع أنك تستطيع العثور على تأويل آخر أكثر معقولية يفسر عدم قدرة الحشرة على القفز.

وهكذا، توضح هذه القصة أن الشاهد نفسه يمكن أن يتسق مع العديد من التأويلات المختلفة. نشير إلى هذه التأويلات المختلفة بمصطلح الأسباب المنافسة. وكما يشير استخدامنا للمصطلح، فإن الأسباب المنافسة تشتمل على بعض التأويلات البديلة، التي تختلف مع تأويل صاحب المقال لسبب حدوث الأشياء على النحو الذي وقعت عليه.

رغم أن الأسباب المنافِسة نادرا ما تكون بوضوحها في قصتنا السابقة، كثيرا ما ستواجه خبراء يعرضون عليك فرضا يفسرون به أحداثا أو نتائج بحث معين في الوقت الذي يمكن لفرض آخر أن يفسر هذه الأحداث أو تلك النتائج. وفي العادة لا يكشف لك هؤلاء الخبراء عن الأسباب المنافسة، حيث يتوجب أن تعثر عليها بنفسك. ويمكن لهذا الأمر أن يساعدك في الإجابة عن السؤال "ما قدر

جودة الشواهد؟" لأن وجود أسباب منافسة متعددة محتملة للأحداث يقلل من ثقتنا بالسبب الأصلي الذي يقدمه المؤلف.

ودائما ما يكون البحث عن أسباب منافسة ضروريا حين يقدم لك المتحدث أو المؤلف بعض الشواهد ثم يقدم سببا لتفسيرها.

سؤالنقدي: هل *توجد أسباب منافسة؟*

انتبه: السبب المنافس تأويل ممكن، يختلف عن تأويل المؤلف، يمكن أن يفسر لنا سبب حدوث نتائج معينة.

متى نبحث عن أسباب منافسة

يجب أن تبحث عن أسباب منافسة عندما يكون لديك سبب وجيه للاعتقاد في أن المؤلف أو المتحدث يستخدم الشواهد لتعضيد زعم ما عن سبب حدوث شيء ما. مصطلح سبب يعني "يحدث، يؤثر، يجعل الشيء متحققا". وهناك عدة طرق تبين لك استخدام أصحاب المقالات للتفكير السببي سوف نذكر لك بعضها.

س له الأثر...

س تيسر عمل...

س تؤدي إلى...

س تؤثر في...

س عنصر في...

س ترتبط بـ...

س تتصل بـ...

س تعوق عمل...

يترتب على س....

س تزيد من احتمال حدوث...

س تحدد...

س تسهم في...

س تتعلق بـ...

يجب أن تساعدك الملاحظات السابقة على إدراك استخدام صاحب المقال المزاعم السببية. حين تلاحظ مثل هذه المزاعم، انتبه لاحتمال وجود أسباب منافسة.

شيوع الأسباب المنافسة

مساء الأحد 23 ديسمبر عام 1888، قطع فنسنت فان جوخ، الذي كان عمره آنذاك 35 عاما، الجزء الأسفل من أذنه اليسرى، ثم ذهب إلى أحد بيوت البغاء، حيث قدم الأذن المقطوع إلى بغي اسمها راشيل وطلب منها أن "تحفظ ذلك الشيء بعناية".

قدم المؤلفون العديد من الفروض لتفسير هذه الواقعة؛ من بين هذه التفسيرات:

1. كان فان جوخ محبطا من حدثين وقعا له مؤخرا وهما: خطبة أخيه ثيو من الفتاة التي كان فان جوخ متيما بها، ثم فشله في محاولة إقامة علاقة عمل وصداقة مع بول جوجون. انصبت ردود فعل فان جوخ العدوانية التي أثارتها هذه الاحباطات في البداية نحو جوجون، ثم تحولت إليه هو شخصيا بعد ذلك[1].

(1) William M. Runyan, *Life Histories and Psychobiography* (New York: Oxford University Press, 1982): 38-39.

2. كان لدى فان جوخ تعاطف كبير مع البغايا وقد توحد مع وضعهن باعتبارهن منبوذات اجتماعيا. أحد الافتراضات يذهب إلى أن حادث تمثيله بنفسه كان انعكاسا لهذا التوحد. "في يونيو، قبل قطعه لأذنه بأشهر قليلة، كتب فان جوخ يقول إن البغي تشبه قطعة اللحم في محل القصاب؛ وهكذا، عندما تعامل مع جسده باعتباره قطعة لحم في محل قصاب فقد عكس الأدوار، لأنه توحد مع البغي، مظهرا تعاطفه معها"[1].

3- من المحتمل أن فان جوخ مر بخبرات هلوسة سمعية مخيفة خلال هجومه العصابي تماثل تلك التي كان يمر بها في نوباته الأخرى. بعد وقوع ذلك الحادث، وبينما كان في المصحة العقلية، كتب يقول إن المرضى الآخرين يسمعون أصواتا غريبة تماثل تلك التي كان يسمعها، وذكر في إحدى المرات أن السبب في ذلك يرجع إلى مرض ينتاب أعصاب الأذن. هكذا، حتى عندما كان يمر بحالة عصابية، كان فان جوخ قادرا على معرفة أن أذنه معتلة ومن ثم فقد قام بقطعها كي يخرس الأصوات المزعجة[2].

في الآونة الأخيرة، مر مثال فان جوخ والأذن المفقودة بمنعطف كثيرا ما يتكرر عند البحث عن الأسباب. اتضح أن السبب المنافس الذي لم يعره أحد اهتماما هو السبب الأكثر ترجيحا. الشواهد الحديثة تذهب إلى أن فان جوخ كان يعاني من التهاب في الأذن الوسطى، وأنه قطع أذنه ليخفف من الآلام المبرحة.

والآن لنترك مثال فان جوخ برهة كي نفحص حدثا آخر يحتاج إلى تفسير، وهو عبارة عن محصلات دراسة بحثية.

> أفاد تقرير لأحد الباحثين فائدة علاج الصداع بتمارين الارتخاء والتغذية الحيوية الارتجاعية biofeedback. وقد بينت الدراسة انخفاضا في شدة الصداع لدى ثلاثة أرباع

(1) Ibid., p 40.

(2) Ibid., pp. 40-41.

> عينة من 95 شخصا يعانون صداعا عصبيا مزمنا و50 في المائة من عينة مكونة من 75 مصابا بالصداع النصفي، بعد تعليمهم كيفية إرخاء الرأس والرقبة وعضلات الأكتاف والتحكم في التوتر العصبي بطريقة التغذية الحيوية الارتجاعية.

ربما يكون الباحث في الدراسة السابقة قد بدأ بالفرض القائل إن تمارين الارتخاء تسبب انخفاضا في الآم الصداع؛ وقد وجد شواهد تتسق مع ذلك الفرض. لكن دعونا نقدم عدة أسباب منافسة، أو مختلفة، للنتائج نفسها.

1. كان المشاركون في البحث قابلين للإيحاء بدرجة كبيرة، من هنا فتوقع التحسن كان سببا في تغير حالتهم؛ وكما هو الحال في تأثير حبة السكر التي يوحَى لمتناولها أنها مهدئة، ربما كانت معرفة المرضى بتحسن حالتهم حافزا لبعض العمليات الذهنية والبدنية التي سببت شعورهم بالتحسن.
2. أراد المشاركون استرضاء الباحثين؛ ولذا ذكروا أنهم شعروا بالتحسن على الرغم من مخالفة ذلك للواقع.
3. تطوع معظم المشاركين عندما كانوا يمرون بضغوط حياتية عصبية حادة؛ ثم مروا خلال الدراسة بخبرة انخفاض ضغوط الحياة العصبية؛ من هنا كان هذا الانخفاض هو ما يفسر لانخفاض الأعراض.

والآن لندع البحث العلمي برهة لنفحص أحد الحجج المتعلقة بالإحصاءات الصحية في إحدى الصحف اليومية.

> في عام 2000 زادت تكاليف الرعاية الصحية 7.2٪ وهي أعلى زيادة خلال عقد كامل. يجب على المستشفيات الإقلال من زيادة استخدام التشخيص بالوسائل التكنولوجية، وإجراءات العلاج باهظة الثمن، من قبيل زرع الأعضاء وطرق التشخيص بالرنين المغنطيسي.

يفترض الباحث أن استخدام المستشفيات للإجراءات التكنولوجية المتقدمة يؤدى إلى ارتفاع تكاليف الرعاية الصحية. لكن دعونا مرة أخرى نستخلص بعض الأسباب المنافسة المغايرة:

1. يزداد عدد كبار السن في بلادنا، من ثم تزداد التكاليف الصحية لأن كبار السن في حاجة إلى رعاية صحية تفوق ما يحتاجه صغار السن على وجه العموم.
2. يزداد عدد الدعاوى القضائية التي يرفعها المرضى على الأطباء والتي يطالبونهم فيها بتعويضات مالية ضخمة كما يدفعون مبالغ كبيرة للمحامين؛ مما يحمل شركات التأمين على رفع معدلات أقساطها للأطباء، وهذا يجعل الأطباء يلجأون بدورهم إلى رفع أجور خدماتهم.
3- ارتفعت أسعار الأدوية ارتفاعا شديدا وزاد في الوقت نفسه اعتماد المرضى على علاج أبسط الأعراض بالأدوية.

والآن لننظر في بعض الدروس التي يمكن استخلاصها من موضوع فان جوخ، والدراسات البحثية، وإحصاءات الرعاية الاجتماعية.

الدروس المستفادة

1. العديد من الأحداث قابلة للتفسير بواسطة الأسباب المنافسة، ويشمل ذلك الدراسات الإكلينيكية، والدراسات البحثية، واتجاهات سوق الأسهم، وإحصاءات الإعلانات، وبيانات الصفحات الرياضية، ونتائج أسباب سقوط الطائرات، والأحداث التاريخية.
2. عند اختبار الشواهد نفسها، قد يستخلص الخبراء أسبابا مختلفة لتفسيرها.
3. على الرغم من أن العديد من التفسيرات يمكن أن "تتوافق مع الوقائع"، إلا أن بعضها يبدو مناسبا أكثر من غيره.
4. معظم أصحاب المقالات يعرضون أسبابهم المفضلة فقط؛ وعلى القارئ أو المستمع الناقد أن يأتي بأسبابه المنافسة.

5- تعتبر عملية تقديم أسباب منافسة عملية خلق إبداعي؛ لأن مثل هذه الأسباب لا تكون في العادة واضحة.

6- كثيرا ما يفشل حتى الباحث صاحب الاتجاه "العلمي" في الإقرار بأسباب منافسة مهمة بالنسبة لمحصلات بحثه.

7- أخيرا، يرتبط يقين زعم سببي معين عكسيا بعدد الأسباب المنافسة الممكنة.

سوف نفحص في الجزء التالي مترتبات هذه الدروس بالنسبة للمفكر الناقد.

اكتشاف الأسباب المنافسة

يماثل العثور على الأسباب المنافسة ما يقوم به رجل التحري المتمرس. فعند مواجهتك لمواقف يحتمل أن تعثر فيها على أسباب منافسة، عليك أن تطرح على نفسك أسئلة من قبيل:

- هل يمكنني التفكير في طريقة أخرى لتفسير الشواهد؟
- هل هناك سبب آخر يمكن أن يعزى إليه هذا الحدث أو تلك النتائج؟
- إذا فكرت في الأمر من وجهة نظر مغايرة، ما الذي يمكن أن أعده أسبابا مهمة؟
- إذا لم يكن هذا التفسير معقولا، ما التفسيرات الأخرى المعقولة؟

وحاول أثناء بحثك عن الأسباب المنافسة، أن تتعامى عن تفسير المؤلف، ثم حاول بعد ذلك أن تضع تفسيرك الخاص.

السبب الوحيد أم أحد الأسباب

يقع حادث قتل جماعي في مدرسة معينة. تبدأ مذيعة أحد البرامج الحوارية في مقابلة المختصين بحثا عن السبب، وتأتي إجاباتهم على النحو التالي. السبب هو توافر الأسلحة. إنه يرجع إلى إهمال الآباء. بل إنه العنف الناجم عما يعرضه

التليفزيون من برامج. إنه فقدان الوازع الديني. بل الضغوط العصبية. هكذا قد يزعم الخبراء أن لديهم الإجابة، ولكن معرفتهم بها تكون غير مرجحة. ومرد ذلك يعود إلى أحد الأخطاء النمطية المتكررة والمتمثل في البحث عن سبب واحد بسيط لحدث معين في الوقت الذي يعزى وقوعه إلى مجموعة من الأسباب المجتمعة ـ فسبب الحدث إذن يساعد في خلق مجموعة من الشروط الضرورية لوقوعه.

ويتكرر إسهام الأسباب المتعددة في تفسير حدث معين أكثر من تكرار إسهام سبب واحد، خاصة في المواقف التي تتضمن خصائص أو أنشطة إنسانية. وفي الكثير من الحالات، يكون أفضل تفسير سببي هو الذي يتضمن عددا كبيرا من الأسباب التي لا تكفي إلا حال اجتماعها في تفسير تحقق ذلك الحدث. من هنا، فأفضل إجابة ينبغي أن يقدمها الخبراء المختصون ردا على سؤال مقدم البرنامج الحواري هي "نحن لا نعرف السبب وراء مثل هذه الأحداث، غير أننا نستطيع أن نفكر في أسباب عديدة ربما تكون أسهمت في صنعها". هكذا، عند بحثنا عن أسباب منافسة، يجب أن نتذكر أن أي سبب واحد مفرد من المحتمل أن يكون سببا مساهما ولكنه ليس السبب الوحيد.

وعندما يعجز كاتب المقال عن وضع الأسباب المعقدة في الاعتبار، فإنه يرتكب الأغلوطة الآتية:

أغلوطة الإفراط في تبسيط الأسباب: تفسير حدث معين بالاعتماد على عوامل سببية لا تكفي لتفسير الحدث، أو الإفراط في تبسيط دور واحد أو أكثر من هذه العوامل.

وتعتبر معظم التفسيرات السببية، بمعنى من المعاني، تبسيطا مفرطا؛ من ثم يجب أن تكون منصفا مع أصحاب المقالات الذين لا يعرضون كل الأسباب الممكنة لوقوع حدث معين. بيد أن النتائج السببية، يجب أن تتضمن عناصر تفسيرية تكفي لإقناعك بأنها ليست مفرطة في التبسيط، أو يتعين على المؤلف أن

يوضح لك أن العامل السببي الذي يؤكد عليه في نتيجته إن هو إلا واحد ضمن مجموعة من الأسباب المحتملة ـ فهو سبب، وليس السبب.

الأسباب المنافسة والبحث العلمي

يحاول البحث العلمي أن يميز بعض الأسباب المهمة التي تسهم في تفسير حدوث الأشياء عن الأسباب غير الحقيقية، كما يقدم لنا مصدرا رئيسا للفروض التي تفسر الأحداث التي تقع في العالم. يبدأ الباحثون باعتقادات مؤقتة ـ في صورة فروض ـ تتعلق بأسباب الأحداث. فعلى سبيل المثال، قدم الباحثون فروضا عديدة لتفسير حدوث مرض الإيدز. يعزو أحد هذه الأسباب حدوث المرض إلى الإصابة بفيروس معين. وبعد أن يتأسس الفرض على قواعد راسخة ترتكن إلى شهادة أبحاث مستقلة، فإنه يتحول من فرض إلى قانون. ومع هذا، فإن مجال السلوك الإنساني المعقد يحتوي على عدد قليل من القوانين العامة الراسخة. المزاعم الشائعة من قبيل "العنف التليفزيوني يسبب وقوع الجريمة" و"اهتمام الآباء بأطفالهم يقودهم إلى الشعور بالأمان العاطفي في سن البلوغ" تأخذ صورة القانون، بيد أنه يجب أن تظل الشكوك تساورنا في قابليتها للتعميم. ويجب اعتبارها في الوقت الراهن فروضا، لا قوانين، ومن الأفضل صياغتها على النحو التالي: "قد يسهم العنف التليفزيوني في وقوع نوع معين من الجرائم"، و"قد يكون اهتمام الآباء بأطفالهم سببا يسهم في شعورهم بالأمان العاطفي في سن البلوغ".

والآن، ما الذي يجب أن نفعله عندما يستخدم المتحدثون أو الكتاب محصلات دراسات بحثية ليستنتجوا أن حدثا يسبب الآخر؟ أولا، تذكر أنه يجب أن نعتبر نتائجهم مجرد سبب، وليس السبب. ثم حاول أن تعرف كل ما تستطيع معرفته حول إجراءات البحث التي تم استخدامها للوصول إلى المتحصلات التي تؤيد الفرض. أخيرا، حاول أن تحدد الأسباب المنافسة التي قد تفسر المتحصلات.

كلما زاد عدد الأسباب المنافسة الممكنة التي يمكن أن تفسر المتحصلات، تضاءلت ثقتك في الفرض الأثير لدى صاحب المقال.

وحيث إن أحد الأهداف الأساسية للبحث العلمي تتمثل في الإقلال من عدد الفروض المناسبة لتفسير نتائج الأبحاث، فإن العلماء اخترعوا عدة طرق لاستبعاد أو حذف الأسباب المنافسة الممكنة. وفي بعض الأحيان تنجح هذه الطرق نجاحا باهرا، بحيث يبقى فرض واحد تعززه الشواهد. على الرغم من ذلك، تعجز معظم الأبحاث في استبعاد فروض منافسة مهمة بصورة كافية، خاصة الأبحاث التي تتعلق بالسلوك الإنساني المعقد.

دعونا نستخدم الحجة التالية للتدريب على الكشف عن الأسباب المنافسة:

> يبدو أن تناول جرعات يومية من فيتامين هـ (E) يمنع خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح بين الثلث والنصف، وفقا لنتائج دراسة كبرى حديثة. وتدعم هذه النتائج الاعتقاد الذي راج حديثا بأن الفيتامينات وما يسمى مضادات الأكسدة antioxidants مفيدة للقلب. جاءت هذه النتائج من خلال دراسة على الممرضات، اشتملت على عدد 87245 ممرضة من مختلف مناطق الولايات المتحدة. وقد تناول 17٪ من الممرضات فيتامين هـ وخلال ثماني أعوام من المتابعة، تعرضت 552 امرأة منهن لأزمات قلبية. وقد اكتشف الباحثون أن النساء اللائي تعاطين فيتامين هـ لأكثر من عامين أقل تعرضا لمخاطر الإصابة بالأزمات القلبية بنسبة 64٪.

هل معنى ذلك أن تسارع لتشتري فيتامين هـ؟ ليس قبل أن تفحص بعض الأسباب المنافسة! فما الطرق الأخرى التي يمكن أن نفسر بها اختلاف تلك المجموعة؟

دعنا نحدد أولا الاستدلال:

النتيجة: (فرض الباحثين) *يبدو أن تعاطي جرعات يومية من فيتامين هـ تمنع خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تتراوح بين الثلث والنصف.*

المبرر: (شواهد الباحثين) *أظهرت الدراسة البحثية أن النساء اللائي تعاطين فيتامين هـ انخفضت مخاطر إصابتهم بالأزمات القلبية بنسبة تفوق اللائي لم يتعاطين الفيتامين.*

لاحظ أن كلمات "يبدو أن... تمنع" الواردة في النتيجة تخبرنا أن الباحث يقدم زعما سببيا يتعلق بالشواهد. غير أن هناك فروضا أخرى يمكن أن تفسر تلك الشواهد.

يفشل التقرير في أن يخبرنا عن سبب تعاطي سيدة معينة فيتامين هـ. أليس محتملا أن الممرضات اللائي تعاطين فيتامين هـ كن من النمط الذي يحافظ على عادات صحية جيدة، من قبيل إجراء تمارين رياضية بصورة متكررة وعدم تناول أطعمة دسمة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإن الاختلاف المتمثل في القيام بالتمارين الرياضية والعادات الغذائية المختلفة قد يكون فرضا منافسا محتملا يفسر التفاوت في خطر الإصابة بالأزمات القلبية بين المجموعتين. أيضا، قد تكون النساء اللائي تعاطين فيتامين هـ أكثر ثراء من الأخريات ومن ثم فقد يتعرضن لمستوى منخفض من ضغوط الحياة العصبية بصفة عامة. لا ريب أنك تستطيع أن تفكر في أسباب أخرى توضح تباين هاتين المجموعتين – متعاطيات وعدم متعاطيات فيتامين هـ – في تعرضهن لمخاطر الإصابة بالأزمات القلبية.

لا نستطيع من جانبنا أن نطلعك على كل الأسباب المنافسة المحتملة. لكننا في الجزء التالي، سنقدم لك العديد من المفاتيح التي تساعد في الكشف عن الأسباب المنافسة الشائعة.

الأسباب المنافسة المتعلقة بالاختلافات بين المجموعات

تكمن إحدى أشهر الطرق لدى الباحثين لمحاولة الكشف عن سبب حدث معين في مقارنة المجموعات. فعلى سبيل المثال، كثيرا ما تقابلك الإشارات الآتية عند مقارنة المجموعات المختلفة:

قارن الباحثون بين مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة.

تلقت واحدة من المجموعتين العلاج X ؛ بينما لم تتلق المجموعة الأخرى أي علاج.

تمت مقارنة مجموعة تعاني من انسداد الشرايين بأخرى لا تعاني من ذلك.

عندما يعثر الباحثون على اختلافات بين مجموعتين، فإنه كثيرا ما ينتهون إلى القول بأن "تلك الاختلافات تؤيد فرضنا". فعلى سبيل المثال، قد يقارن باحث ما مجموعة من مرضى السرطان تم علاجهم بعقار جديد بمجموعة أخرى ضابطة من مرض السرطان لم تتلق هذا العقار، ويكتشفون أن المجموعتين اختلفتا في الشفاء من المرض، ومن ثم يستنتجون أن العقار الجديد هو سبب الاختلاف. تكمن المشكلة في أن مجموعات البحث غالبا ما تختلف في أكثر من جانب واحد، ومن ثم فالاختلافات بين المجموعات كثيرا ما تتسق مع الأسباب المتعددة. هكذا، عندما ترى أصحاب المقالات يستخدمون نتائج الاختلافات بين المجموعات ليؤيدوا سببا معينا، عليك دائما أن تسأل "هل هناك أسباب أخرى منافسة قد تفسر أيضا الاختلافات بين المجموعتين؟".

لنلق نظرة على دراسة مقارنة بين مجموعتين. حاول أن تعثر على أسباب منافسة.

في دراسة بحثية حديثة، تم الحكم بأن المدرس A الذي يقوم بتدريس مقرر المناهج في علم النفس أفضل من المدرس B

الذي يقوم بتدريس المقرر نفسه، لأن طلبة المدرس A كان أداؤهم في المتوسط أفضل من طلبة المدرس B في الامتحان النهائي الشامل الموحد القائم على أسلوب الاختيارات المتعددة.

لدينا في المثال السابق مجموعتان: فصول المدرس A وفصول المدرس B. والسؤال الذي نود أن نطرحه هو "هل تختلف المجموعتان في جوانب أخرى مهمة غير تلك التي خبروها في الدراسة؟". هل تعتقد أن أحد الاختلافات المهمة التالية بين المجموعتين يمكن أن تفسر اختلاف درجات كل منهما؟

- *الاختلاف في متوسط ذكاء الطلبة*، فمن المحتمل أن عددا أكبر من الطلبة الأذكياء التحقوا بفصل المدرس A مقارنة بعدد الأذكياء الذين التحقوا بفصل المدرس B، ربما لأنه علموا أن المدرس A أكثر جدية.
- *الاختلاف في الدافعية*. ربما كان موعد أحد الفصول مبكرا عن الآخر، ومن المحتمل أن الطلاب الذين يلتحقون بالفصول المبكرة يكونون أكثر دافعية في التعلم من الطلاب الذين يلتحقون بالفصول التي تعقد متأخرة. أو ربما كان الاختلاف الشديد في شخصية كل من الأستاذين سببا في التأثير على دافعية الطلبة.

لعلك توصلت إلى اختلافات أخرى مهمة.

تذكر: تساهم عناصر كثيرة في الاختلاف بين المجموعات المبحوثة!

الخلط بين السببية والارتباط

لدينا نزوع موروث نحو "رؤية" الأحداث المترابطة، أو التي تأتلف مع بعضها، باعتبار الواحد منها سبب الآخر. إننا نستنتج من ارتباط الخاصية X (كم مشاهدة التليفزيون مثلا) بالخاصية Y (الأداء في المدرسة، مثلا)، أن X سبب Y. فيما يلي أمثلة على هذا الضرب من الاستدلال.

1. في الولايات التي تضع قيودا على سرعة السيارات نسبة الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق أكثر انخفاضا من الولايات التي لا تضع مثل هذه القيود، ومن ثم، فالقيود التي تحد من سرعة السيارات تمنع الوفيات.

2. يزداد غياب رب الأسرة عن المنزل عند الأحداث الجانحين بنسبة تفوق غيابه عند غير الجانحين، ولا فإن غياب رب الأسرة يسبب جنوح الأحداث.

عندما نفكر بهذه الطريقة، فإننا في الغالب نكون مخطئين! لماذا؟ في العادة، لأن الفروض المتعددة يمكن أن تفسر سبب ارتباط X وY. وفي واقع الأمر، هناك أربعة أنواع مختلفة من الفروض على الأقل تفسر مثل هذا النوع من العلاقات. إن معرفة هذه الفروض سوف تساعدك في اكتشاف الأسباب المنافسة.

دعونا نوضح كل واحد من هذه الفروض بمثال بحثي.

> أظهرت دراسة حديثة أن "العدوانية تضر بصحة المرأة ". درس الباحثون 102 امرأة لما يربو على 31 عاما حيث وجدوا أن النساء اللائي يتميزن بدرجة عدوانية عالية في أعمار 21، 27، 43 يعانين من المرض عند بلوغ الثانية والخمسين بنسبة تفوق النساء الأقل عدوانية. "وتتراوح تلك الأمراض بين نزلات البرد والأمراض الخطيرة". من هنا افترض الباحثون أن الغضب قد يولد هرمونات التوتر العصبي أو يضعف المناعة.

هل ينبغي على النساء اللائي ترتفع درجة العدوانية لديهن أن يقلقن على صحتهن البدنية؟ ليس بعد. فقبل أن يحدث ذلك، ينبغي أن يضعن في الاعتبار أربعة تفسيرات ممكنة لنتائج ذلك البحث:

- التفسير الأول: أن X هي سبب Y (أي أن العدوانية تضعف بالفعل صحة المرأة).

- التفسير الثاني: Y هي سبب X (قد تسبب صحة المرأة المعتلة شعورها بالعدوانية).

- التفسير الثالث: ترتبط X بـ Y بسبب وجود عامل ثالث، هو Z (فربما كان سبب اعتلال الصحة والعدوانية معا هو سلوكيات مرتبطة بنقص الوعي الصحي، من قبيل التدخين ونقص التمارين الرياضية، أو ربما بسبب أحداث الحياة المثيرة للتوتر العصبي).

- التفسير الرابع: تؤثر X و Y في بعضهن بعضا (ربما الشعور بالعدوانية يضعف جهاز الشخص المناعي، والجهاز المناعي الضعيف، بدوره، يجعل الشخص يشعر بالإرهاق، ومن ثم يجعله يشعر بالمزيد من العدوانية).

تذكر : الارتباط أو التعلق ليس برهانا على السببية!

وعلى الرغم من هذا فمعظم شواهد البرهنة على السببية تقوم فقط على الارتباط أو التعلق. فعندما يدعم مؤلف معين فرضا ما بالإحالة إلى الارتباط بين خصائص معينة، عليك دائما أن تسأل "هل توجد أسباب أخرى تفسر ذلك الارتباط؟".



اختبر نفسك فيما يأتي :

> تقرر دراسة حديثة وجود ارتباط بين الصلع وخطر الإصابة بالأزمات القلبية، فالأشخاص الصلع معرضون لمخاطر الوفاة مبكرا بأزمة قلبية بنسبة تفوق الأشخاص غير الصلع.

نأمل أن تستطيع الآن أن تدرك أن الأشخاص الصلع قد يتم تضليلهم من أجل شراء أحدث كريم لنمو الشعر لمنع الإصابة بأزمة قلبية. ما الأسباب المنافسة

التي تفكر فيها بصدد ذلك؟ ألا يمكن أن تفسر الدورة الدموية المعتلة أو الموروثات الجينية الارتباط بين الصلع (X) والقلوب المريضة (Y)؟

هذا الخلط بين الارتباط والسببية يمكن فهمه وإدراك مخاطره. فالعلة تسبق حقا معلولها. غير أن أشياء عديدة سبقت ذلك المعلول. معظمها لم تكن سببية.

يجب أن تكون الآن قادرا على تحديد مغالطتين شائعتين للاستدلال السببي بالاستناد إلى التفسيرات الأربع السابقة المتعلقة بسبب احتمال ارتباط الأحداث.

أغلوطة الخلط بين العلة والمعلول: الخلط بين علة ومعلول حدث معين أو الفشل في إدراك أن الحدثين قد يؤثران في بعضها بعضا.

أغلوطة إغفال سبب مشترك: الفشل في إدراك أن ارتباط حدثين قد يكون بسبب تأثير عنصر ثالث مشترك.

التاييد القوي لأحد الأسباب

أثناء بحثك الحثيث عن أسباب منافسة، قد يكون من الأمور المعاونة أن تعرف متى يقدم البحث العلمي دعما قويا لسبب معين. وحيث إن هذه المسألة معقدة جدا، فإنك تستطيع أن تبحثها بتعمق في موضع آخر، وأمامك فيما يلي بعض القواعد الشائعة المجربة التي قد تساعدك.

- لا توجد بواعث مالية شخصية للباحث عند اقتراحه السبب.
- لدى الباحث مجموعة ضابطة واحدة على الأقل، من أمثلتها مجموعة لم تخضع للسبب.
- اختلفت المجموعات التي تمت مقارنتها في مجموعة قليلة من الخصائص

بخلاف العامل السببي موضع الاهتمام.

- تم تنسيب المشاركين في البحث في مجموعات بصورة عشوائية؛ أي أنهم لم يسمح لهم باختيار المجموعة التي سينتمون إليها.
- لم يكن الباحثون على وعي بفروض الباحثين.
- تكررت النتائج نفسها مع باحثين آخرين.

الخلط بين "عقب هذا" و"بسبب هذا"

بعد أن تم اختيار جورج دبليو بوش رئيسا بفترة قصيرة، انخفضت قيمة سوق الأسهم انخفاضا حادا. هل يمكننا أن نستنتج أن رئاسة بوش هي سبب ذلك الانخفاض؟ لا. لأن هناك العديد من الأسباب الأخرى المحتملة. إذا كان لنا أن نستدل مثل هذه النتيجة، فإننا نضرب مثلا واضحا على الطريقة الشائعة التي يخلط الناس فيها بين السببية والارتباط.

كثيرا ما تحاول تفسير حدث معين على النحو الآتي: لأن الحدث B يعقب الحدث A، إذن فالحدث A هو سبب الحدث B. يقع مثل هذا النوع من الاستدلال لأن للبشر نزوعا نحو الاعتقاد بأنه إذا وقع حدثان في فترة زمنية متقاربة، فلا بد أن الأول سبب حدوث الثاني.

لتقدير مقدار الخطأ في هذا الاستدلال، طالع صحيفة اليوم ثم اكتب قائمة بما يحدث في العالم. بعد ذلك ارجع إلى صحيفة الأمس واكتب قائمة مماثلة. هل تستنتج أن أحداث الأمس هي السبب في أحداث اليوم؟ بالطبع لا. فعلى سبيل المثال، ورد في أحداث الأمس أن فيلم Lord of Rings: The Fellowship of the Rings حطم الأرقام القياسية لعدد مشاهدي السينما، وورد في الأخبار اليومية أن شركة طيران كبرى على وشك الإفلاس. من غير المحتمل بدرجة عالية أن المتعة التي أثارها فيلم ملك الخواتم سببت المشكلات المالية لشركة الطيران.

هكذا، فالكثير من الأحداث التي تقع متعاقبة في الزمان لا تسببها الأحداث السابقة. عندما نستنتج بالخطأ أن الحدث الأول سبب الثاني لأنه سبقه، فإننا نرتكب أغلوطة Post hoc, ergo proper hoc (وتعني: عقب هذا، إذن بسبب هذا) ويطلق عليها اختصارا أغلوطة عقب هذا. وهذا الضرب من الاستدلال مسؤول عن العديد من الاعتقادات الخرافية. فعلى سبيل المثال، قد تكون وفقت توفيقا كبيراً في امتحان عقد عقب تناولك وجبة دسمة من الحبوب (السريل)؛ فهل يتعين عليك تناول نفس هذه الوجبة قبل كل امتحان.

أغلوطة عقب هذا: افتراض أن حدثا ما، B، سببه حدث آخر، A، لمجرد أن A سبقت B زمنيا.

توضح الأمثلة الآتية مشكلة هذا النمط من الاستدلال:

> "ليس من شك في أن هاري هوريكين مدرب متميز، فمنذ أن انتقل إلى جامعتنا، تحسنت نتائج فريقنا تحسنا هائلا. (أليس من المحتمل أن الجامعة قررت أيضا مضاعفة ميزانية الألعاب الرياضية مع مجيء هاري).
>
> "منذ صدور قرارات المحكمة العليا بمنح المتهمين المزيد من الحقوق، تزايدت معدلات الجريمة بصورة ثابتة" (ولكن ربما ازدادت معدلات البطالة أيضا منذ صدور قرارات المحكمة العليا).

لعلك قد خمنت أن كبار رجال الأعمال والسياسيون مغرمون باستخدام حجة "عقب هذا"، خاصة عندما تعمل في صالحهم. فهم مثلا يسعدون بالاستئثار بالمديح لكل إنجاز يتحقق بعد توليهم دورهم القيادي، بينما يلقون اللوم على الآخرين عند حدوث أي أمر سيئ.

تذكر: إن توالي وقوع الأحداث في الزمان لا يبرهن بمفرده على السببية؛ فقد يكون الأمر مجرد مصادفة. عندما تقابل مثل هذا الاستدلال، اسأل نفسك دائما، "هل هناك أسباب منافسة يمكن أن تفسر الحدث؟" و"هل توجد شواهد أخرى محكمة علاوة على القول إن حدثا يعقب الآخر؟"

تفسير الأحداث أو الأفعال الفردية

لماذا قام بعض المدراء في شركة عملاقة للطاقة بخداع حاملي أسهم تلك الشركة في عام 2002؟ لماذا هاجم الإرهابيون برج التجارة العالمي في 11 سبتمبر 2001؟ ما الذي سبب الجفاف في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة في 2002؟

تحتاج هذه الأسئلة، كما كان الحال مع أسئلة مثال فان جوخ، إلى تفسير للأحداث التاريخية المفردة. فالدراسات البحثية العلمية لا تستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة. عوضا عن ذلك، يجب أن نعود إلى الماضي بحثا عن مفاتيح للإجابة. وتتعدد أسباب تعرضنا للوقوع في الخطأ في هذا النمط من الأبحاث. من المهم أن نتذكر بعض هذه الأسباب.

أولا، كما سبق ورأينا في حالة فان جوخ، تبدو العديد من الروايات المتعلقة بنفس الحدث معقولة. ثانيا، تتأثر الطريقة التي نفسر بها الأحداث تأثرا كبيرا بالقوى السياسية والاجتماعية، كما تتأثر أيضا بالقوى السيكولوجية الفردية. على سبيل المثال، قد ينظر "الليبراليون" إلى سبب فساد سلوك المدراء التنفيذيين بصورة تختلف عن نظرة "المحافظين"، كما تختلف نظرة أصحاب النزعة النسوية إلى مرض فقدان الشهية للطعام عن نظرة الأطباء له.

وتكمن أحد التحيزات الشائعة أيضا في "خطأ العزو الأساسي"، وهو الذي نقوم فيه عادة بالمبالغة في تقدير أهمية النزوع الشخصي مقارنة بالعوامل الموقفية في

تفسير سلوك الآخرين. بعبارة أخرى، نحن نميل إلى رؤية سبب سلوك الآخرين باعتباره نابعا من الداخل (سماتهم الشخصية) عوضا عن رؤيته نابعا من الخارج (العوامل الموقفية). هكذا، عندما يتأخر شخص عن موعد معين، مثلا، فمن المحتمل أن نعزو سبب تأخره في البداية لنزوعه نحو المماطلة أو عدم احترام الآخرين. لكننا يجب أيضا أن نضع في الحسبان دور الظروف غير المتوقعة، مثل تعطل سيارته، أو ازدحام الطرقات أو بسبب ظهور رفاق غير متوقعين.

يتمثل أحد أنماط الأخطاء السيكولوجية الأخرى في البدء بعدد محدود من الأسباب المحتملة ثم القيام بعد ذلك بتأويل معلومات إضافية زائدة (حتى لو لم يكن لها تعلق بالموضوع) باعتبارها تعزز الفروض القائمة، عوضا عن عزل تلك المعلومات أو تقديم فروض جديدة، ربما تكون أكثر تعقيدا. فنحن نميل إلى تبسيط العالم؛ في الوقت الذي كثيرا ما تكون التفسيرات المطلوبة أكثر تعقيدا. ولا يكون تفسير الأحداث بالبساطة التي كثيرا ما يتوهمها الخبراء في البرامج الحوارية التليفزيونية. فكيف لنا أن نعرف ما إذا كان لدينا تفسير جيد لحدث معين أو مجموعة من الأحداث؟ لا يمكن أن نتيقن من ذلك على الإطلاق. لكننا نستطيع أن نحقق بعض التقدم بطرح بعض الأسئلة الناقدة.

كن على حذر من قبول أول التفسيرات المطروحة لحدث معين يواجهك. ابحث عن أسباب منافسة وحاول أن تقارن مصداقيتها. يجب أن نقبل حقيقة أن العديد من الأحداث ليس لها تفسير واحد بسيط.

مفاتيح لتفسير حدث أو سلسلة من الأحداث

اسأل نفسك الأسئلة الآتية عندما تحاول تقديم أسباب منافسة للأحداث:

- هل هناك أية شواهد على أن التفسير تم اختباره نقديا؟
- هل هناك احتمال أن تكون القوى الاجتماعية، أو السياسية أو السيكولوجية أثرت في الفرض بصورة متحيزة؟
- ما الأسباب المنافسة التي لم يتم وضعها في الحسبان؟ ما درجة مصداقية فرض المؤلف مقارنة بالأسباب المنافسة؟
- هل كان الفرض شاملا دقيقا في تفسيره للجوانب المحيرة المتعددة للأحداث المطروحة للبحث؟
- ما درجة اتساق الفرض مع الشواهد الجيدة المتوفرة والمتعلقة بالموضوع؟
- هل أغلوطة عقب هذا هي التبرير الأساسي المستخدم لربط الأحداث؟

تقييم الأسباب المنافسة

كلما كانت الأسباب المنافسة التي تقدمها معقولة، تضاءلت ثقتك بالتفسير المبدئي المقدم لها، أقله إلى أن يتم تقديم شواهد إضافية. وباعتبارك مفكرا ناقدا، فإنك سترغب في الحصول على أفضل تقييم ممكن لمعرفة كيف تتوافق كل من التفسيرات البديلة مع الشاهد المتاح، محاولا أن تكون واعيا بتحيزك الشخصي.

عند مقارنة الأسباب، نقترح عليك تطبيق المعايير الآتية:

1. سلامتها المنطقية.
2. اتساقها مع معارفك الأخرى.
3. نجاحها السابق في التفسير أو التنبؤ بالأحداث.

استخدام هذا السؤال النقدي

يجب أن يؤدى كل تقرير يتعلق بالسببية إلى إثارة فضول مباشر في عقل أي مفكر ناقد. ولكن هل هناك أسباب بديلة للظاهرة؟ اللجوء إلى سؤال الآخرين لمراجعة الأسباب المنافسة يعد إحدى عمليات النقد البناءة المحمودة. إن هدفك من ذلك هو العثور على تفسيرات سببية أفضل.

الشواهد وأسلوبك الخاص في الكتابة والتحدث

لقد زودتك الفصول الثلاثة السابقة بطريقة غير مباشرة بمفاتيح للاتصال الفعال. وسوف تترك انطباعا طيبا مبررا عند مستمعيك عندما تقدم شواهد قوية وكافية لمزاعمك. لكن هذا المفتاح يحمل في طياته تحذيرا: إذ يتوقع مستمعوك وينبغي أن يطلبوا أن تكون مزاعمك مدعمة بالشواهد المحكمة. وسيكون الوفاء بهذا المطلب أحد أهم التحديات التي ستواجهك كمؤلف أو متحدث.

تلخيص

تتضاءل قيمة المزاعم الوقائية المتعلقة بأسباب الأحداث عند تقديم مزاعم أخرى تتعلق بتلك الأسباب. يطلق على هذه المزاعم اسم الأسباب المنافسة.

يكمن أحد الأخطاء المنطقية الشائعة عند تفسير الملاحظات في الخلط بين السببية والارتباط. من هنا، عليك دائما أن تسأل عن الأسباب الأخرى التي قد تفسر الارتباطات الملاحظة. كن حذرا على وجه الخصوص من أغلوطة عقب هذ.

سؤال نقدي: *هل هناك أسباب منافسة؟*

تمارين تطبيقية

يتضمن كل واحد من الأمثلة الآتية حجة تؤيد أحد المزاعم السببية. حاول أن تأتي بأسباب منافسة لمثل هذه المزاعم. ثم حاول بعد ذلك أن تحدد كيف أن معرفتك بالأسباب المنافسة أضعف من زعم المؤلف.

النص 1

قد يتغلب قليل من الضوء على أحزان الشتاء. درس الباحثون تسعة مرضى كانوا يعانون من مرض اكتئاب الشتاء، الذي يحدث عندما يقصر النهار. تم تعريض المرضى لضوء فلورسنت مبهر عند استيقاظهم وأيضا في المساء المتأخر، لثلاث ساعات في كل مرة. وفي غضون أسبوع، شفي سبعة منهم من الاكتئاب تماما، في حين أظهر المريضان الآخران تحسنا متواضعا. نجح علاج الضوء لأنه تمكن من خداع الجسد بأن أوهمه أنه في فصل الصيف.

النص 2

ما الذي دفع عامل البريد إلى الإصابة بالهياج الشديد وقتل هؤلاء الموظفين الستة؟ تكمن الإجابة في إلقاء نظرة فاحصة على طفولته. لقد فقد أمه عندما كان في الثامنة، كما أن أباه كثيرا ما كان يسيء معاملته. وقد نشأ متواريا خلف ظل شقيقه الأكبر الأكثر نجاحا. أثناء طفولته لقي صعوبة في تكوين أصدقاء، كما واجه صعوبات في خلق علاقة جنسية سوية. وفى شبابه أخذ يتنقل من وظيفة إلى أخرى، في الوقت الذي أخذت الخيالات الشاذة تنمو بداخله بصورة متزايدة. وفي نهاية الأمر أصبح مكتب البريد بالنسبة له رمزا للمجتمع الذي كان سببا في فشله؛ لقد تحول إلى العنف كي يشعر بأنه أصبح "كيانا ما ".

النص 3

يكمن أحد الأسباب الأساسية للسلوك الجانح خلال سنين المراهقة، وفقا لإحدى الدراسات الحديثة، في تدني احترام الذات عند المراهقين. درس الباحثون أكثر من خمسمائة طفل من منطقة ناشفيل بالولايات المتحدة، في مركز دراسات المراهقين بولاية تينسى، وهو مركز يتم فيه فحص أسباب السلوك الجانح. تم عمل مقابلات شخصية مع

المراهقين عندما كانوا في الصف التاسع (15 سنة)، وطبق عليهم اختبار تقدير الذات لماك روبرتس، ثم وجه إليهم بعد ذلك سؤال عن عدد المرات التي شاركوا فيها في ارتكاب مختلف أنواع الجرائم. اكتشف الباحثون أنه كلما ساء شعور الصغار تجاه ذاتهم، زاد احتمال انخراطهم في سلوك جانح. أيضا، اكتشف الباحثون أن الصغار الذين ارتفعت درجات احترامهم لذاتهم خلال السنتين التاليتين أقل ارتكابا للسلوك الجانح. يبين مثل هذا البحث حاجة المدرسين إلى الاهتمام باحترام الذات عند المراهقين إذا أرادوا أن يقللوا من جرائم الجانحين.

عينات من الاجوبة

النص 1

النتيجة: *العلاج الضوئي يقاوم اكتئاب الشتاء.*

المبرر: *شفي تماما سبعة من بين تسعة من مرضى الاكتئاب خلال أسبوع من علاجهم بالضوء.*

هل يمكن لأي عنصر آخر بخلاف العلاج الضوئي أن يفسر التغيير الذي حدث؟ نعم؛ لقد عجز الباحثون عن استبعاد العديد من التفسيرات البديلة الواضحة، فقد يرجع الأمر إلى أن المرضى توقعوا عملية التحسن، ومن ثم قادتهم تلك التوقعات إلى الشعور بالتحسن. أيضا، كان المرضى يدركون الهدف من وراء العلاج بالضوء، ومن ثم يكمن أحد الأسباب المنافسة في أنهم حاولوا أن يرضوا الباحثين بإقرار أنهم شعروا بالتحسن. ويمكننا أيضا أن نفترض أن الأحداث الخارجية التي وقعت خلال أسبوع العلاج هي السبب في التغير. ربما، كان الطقس خلال أسبوع العلاج رائعا، وأن هؤلاء الأشخاص أمضوا وقتا طويلا في ممارسة التمرينات الرياضية في الخارج بصورة أكثر من المعتاد. احتمال آخر مؤداه أن هؤلاء الأشخاص ربما كانوا يعانون أحد أنواع الاكتئاب التي يمكن الشفاء منها بصورة طبيعية خلال فترة قصيرة. هل يمكنك تحديد أسباب منافسة أخرى؟

النص 2

النتيجة: *يرجع سبب العنف الذي أدى إلى وفاة موظفي مكتب البريد إلى طبيعة العلاقات الأسرية المتفسخة، والإيذاء البدني، ومنافسة الأشقاء، والشعور بالوحدة خلال فترة الطفولة.*

المبرر: *عانى القاتل في طفولته من الأعراض السابقة.*

من المحتمل أن العوامل السابقة كانت من المحددات المهمة للسلوك المتسم بالعنف. بيد أن معظم الناس الذين عانوا من طفولة مماثلة لم يرتكبوا أعمالا عنيفة. هل ثمة أسباب أخرى محتملة تفسر مثل هذا السلوك؟ نحن نرتاب، كما حدث في مثال فان جوخ، في احتمال وجود العديد من التفسيرات الأخرى المعقولة. فقبل أن نخلص إلى أن أحداث الطفولة المذكورة هي العوامل المسببة للحدث، فإننا نرغب في معرفة المزيد عن تلك الطفولة والمزيد عن الوقائع الأحدث في حياته. فمثلا، هل أصيب في رأسه مؤخرا؟ هل كان يدمن المخدرات؟ هل كانت له علاقات متوترة مع أقرانه في العمل في الفترة الأخيرة؟ فبعد حدوث الواقعة، نستطيع دائما أن نعثر على خبرات معقولة من الطفولة نوظفها أسبابا تفسر السلوك اللاحق في الكبر. قبل أن نستدل على نتيجة بعينها، يجب أن نبحث عن المزيد من الشواهد التي تثبت أن مجموعة من الأحداث سببت مجموعة أخرى وليس فقط مجرد أن مجموعة من الأحداث سبقت الأخرى زمنيا.

ملخص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

هل هناك أسباب منافسة؟

بينما يقدم المؤلف تفسيرا لسبب وقوع بعض الأحداث، فإن هناك احتمالا لوجود أسباب أخرى. عندما تحاول أن تحدد الأسباب المنافسة، فإنك ستكتشف

تفسيرات بديلة لحدث معين. إذا استطعت أن تحدد بعض التفسيرات البديلة، عليك أن تقرر ما إذا كان يتعين عليك أن تقبل تفسير المؤلف أو تصدق أحد التفسيرات الأخرى. وإذا لم يقدم المؤلف مبررات تجعلك تقبل التفسير الذي يقدمه دون التفسيرات الأخرى، فيجب عليك ألا ترغب في قبول تفسيره، ومن ثم في النهاية نتيجته. هكذا، فالبحث عن أسباب منافسة يعد خطوة أخرى على طريق قبول أو رفض حجة معينة.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الأسباب المنافسة في كل من الأمثلة الآتية:

1. تناول المشروبات التي تحتوي على كافيين أمر ضار جدا بالصحة. فهو يجبرك على النوم ساعات أطول من المعتاد كما يحرمك من الطاقة الطبيعية. تأمل ما يحدث معك: فأنت تتناول الكافيين بصورة منتظمة تقريبا، وتنام ست أو سبع ساعات كل ليلة. بينما أنا في المقابل، لا أتناول تقريبا أي مشروبات تحتوي على كافيين، من هنا أحتاج إلى ثلاث أو أربع ساعات لأقوم بواجبي بصورة عادية. ينبغي عليك أن تتوقف عن تناول الكافيين لفترة لترى كيف ستشعر بتحسن كبير بعد ذلك.

2. أنا لا أصدق ما حدث! لا بد أن محكّمي مسابقة المقالات تحيزوا ضدي، إذ من المستحيل أن أخسر تلك المسابقة. لقد أمضيت ثلاثين ساعة في كتابة وتنقيح تلك المقالة، كما قام ثلاثة أشخاص بمراجعتها. لقد ذكر لي معلمان في المدرسة الثانوية المجاورة أن مقالي هو أفضل مقال اطلعا عليه في حياتهما. غير أنني اكتشفت، بعد ذلك، أن الشخص الذي فاز بالمسابقة مقيد في المدرسة نفسها التي يعمل بها أحد المحكمين. لا بد أن ذلك هو سبب فوزه وخسارتي؛ لو أن الملعب كان محايدا، لفازت مقالتي دون جدال.

3. أظهرت دراسة أجريت على مدى عشر سنوات على سبعة آلاف رجل وامرأة في كاليفورنيا أن عدم تناول وجبة الإفطار يقع ضمن سبع مخاطر صحية تزيد من مخاطر الموت المبكر. لقد اكتشفت الدراسة التي أجراها مركز العلوم الصحية بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس أن معدل الوفاة كان أعلى بنسبة 40٪ عند الرجال و 28٪ عند النساء الذين "نادرا أو أحيانا" ما يتناولون وجبة الإفطار، مقارنة بأولئك الذين يتناولون وجبة الإفطار كل يوم تقريبا. وكانت دراسة سابقة أجرتها كلية الطب في جامعة "أيوا" على

مدى عشر سنوات كشفت عن وجود علاقة بين تناول وجبة إفطار مغذية وقوة الأداء البدني والذهني عند الأطفال والمراهقين. وبينت الدراسة أن أولئك الذين يتناولون وجبة الإفطار يكونون أكثر إنتاجا في فترة الضحى. كما أنهم يكونون أقل إجهادا ممن يهملون تناول وجبة الإفطار. من هنا فمن المرجح أن الأطفال الذين لا يتناولون وجبة الإفطار يكونون أكثر فتورا وأقل تركيزا.

11

الإحصاءات المضللة

ما قدر اقتناعك بالفقرات التالية؟

- يقدر "الائتلاف الوطني ضد العنف الأسري" أن أكثر من نصف النساء المتزوجات (عددهن يربو على 27 مليونا) سيتعرضن للعنف خلال زواجهن، وأن أكثر من ثلثهن (أكثر من 18 مليونا) يتعرضن للضرب المتكرر سنويًا.
- النساء أفضل من الرجال في قيادة السيارات، لقد ثبت ذلك من حقيقة أن 23٪ من الرجال الذين ارتكبوا حوادث كانوا يشربون الخمر – مقارنة بـ 9.6٪ من النساء.

لا ينبغي أن تتأثر كثيرًا بالاستدلالين السابقين، فكل حجة من الحجتين تخدعنا بالإحصاءات المتضمنة فيها!

"الإحصاءات" أحد أكثر أنواع الشواهد تكرارا عند المؤلفين. ربما تكون قد سمعت البعض يستخدمون العبارة التالية لتعضيد حجتهم: "لدي إحصاءات تثبت الأمر". إننا نستخدم الإحصاءات (كثيرًا بصورة غير ملائمة) لتقييم أداء الدولة الاقتصادي، تحديد أي البرامج التليفزيونية سيستمر في العرض، تحديد

إستراتيجيات الاستثمار، مساعدة الناس على المراهنة على فريق رياضي معين، تقييم تقدم الدولة الاجتماعي، ... أو التنبؤ بالطقس، ولكي نقدم معلومات عن العديد من الموضوعات الأخرى.

الإحصاءات شواهد يتم التعبير عنها بالأرقام. قد يبدو هذا النوع من الشواهد مبهرًا لأن الأرقام تجعل الشواهد تبدو علمية وغاية في الدقة، كما لو كانت تمثل "الوقائع". غير أن الإحصاءات قد تكذب بل إنها كثيرًا ما تكذب! وهي لا تثبت بالضرورة ما قد يبدو أنها تثبته.

وباعتبارك مفكرًا ناقدًا، يتعين عليك أن تجاهد كي تكتشف الاستدلالات الإحصائية الخاطئة. إننا لا نستطيع في هذه العجالة أن نبين لك مختلف الطرق التي يمكن أن يستخدمها الناس "للكذب بالإحصاءات". بيد أن هذا الفصل سوف يعرض لك بعض الإستراتيجيات العامة التي يمكنك استخدامها للكشف عن مثل هذه الطرق المضللة. فضلًا عن هذا، سوف ننبهك إلى أخطاء الاستدلال الإحصائي بتوضيح عدد من أكثر الطرق التي يسيء فيها المؤلفون استخدام الشواهد الإحصائية شيوعًا.

سؤال نقدي: *هل الإحصاءات مضللة؟*

الإحصاءات المجهولة والإحصاءات المتحيزة

تتمثل أولى إستراتيجيات تحديد الإحصاءات المضللة في محاولة العثور على أكبر قدر من المعلومات حول طريقة الحصول على تلك الإحصاءات. هل يمكننا أن نعرف بدقة عدد المصابين بالإيدز في الولايات المتحدة، أو عدد من مارسوا الإجهاض، أو سارقي السلع من المتاجر، أو من يرتكبون الجرائم من أصحاب الياقات البيضاء، أو من يخونون أزواجهم وزوجاتهم، أو من يحتسون أكثر من ثلاثة أقداح من البيرة في اليوم، أو يضربون زوجاتهم، أو عدد المتشردين بدون مأوى، أو من يتعاطون الكوكايين؟ نحن نرتاب في ذلك. لماذا؟ لأن هناك الكثير من العقبات المختلفة التي تعوق الحصول على إحصاءات دقيقة تتعلق بأغراض معينة، بما في ذلك عدم الرغبة في تقديم معلومات صحيحة، والفشل في تقديم تقرير عن الأحداث، والعقبات المادية الأخرى التي تعوق ملاحظة الأحداث. من هنا، كثيرًا ما تتم صياغة الإحصاءات في صورة "تخمينات مستنيرة"، ويمكن أن تكون لهذه التقديرات فائدة حقيقية، لكنها قد تكون أيضًا خادعة تمامًا. اسأل نفسك دائمًا "كيف توصل المؤلف إلى هذه التقديرات؟".

تتمثل أحد المواضع الشائعة التي يمكن أن تتكرر فيها مثل هذه الأخطاء في تقارير الحوادث والمشكلات الصحية المختلفة، خاصة عندما تبذل جهود لجذب الانتباه لمثل تلك المشكلات. فعلى سبيل المثال، ورد في أحد الكتب الحديثة الخاصة باضطرابات الغذاء أن 150 ألف امرأة كل عام يلقين حتفهن جراء مرض فقدان الشهية العصابي؛ تلقفت أجهزة الإعلام هذا الرقم واقتبسته مرارًا. وحين انزعج البعض من تكرار تلك الاقتباسات، تفحصوا تلك الإحصاءات ليكتشفوا أن 150 ألف امرأة عانين من الاضطرابات الغذائية، لكن 54 سيدة فقط قضين نحبهن بالمرض خلال الأعوام الأخيرة. ينبهنا هذا المثال إلى وجوب أن نكون حذرين من سطوة الأرقام المبهرة التي تستخدم لإقناعنا، خاصة حين يكون من غير المرجح الحصول على قياسات دقيقة أصلا.

المتوسطات المربكة

اختبر القضايا التالية:

1. يعيش الأمريكيون الآن أزهى أيامهم؛ فمتوسط دخل العامل الأمريكي الآن يبلغ 35 ألف دولار.

2. يقل متوسط تلوث هواء المصانع الآن بكثير عن المستويات الخطيرة.

يستخدم المثالان كلمة "متوسط". غير أن هناك ثلاث طرق مختلفة لتحديد المتوسط! وفي معظم الحالات يزودك كل واحد منها بمتوسط مختلف. ما هذه الطرق الثلاث؟ تتمثل إحدى الطرق في جمع كل القيم ثم قسمة هذا المجموع على عدد القيم المستخدمة. وتعتبر النتيجة بمثابة الوسط.

تتمثل الطريقة الثانية في ترتيب كل القيم من الأعلى إلى الأدنى، ثم العثور على القيمة المتوسطة. وتعتبر هذه القيمة هي الوسيط median. هنا تكون نصف القيم أعلى من الوسيط، والنصف الآخر أدنى من ذلك الوسيط. أما الطريقة الثالثة فتتمثل في سرد كل القيم ثم عد كل قيمة أو مجموعة قيم مختلفة، بحيث يطلق على القيمة الأكثر تكرارًا اسم المنوال، النوع الثالث من المتوسطات.

يختلف الأمر اختلافًا كبيرًا ما إذا كان مؤلف معين يتحدث عن **الوسط** أو **الوسيط** أو **المنوال**. تأمل توزيع الرواتب في الولايات المتحدة. بعض الأفراد يتلقون رواتب مرتفعة للغاية، تصل إلى 2 مليون دولار في العام. مثل هذه الرواتب المرتفعة تزيد من الوسط بصورة كبيرة، لكن تأثيرها يبقى ضئيلًا على المنوال. هكذا، إذا أراد باحث أن يجعل متوسط الرواتب يبدو مرتفعًا، فإنه يستخدم الوسط. لعلك الآن أصبحت قادرًا على إدراك أهمية نوع المتوسط المستخدم عندما يتحدث الناس عن الرواتب أو الدخل.

والآن، لنفحص المثال الثاني. إذا كان المتوسط المستخدم هو الوسط أو الوسيط، فإننا قد ننقاد إلى الشعور الكاذب بالأمان. فماذا، مثلًا، إذا كانت المصانع

عالية التلوث قليلة العدد، لكن ملوثاتها تفوق المعدلات الخطيرة بمراحل لدرجة أن الهواء يظل بوجه عام ملوثًا بصورة خطيرة. في هذه الحالات ربما تكون قيمة المنوال والوسيط منخفضة للغاية، لكن الوسط مرتفع جدًا.

عندما تصادف قيم "المتوسط"، اسأل دائمًا "هل من المهم أن نعرف ما إذا كانت تلك القيمة تمثل الوسط، أو الوسيط، أو المنوال؟ للإجابة عن هذا السؤال، تأمل كيف تغير الاستخدامات المختلفة لمعاني المتوسط من مغزى المعلومات.

ليس من المهم فقط أن نحدد ما إذا كان متوسط العام وسطًا، أو وسيطًا أو منوالًا، وإنما من المهم أيضًا أن نحدد الفجوة بين أصغر القيم وأكبرها ـ المدى ـ وقدر تكرار وقوع كل من هذه القيم ـ التوزيع. افترض مثلًا أن عليك اتخاذ قرار بشأن تناول السمك الذي تم اصطياده من المحيط القريب منك. هل ستقنع بالمعلومات التي تتحدث عن متوسط محتوى الزئبق في ذلك النوع من السمك؟ إننا لا نقنع بذلك.

نرغب في معرفة مدى محتوى الزئبق، بعبارة أخرى، أعلى وأدنى المستويات الممكنة وأيضًا تكرار المستويات المختلفة. قد يقع المتوسط ضمن المستوى "الآمن"، ولكن إذا كان 10٪ من السمك يحتوي على مستويات زئبق تتعدى المستويات الآمنة، فإننا ننصحك بتناول طعام آخر غير ذلك السمك في وجبة العشاء.

دعونا الآن نتناول مثالًا آخر يوضح أهمية معرفة المدى والتوزيع:

أمريكا ليست بلدًا مزدحمًا، فلدينا على المستوى القومي أقل من 60 نسمة في الميل المربع، أي أن كثافة سكانية أقل من معظم البلدان الأخرى.

أولًا، نحن نشك في أن نسبة الكثافة السكانية السابقة تمثل الوسط. إذ بينها قد يكون وسط الكثافة منخفضًا إلى حد كبير، من الواضح أن هناك مناطق تقع شمال شرق الولايات المتحدة، على سبيل المثال، بها نسبة كثافة سكانية مرتفعة. هكذا، فإن الولايات المتحدة قد تكون في الواقع مزدحمة جدًا في بعض المناطق، على الرغم من أنها في المتوسط ليست كذلك.

وفق هذا، عندما يعرض عليك متوسط معين، عليك أن تطرح السؤال "هل من المهم أن أعرف قيم المدى والتوزيع؟".

استنتاج شيء وإثبات آخر

كثيرًا ما يخدعنا أصحاب المقالات عندما يستخدمون الإحصاءات التي تبرهن على شيء ما في الوقت الذي يزعمون أنهم برهنوا على شيء مختلف تمامًا. فالإحصاءات لا تبرهن ما يبدو أنهم برهنوا عليه! نقترح طريقتين للكشف عن مثل هذا الخداع.

الطريقة الأولى تتمثل في أن تتجاهل إحصاءات صاحب المقال وأن تسأل نفسك: "ما الشواهد الإحصائية التي تساعد في البرهنة على هذه النتيجة؟". بعد ذلك، قارن الإحصاءات المطلوبة بتلك المقدمة. إذا لم يتطابق الاثنان، فإنك قد تكون وضعت يدك على خداع إحصائي. المثال الآتي يزودك بفرصة لتطبيق تلك الطريقة.

> يتباهى أحد بائعي السيارات بأن سيارة معينة لديه حققت نجاحًا مبهرًا لأن خمسة فقط من بين مئة مشترٍ كانت لهم شكوى لدى الموزع من أداء السيارة. " عندما يكون 95٪ من المشترين سعداء بسياراتهم، يقول البائع، لا ريب أنها سيارة جيدة.

كيف برهن بائع السيارات على النتيجة القائلة إن 95٪ من المشترين سعداء بسياراتهم؟ ألم يكن من المناسب أن يختار بصورة عشوائية عينة ضخمة من مشتري هذه السيارة ثم يسألهم، "هل أنتم سعداء بهذه السيارة؟"، لكن البائع استمع فقط إلى أصحاب الشكاوى ثم افترض أن كل من لم يشتك كان سعيدًا بسيارته، وهو افتراض غير مبرر. هكذا فإن البائع يثبت شيئًا (أن قليلًا من البائعين اشتكوا من أداء السيارة) ثم يستنتج شيئا آخر (معظم المشترين راضون عن سياراتهم). أحد الدروس المهمة التي ينبغي أن نستخلصها من هذا المثال هي

أن نصب اهتمامنا على كل من صياغة الإحصاء وصياغة النتيجة لنعرف ما إذا كانا يشيران إلى نفس الشيء. إذا لم يكن الأمر كذلك، فمن المحتمل أن يكون المؤلف أو المتحدث يكذب استخدام الإحصاءات.

كثيرًا ما تصعب معرفة نوع الشواهد الإحصائية المطلوبة لدعم نتيجة معينة. لذا دعونا نقترح إستراتيجية جديدة. افحص إحصاءات المؤلف *بدقة* إبان *إغفالك* النتيجة؛ ثم اسأل نفسك، "ما النتيجة المناسبة التي يمكن الاستدلال عليها من هذه الإحصاءات؟" بعد ذلك، قارن نتيجتك بنتيجة المؤلف. جرب هذه الإستراتيجية مع المثال التالي:

> قام ما يقارب ربع المعالجين النفسيين بالاعتداء... على مرضى قصر، وفقًا لما جاء في مسح أجراه باحث نفس إكلينيكي على علماء نفس مرموقين من مختلف الولايات. فمن بين 90 ممن استجابوا للمسح، قال 24٪ منهم إنهم يعرفون حالات اعتدى فيها المعالجون النفسيون على المرضى القصر.

هل وصلت إلى النتيجة الآتية؟ أن ربع المعالجين النفسيين تقريبًا زعموا أنهم يعرفون حالات اعتدي فيها على مرضى قصر. هل ترى الاختلاف بين ما تثبته الإحصاءات وما يستنتجه المؤلفون؟ إذا كان الأمر كذلك، فانك تكون قد اكتشفت كيف كذب هذا المؤلف بالإحصاءات.

التضليل عبر استبعاد معلومات

كثيرًا ما تخدعنا الإحصاءات لأنها ناقصة. هكذا، فإن إحدى الإستراتيجيات المساعدة الأخرى للكشف عن خلل في الاستدلال الإحصائي أن نسأل عن المعلومات الإضافية التي نحتاجها قبل أن يتسنى لنا الحكم على تأثير الإحصاءات. دعنا نفحص مثالين نوضح بهما فائدة هذا السؤال.

1. عصفت بمدينتنا موجة من الجرائم، فقد زادت جرائم القتل بنسبة 67٪ خلال العام الماضي.

2. الملاكمة أقل خطورة من أنواع الرياضة العنيفة الأخرى. لقد كشف مسح إحصائي عن حالات الوفاة الناجمة عن ممارسة الألعاب الرياضية في مدينة نيويورك خلال فترة تمتد لثلاثين عامًا أن عدد الوفيات الناجمة عن رياضة البيسبول بلغت 43 حالة، وهو رقم يفوق وفيات كرة القدم الأمريكية (22). أما الوفيات الناجمة عن الملاكمة فقد كانت (21).

نسبة 67٪ تبدو أول وهلة هائلة. غير أن هناك شيئًا مفقودًا: الأرقام المطلقة التي قامت على أساسها هذه النسبة. ألا نكون أقل حذرًا إذا عرفنا أن هذه الزيادة كانت من ثلاث إلى خمس حالات قتل فقط، بدلًا من 300 إلى 500 حالة؟ وفي مثالنا الثاني، لدينا الأرقام، ولكن ليس لدينا النسبة المئوية. ألا تحدونا الرغبة في معرفة ما تعنيه هذه الأرقام في ضوء نسبة الرياضيين المشتركين في الألعاب الرياضية؟ فعدد الملاكمين، في نهاية الأمر، كان أقل عمومًا من عدد لاعبي البيسبول.

عندما تصادف أرقامًا أو نسبًا مئوية تبدو مؤثرة كن حذرا، فقد تحتاج إلى معلومات إضافية لتقرر مدى تأثير هذه الأرقام.

يتمثل أحد أنواع المعلومات الأخرى المحتمل غيابها في المقارنات المتعلقة بالموضوع. كثيرًا ما يكون مفيدًا أن نطرح السؤال "بالمقارنة بـ...؟"

توضح كل واحدة من القضايا الآتية بعض الإحصاءات التي يمكن أن تفيد من عقد المقارنات:

1. الأسبرين الفوار أسرع مفعولا بنسبة 50٪.

2. الإنفاق على أبحاث مرض الإيدز مهم جدًا، ففي العام الماضي أنفقت الحكومة أكثر من 1.2 بليون دولار على أبحاث الإيدز.

3. للدرجات الجامعية مردودها، فقد بينت دراسة حديثة أن الموظفين الذين يحملون درجة البكالوريوس يكسبون في المتوسط 35 ألف دولار في العام في ربيع عام 2000.

بالنسبة للقضية الأولى، ألست في حاجة لأن تسأل "أسرع بخمسين في المائة من ماذا؟" هل أسرع من أنواع الأسبرين الأخرى غير الفعالة؟ أم أسرع من الأسبرين الفوار السابق طرحه في الأسواق؟ بالنسبة للقضية الثانية، ألا ترغب في مقارنة الإنفاق المذكور بالإنفاق بالسنوات السابقة، أو بالإنفاق على الأبحاث المتعلقة بالصحة؟ أما فيما يتعلق بالقضية الثالثة، فسوف تود أن تعرف كيف يمكن مقارنة هذا المتوسط بمتوسط دخل أندادهم من الأذكياء الذين قرروا عدم الالتحاق بالجامعات؟

عندما تواجه إحصاءات، لا تغفل عن السؤال "ما المعلومات المهمة المفقودة؟".

إحصاءات المخاطر والمعلومات المستبعدة

"سوف يقلل العقار X من خطر إصابتك بمرض القولون بنسبة 5٪".

"بينت الدراسات أن فحص ثدي السيدات في سن الخمسين بأشعة X يمكن أن يقلل من وفيات سرطان الثدي بنسبة 10٪".

تتمثل أحد الاستعمالات الشائعة للإحصاءات في الحجج ـ خاصة تلك المتعلقة بالمخاطر الصحية ـ في تقرير انخفاض المخاطر نتيجة لنوع من التدخل العلاجي. مثل هذه التقارير قد تكون مضللة، فنفس المقدار من انخفاض المخاطر يمكن تقريره بصورة نسبية أو مطلقة، ومثل هذه الاختلافات يمكن أن تؤثر بدرجة عالية في إدراكنا لمقدار انخفاض المخاطر.

تخيل رجلًا في الستين يعاني من متاعب في القلب يناقش مع طبيبه المزايا المحتملة لعلاج متاح يساعد في منع الأزمات القلبية المستقبلية. يقوم الطبيب باقتباس إحصاءات تتعلق بثلاث اختيارات علاجية متاحة للرجل:

1. العلاج (X) سوف يقلل من احتمال الإصابة بأزمة قلبية بنسبة 20٪.
2. العلاج (Y) سوف يخفض المخاطر بنسبة 1٪.
3. بالعلاج (Z) يتحرر 96 ٪ من الرجال من الأزمات القلبية لمدة خمس سنوات، مقارنة بـ 96 ٪ ممن لا يستخدمون العلاج.

أي علاج يتعين على هذا المريض أن يختار؟ نخمن أنه سوف يختار الأول. غير أن كل هذه الاختيارات تشير إلى نفس حجم التأثير العلاجي، وإن عبرت عن الخطر بطرق مختلفة. فالاختيار الأول (العشرون في المائة) يمثل "خفضًا نسبيًا للمخاطر". إذا قلل العلاج من خطر الأزمات القلبية من 5٪ إلى 4٪، فإن المخاطر تنخفض بنسبة خمس، أو 20٪، لكن التغير المطلق، من 5٪ إلى 4٪ يعتبر انخفاضًا بنسبة 1٪ فقط، كما أن التحسن في النتيجة من 95 إلى 96 يمثل واحد في المائة فقط. ما نريد قوله هنا هو أن التعبير عن خفض المخاطر بصورة نسبية وليس مطلقة، يمكن أن يجعل تأثير العلاج أكبر مما هو عليه بالفعل، ومن المرجح أن يأخذ الأفراد بعلاج معين عندما يعبر عن مزاياه بصورة نسبية وليس مطلقة. وكما يمكن لك أن تكون توقعت، تستخدم شركات الدواء عادة المخاطر النسبية في إعلاناتها، كما أن تقارير أجهزة الإعلام تميل أيضًا إلى التأكيد على المخاطر النسبية.

يمكن أن تكون المخاطر النسبية المنخفضة مضللة. هكذا، عندما تواجه حججًا تستخدم الإحصاءات، حاول دائمًا أن تحدد كيف أن النتائج قد تختلف وتكون أقل تأثيرًا إذ تم التعبير عنها بصورة مطلقة.

تلخيص

أكدنا على عدد من الطرق التي تساعدك على أن تكتشف "الكذب" بالإحصاءات. نأمل أنك تستطيع أن تدرك مشكلات الإحصاء في موضوعات العنف المنزلي والقدرة على قيادة السيارات التي قدمناها في مستهل هذا الفصل.

تلميحة: من أين جاء رقم 27 مليون المؤثر في المثال السابق؟ إذا كان يتعين عليك أن تستخدم الإحصاءات لمقارنة قدرات القيادة بين الرجال والنساء، ألا تكون مهتمًا في الأساس بعدد الحوادث التي وقعت في كل ميل قيادة، عوضًا عن الإحصاءات المقدمة؟

مفاتيح لتقييم الإحصاءات

1. حاول أن تعرف كل ما تستطيع معرفته حول كيفية الحصول على الإحصاءات. اطرح السؤال، "كيف عرف المؤلف أو المتحدث تلك الإحصاءات؟".
2. اهتم بنوع المتوسط الموصوف.
3. كن على حذر من مستخدمي الإحصاءات الذين يستنتجون أمرًا، بينما يثبتون آخر.
4. تجاهل إحصاءات المؤلف أو المتحدث وقارن بنفسك الشواهد الإحصائية المطلوبة في ضوء الإحصاءات المقدمة بالفعل.
5. كون استنتاجاتك الخاصة عن تلك الإحصاءات. إذا لم تتوافق مع نتائج المؤلف أو المتحدث، فمن المحتمل وجود خطأ معين.
6. حدد المعلومات المفقودة. كن على وجه الخصوص حذرًا من الأرقام والنسب المئوية المضللة والمقارنات المحذوفة.

سؤال نقدي: ***هل الإحصاءات مضللة؟***

تمرينات تطبيقية

حدد الأخطاء في الشواهد الآتية:

النص 1

حان الوقت لاستبعاد السياسيين مؤيدي فرض المزيد من الضرائب من وظائفهم حتى يتمكن الكونجرس أن يعمل على خفض أعباء

الضرائب على المواطنين. تدفع الأسرة الأمريكية النمطية في الوقت الراهن 27.3٪ من دخلها في صورة ضرائب فيدرالية، وضرائب محلية، وضرائب للولاية. وفي واقع الأمر، في عام 1988، دفع رب الأسرة الأمريكي المتوسطة أكثر من خمسين ألف دولار ضرائب فيدرالية.

النص 2

"لم تعد القيادة آمنة كما كانت في الماضي"، قال صديقي ذلك، بينما كان يهز رأسه وهو يقود سيارته في زحام مرور أحد أيام الجمعة على الطريق الحر السريع. لكن الواقع يقول إن القيادة في أمريكا أكثر أمنًا مما كانت عليه خلال الأعوام الستين الماضية. ففي عام 1984، كان لدينا 18.4 حالة وفاة ناتجة عن الحوادث المرورية لكل مائة ألف من السكان، مقارنة بـ 25.8 حالة عام 1970، و 23.3 عام 1950. حين تقود سيارتك اليوم على الطرق تكون أكثر أمنا مما لو كنت في بيتك أو مكان عملك. إن عدد الأمريكيين الذين يحتاجون رعاية صحية أو يتركون العمل بسبب الحوادث المنزلية يبلغ 12٪ سنويا. مقابل 5٪ يصابون في العمل. غير أن نسبة من يصابون في حوادث السيارات تبلغ 2.2٪ فقط.

النص 3

جينفر: المحامون يسرقون بالفعل شركات التأمين. قرأت أن متوسط ما حصل عليه المحامون في قضايا الممارسات الخاطئة التي ربحوها العام الماضي يزيد على مائتي ألف دولار.

أنطوني: حسن، إنهم يستحقون ذلك المال. فالأطباء يتزايد إهمالهم. خلال الأعوام الثلاث الماضية، تزايد عدد المرضى الذين رفعوا قضايا ضد إهمال جراحي العيون بنسبة 25٪.

جينفر: حسن، إن ما يحدث في مهنة الطب أمر مخيف. لقد قرأت في مكان ما أن ثلاثة أمريكيين من بين أربعة تقريبًا يعرفون شخصًا أقام دعوى على طبيب ما؛ من المؤكد أنني لا أرغب في أن أكون طبيبة إذا كان احتمال مقاضاتي بتهمة الإهمال الطبي يبلغ 75٪.

أنطوني: أتعلمين، أنت على حق، ربما كان يجب أن نكون أكثر قلقًا لفقدان الأطباء المتميزين بسبب ارتفاع تكاليف التأمين الصحي. أخبرني طبيبي أن معدل تأمينه زاد بنسبة 20٪ خلال العامين الماضيين.

جينفر: لديك حق فيما تقول. فكر في الأمر، لقد قرأت التماسًا وقعه مائتا طبيب في صحيفة Philadelphia Gazette لإلغاء المحاماة المشروطة بكسب القضايا في حوادث حالات أخطاء المهنة.

أنطوني: أتصدقين يا جينفر، أعتقد أنني الآن مقتنع بخطأ ذلك النوع من المحاماة؛ إذ إن 60٪ من الإحصاءات التي اقتبسناها تؤيد هذه النتيجة.

عينات من الأجوبة

النص 1

النتيجة: إننا في حاجة إلى إجراء تغيير في الكونجرس حتى يمكن تخفيض الضرائب على الأمريكيين.

المبرر: تدفع العائلة الأمريكية ضرائب أكثر مما يجب. الشاهد على ذلك أن العائلة الأمريكية النمطية تدفع 27.3٪ من دخلها على الضرائب الفيدرالية، وضرائب الولاية، والضرائب المحلية، كما أن رب الأسرة المتوسطة يدفع ما يزيد على خمسين ألفا ضرائب دخل فيدرالية.

هل هناك حقًا مغالاة في فرض الضرائب على الأسر الأمريكية؟ إن كلمات من قبيل *نمطي* و*متوسط* يجب أن تنبهنا إلى احتمال وجود تضليل معين. إذ يجب أن نعرف نوع المتوسط المستخدم في هذه الإحصاءات. هل هو الوسط، أم الوسيط، أم المنوال؟ فإذا كان النمط المستخدم هو الوسط، فإن القيمة يكون تم تضخيمها جدًا من قبل الأسرة الغنية، التي تدفع ضرائب عالية. الأسر التي يفوق دخلها مليون دولار، وعددها يتزايد، سوف تزيد من قيمة الوسط. أما إذا كان المستخدم هو الوسيط، فإن الأرقام المقدمة تكون أقل من الواقع بكثير. ففي عام 1996، مثلًا، كان متوسط دخل ضرائب الدخل على الأسرة الأمريكية 48.165 دولارا لكن الوسيط كان 35.536 دولارا فقط.

هناك أيضًا أرقام تم استبعادها في المقارنة السابقة. فمثلًا، كيف تتم مقارنة هذه النسبة من الضرائب مع نسبة ضرائب الأعوام الماضية؟ أليس من المحتمل أن تكون نسب الضرائب قد انخفضت بالفعل.

النص 2

النتيجة: القيادة في أمريكا الآن أكثر أمنًا مما كانت عليه منذ ستين عامًا مضت.

المبررات: 1. انخفضت حوادث المرور القاتلة بشدة بين عامي 1950، 1984.

2. أصبحت القيادة الآن أكثر أمنا من البقاء في المنزل. فقد أظهرت البيانات أن نسبة وقوع حادث لك في سيارتك أقل من نسبة وقوع حادث لك في المنزل أو العمل.

لتقييم استخدامات الشواهد، يجب أن نسأل أنفسنا في البداية عن أفضل الشواهد التي يمكن أن ترد على السؤال: "هل القيادة في أمريكا أكثر أمنًا مما كانت عليه في الماضي؟". في رأينا أن أفضل إحصاءات يمكن تقديمها للإجابة عن هذا السؤال تكمن في مقارنة معدل الحوادث الخطيرة التي تقع وفقًا لقطع عدد محدد

من الأميال في ظل شروط معينة، كالقيادة في المدينة والطرق السريعة بين الحاضر والماضي. والمقال السابق لا يقدم مثل هذه الأرقام. الأرقام المقدمة تمثل النسبة لكل مائة ألف من السكان؛ من هنا فالمقارنة مضللة. فهل عدد السكان الذين يقودون السيارات لعدد معين من الأميال عام 1984 مثلا هي نفسها في عامي 1950، 1970؟

والمجموعة الثانية من الشواهد تمثل أيضًا مقارنة مضللة لأن الأرقام المقدمة تفشل في أن تضع في الاعتبار حقيقة أننا نقضي في مكاتبنا ومنازلنا وقتًا أطول مما نقضيه في سياراتنا. والإحصاءات المناسبة التي كان يجب استخدامها هنا هي نسب الحوادث التي وقعت مقومة بعدد الساعات التي يقضيها الشخص في كل مكان من الأمكنة المذكورة؛ لاحظ كيف تختلف النسبة جذريًا الآن عن النسب المقدمة بالفعل في الفقرة السابقة (ملاحظة: الحجة المقدمة في المثال السابق تماثل الحجة القائلة بأنه أكثر أمانًا للمرأة أن تتنزه في حديقة سنترال بارك في نيويورك من أن تقرأ كتابًا في البيت، لأن نسبة حوادث الاغتصاب التي تقع في المنازل أعلى من تلك التي تقع في الحدائق).

ملخص السؤال النقدي

مكمن أهمية هذا السؤال

هل الإحصاءات مضللة؟

كثيرًا ما يستخدم المؤلفون الإحصاءات لتعضيد استدلالاتهم، وتبدو الإحصاءات كما لو كانت شواهد محكمة. على ذلك، هناك طرق عديدة يمكن أن يساء فيها استخدام الإحصاءات. وحيث إننا كثيرًا ما نستخدم الإحصاءات الإشكالية، فمن المهم تحديد المشكلات المتعلقة بالإحصاءات حتى تستطيع أن تحدد بدقة عالية ما إذا كان خليقًا بنا أن نقبل أو نرفض نتيجة المؤلف.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد الإحصاءات المضللة في كل من الأمثلة التالية:

- المشكلات المالية التي تواجه مدارسنا العامة مبالغ فيها إلى حد بعيد. ففي العام المدرسي 92/ 93 كان متوسط ما تم إنفاقه على كل تلميذ في مدرسة عامة في الولايات المتحدة ستة آلاف ومائة دولار. فضلًا عن هذا، فإن متوسط الراتب السنوي للمعلم المتفرغ في المدارس العامة هو أربعة وثلاثين ألفًا وسبعة وعشرين دولارا وفقًا لتقرير اتحاد المعلمين الأمريكيين. وهذا الراتب ليس قليلًا على الإطلاق، مقارنة بمتوسط دخل الأسر الأمريكية في عام 1990 والبالغ أربعة وثلاثين ألفًا وأربعمائة دولار في السنة. إن ما يؤدي إلى تقهقر نظامنا التعليمي ليس قلة الإنفاق أو تدني رواتب المعلمين، وإنما العجز في عدد المعلمين المدربين تدريبًا جيدًا بسبب قصور نظام التعليم الجامعي.
- ذكر 61٪ من الأمريكيين الذين أجري عليهم مسح إحصائي أنهم يعتقدون أن فترة بقاء العضو في مجلس النواب ينبغي ألا تتعدى اثني عشر عامًا. ففي عام 1994، كان عدد أعضاء المجلس الذين استمروا في العضوية منذ فترة الستينات 23 عضوًا، بينما كان هناك 4 أعضاء فقط ممن ولدوا في فترة الستينات. من الواضح أن رغبة الشعب الأمريكي هذه لم تحقق. ينبغي أن يعمل مجلس النواب مباشرة على وضع حد أقصى للفترات الزمنية لأعضائه حتى يؤدي خدمة أفضل للمواطنين الذين يمثلهم.
- "الحرب على المخدرات" تكلف هذا البلد أكثر مما تستحق. فكر في الأمر التالي: منذ عام 1971، أنفقت الولايات المتحدة حوالي 155 بليون دولار على الحرب على المخدرات. تضمنت ميزانية عام 1995 بمفردها 12 بليون دولار، منها 59٪ خصصت لجهود تعزيز القانون. ماذا جنت البلاد من وراء إنفاق هذه البلايين؟ ليس الكثير. فعدد من هم بين الثامنة عشر والخامسة

والعشرين ممن جربوا تعاطي الماريجوانا انخفض بنسبة طفيفة (حوالي ٧٪)، ولكن نسبة متعاطي الكوكايين ارتفعت بنفس النسبة تقريبًا، فيما بقيت نسبة المخدرات الأخرى ثابتة تقريبًا. إن المكاسب الهامشية الطفيفة التي جنيناها خلال عشرين عامًا من الحرب على المخدرات كان من الممكن توجيهها نحو استخدامات اجتماعية أكثر نفعًا. ولكننا، عوضًا عن ذلك، نستمر في إهدار مبالغ ضخمة على جهود لا طائل وراءها وإن كانت لها جاذبيتها السياسية.

12

المعلومات المهمة المستبعدة

ما قدر إقناع الإعلانات التالية؟

معظم الأطباء يصفون Ease-Pain علاجًا للصداع!

حصلت الكوكاكولا على قصب السبق في اختبارات التذوق الحديثة.

يتمثل غرض الإعلانين السابقين بالطبع في حثك على شراء المزيد من المنتجين. ولكنك تعرف، حتى قبل أن تنمو مهاراتك النقدية إلى مستواها الراهن، أن مثل هذه الإعلانات لا تخبرك بكل الحقيقة. فعلى سبيل المثال، إذا كانت شركة Ease-Pain تقدم للمستشفيات تخفيضًا أكبر مما تقدمه شركات الأسبرين الأخرى، كما تزودها بعينات مجانية تفوق ما تقدمه الشركات الأخرى، أو تقدم رحلات بحرية لمن يستخدم منتجاتها، فمن غير المحتمل أن ترى مثل هذه المعلومات متضمنة في الإعلان. وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات عند اتخاذك قرارا يتعلق بما سوف تتناوله كعلاج للصداع الذي تشعر به، فإنك لن تحصل عليها.

من خلال طرح الأسئلة التي تعلمتها من الفصول السابقة، كتلك الخاصة بالغموض، والافتراضات، والشواهد، سوف تكتشف الكثير من المعلومات



المهمة المستبعدة. إن بحثًا مستفيضًا عن المعلومات المستبعدة يكـون مهـمًا للتقيـيم الناقد يستحق من ثم المزيد من التأكيد. نحاول في هذا الفصل أن نجعلـك أكثـر حساسية لأهمية المسكوت عنه وأن نذكرك بأننا نعـالج صـورة منقوصـة للحجـة عندما نقتصر على تقييم الأجزاء المعلن عنها صراحة. من هنا، سـوف نخـصص هذا الفصل لمناقشة أحد الأسئلة المهمة التي يتعين عليك طرحها كي تـتمكن مـن الحكم على جودة الاستدلال. ما المعلومات المهمة المستبعدة؟

سؤال نقدي: *ما المعلومات المهمة المستبعدة؟*

مزايا الكشف عن المعلومات المستبعدة

يجب أن تتذكر أن معظم المعلومات التي تصادفها تخدم غرضًا معينًا. بعبـارة أخرى، فإن بناء تلك المعلومات قد تم وانتظم بواسطة شخص معين يأمـل في أن يؤثر في تفكيرك بطريقة محددة. وفق ذلك، فإن مهمتك تتمثـل في أن تقـرر مـا إذا كنت ترغب في أن تكون أداة لخدمة الغرض المختار. وكثيرًا ما يتمثل هذا الغرض في إقناعك.

يقوم أصحاب الإعلانات، والمدرسون، والسياسيون، والمؤلفون، والخطباء، والآباء بتنظيم المعلومات للتأثير في قراراتك. لذا، فإن الذين يرغبون في إقناعك سيحاولون دائمًا عرض موقفهم في أقوى صورة ممكنة. هكذا، عندما تواجه موقفًا تعتقد أنه يتضمن مبررات للإقناع، تقتضي منك الحكمة أن تتردد وتفكر في ما لم يخبرك به المؤلف، وهو أمر لم يشمله سؤالك الناقد بعد. إن هذه المبررات القوية التي صادفتك قد لا يكون لها هذا التأثير عندما تدرك أن دعمها الظاهر للنتيجة يستند إلى معلومات مهمة مستبعدة.

نعني بالمعلومات المهمة المستبعدة تلك التي من شأنها أن تؤثر في قرارك تبني حجج الكاتب أو المتحدث، أي إنها معلومات تشكل لب الاستدلال! يحفل هذا الفصل بأمثلة قد لا تكون مقنعة بدرجة كافية، ليس بسبب ما يقال وإنما بسبب ما لا يقال. ادرس الأمثلة المقدمة بعناية ولاحظ كيف أن الفشل في البحث عن المعلومات المستبعدة في كل حالة سينتهي بك إلى إصدار أحكام مبتسرة محتملة الخطأ.

يقين الاستدلالات الناقصة

لا يمكن تحاشي الاستدلالات الناقصة لأسباب عديدة. أولًا، بسبب القيود التي يفرضها الزمان والمكان. الحجج تكون ناقصة لأن أصحاب المقالات ليسوا ملزمين بالاستمرار في تنظيمها إلى ما لا نهاية، كما أنهم لا يملكون زمانًا أو مكانًا لا محدودا لعرض مبرراتهم.

ثانيًا، كل واحد فينا يمتلك قدرة محدودة على الانتباه؛ ويتنابنا الشعور بالملل عندما تأتي الرسائل مفرطة في طولها. لذا، كثيرًا ما يشعر أصحاب المقالات بالحاجة إلى توصيل رسائلهم بسرعة إلى الآخرين. ويعكس سلوك أصحاب الإعلانات والمحررين هذين العنصرين. فعلى سبيل المثال، حيث إن المكان والزمان المحددين لتقديم رسالة إعلانية معينة يكون محدودًا، وبحسبان أنه يتعين عليها أن تجذب وتستقطب انتباهنا، يلجأ المعلنون إلى القيام باستبعادات مخلة.

والسبب الثالث لحتمية عملية استبعاد المعلومات يكمن في أن المعرفة التي يمتلكها صاحب الحجة ستظل دائمًا ناقصة. أما الرابع فيرجع إلى محاولة صريحة للتضليل. أصحاب الإعلانات يدركون أنهم يستبعدون أجزاء مهمة من المعلومات. إذا عرضوا عليك كل المواد الكيميائية أو المكونات الرخيصة التي تدخل ضمن منتجاتهم، من غير المحتمل أن تقوم بشرائها. ويقوم الخبراء في كل المجالات عن عمد باستبعاد معلومات يعرفون أن نشرها علنًا سيضعف من التأثير الإقناعي لنصائحهم. مثل هذا الاستبعاد يكون مغريًا بصفة خاصة حين يدرك ناصحوك أنك شخصية "إسفنجية".

والسبب الأخير المهم لانتشار عملية استبعاد المعلومات يرجع إلى أن القيم، والمعتقدات، والاتجاهات التي يؤمن بها الذين يرومون نصحك أو حضك كثيرًا ما تختلف عن تلك التي تؤمن بها. تستطيع إذن أن تتوقع أن استدلالاتهم تسترشد بافتراضات تختلف عن الافتراضات التي تقدمها أنت للإجابة عن السؤال نفسه. يشبه كل واحد من هذه الرؤى العصابة التي توضع على عيني الحصان. فمثل هذه العصابة تحسن من توجيه الحصان إلى التركيز على ما أمامه. وهكذا، فإن رؤية الفرد، شأنها شأن العصابة على عيني الحصان، تعوق ذلك الشخص عن ملاحظة معلومات معينة قد تكون لها أهميتها عند من يستدل من إطار مرجعي مختلف. ما لم تتطابق رؤيتك مع رؤية الشخص الذي يحاول إقناعك، لك أن تتوقع استبعادًا مؤثرًا للمعلومات.

وفق هذا فإن المعلومات المستبعدة أمر لا يمكن تجنبه لخمسة أسباب على الأقل:

1. قيود الزمان والمكان
2. فترات الانتباه المحدودة
3. قصور المعرفة الإنسانية
4. التضليل
5. اختلاف الرؤى

أسئلة تكشف عن المعلومات المستبعدة

إذا كنت قد اقتنعت الآن بأن الاستدلالات ستبقى بالضرورة ناقصة، فقد تتساءل، "ماذا عساي أن أفعل؟" حسن، بداية يجب أن تذكّر نفسك المرة تلو المرة أنه بغض النظر عن الجاذبية التي تبدو بها المبررات التي تعضد قرارًا أو رأيًا معينًا أول وهلة، فمن الضروري أن تلقي نظرة أخرى بحثًا عن المعلومات المستبعدة. إن تذكر البحث عن المعلومات المستبعدة يعد خطوة أولى حاسمة في استخدام هذا السؤال الناقد.

كيف تبحث، وماذا تتوقع أن تجد؟ عليك أن تطرح أسئلة تساعدك على تحديد نوع المعلومات الإضافية التي تحتاجها، وأن تطرح أسئلة مصممة للكشف عن تلك المعلومات.

أليس من المنافي للعقل أن تطرح على مؤلف ما أسئلة لا يستطيع الإجابة عنها؟ كلا على الإطلاق! إذ على الرغم من أن المؤلف لن يجيب عن أسئلتك، فإن سؤالك إياه له جوانب إيجابية. أولًا، قد تمكنك المعلومات التي تعرفها بالفعل من العثور على المعلومات المفقودة. ثانيًا، البحث عن المعلومات المستبعدة المتضمنة في الكتابات التي تهدف إلى الإقناع يزودك بتدريب جيد على معرفة متى تكون قادرًا على البحث عن المعلومات المستبعدة وجهًا لوجه أمام أستاذك أو أي شخص آخر يحاول أن يقنعك شفويًا. والأهم من ذلك، البحث عن المعلومات المفقودة يحول بينك وبين التسرع في اتخاذ القرارات. إنك بطرح هذه الأسئلة تذكر نفسك بأن المعلومات المقدمة ناقصة وبأنه أيًا كانت النتيجة التي تصل إليها على أساس معلومات ناقصة ستكون الضرورة مؤقتة وليست نهائية.

هناك أنواع متعددة من الأسئلة التي يمكنك استخدامها لتحديد المعلومات المناسبة المستبعدة. بعض الأسئلة التي سبق أن تعلمت بالفعل كيفية طرحها سوف تلقي الضوء على المعلومات المهمة المستبعدة. فمثلًا، طرح أسئلة ناقدة حول الغموض، استخدام الشواهد، وخصوبة وجودة الافتراضات تحدد عادة المعلومات المهمة المستبعدة.

بالإضافة إلى ذلك، لكي نساعدك على تحديد المعلومات المستبعدة التي ربما لم تتضمنها الأسئلة الناقدة السابقة، سوف نزودك فيما يلي بقائمة تتضمن بعض أنواع المعلومات المهمة المستبعدة مع بعض الأمثلة للأسئلة التي تساعد في الكشف عنها:

مفاتيح للعثور على الأنواع الشائعة من المعلومات المهمة

1. حجج مضادة شائعة

أ. ما المبررات التي يمكن أن يقدمها شخص مخالف؟

ب. هل توجد دراسات بحثية تتناقض مع الدراسة المقدمة؟

ج. هل هناك أمثلة، أو شهادة، أو مماثلات مفقودة تعضد الجانب الآخر من الحجة؟

2. التعريفات المستبعدة

أ. كيف يمكن أن تختلف الحجج إذا تم تعريف المصطلحات الأساسية بصورة مغايرة؟

3. التفضيلات القيمية أو الرؤى المستبعدة

أ. ما مجموعة القيم المغايرة التي نستطيع أن نقارب هذا الموضوع من خلالها؟

ب. ما أنواع الحجج التي يمكن أن يقدمها شخص آخر يعالج الموضوع من خلال مجموعة مختلفة من القيم؟

4. أصول "الوقائع" التي تشير إليها الحجة

أ. ما مصدر "الوقائع"؟

ب. هل يتم دعم المزاعم الوقائعية بالأبحاث المؤهلة أو المصادر الموثوقة؟

5. تفاصيل الإجراءات المستخدمة لجمع المعطيات

أ. كم عدد الأفراد الذين أكملوا الاستبيان؟

ب. كيف تمت صياغة أسئلة المسح الإحصائي؟

6. أساليب بديلة لجمع وتنظيم الشواهد

أ. كيف يمكن أن تتباين نتائج الدراسة القائمة على المقابلة الشخصية عن نتائج الدراسة القائمة على استبيان مكتوب؟

7. الأرقام، أو الأشكال، أو الجداول، أو المعطيات المحذوفة أو الناقصة

أ. هل تختلف الأرقام لو تضمنت شواهد من العام السابق أو اللاحق؟

ب. هل تلاعب المؤلف في الأرقام ليضخم الخلافات؟

8. المؤثرات المستبعدة، الإيجابية والسلبية، على المدى القصير والبعيد، لما يتم الدفاع عنه وما يتم معارضته.

أ. هل تجاهلت الحجة نتائج إيجابية أو سلبية لفعل مقترح؟

ب. هل نرغب في معرفة تأثير الفعل على أي من الجوانب الآتية: السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو البيولوجية، أو الروحية، أو الصحية، أو البيئية؟

9. سياق الاقتباسات والشهادة الشخصية

أ. هل تم نزع اقتباس أو شهادة معينة من سياقها؟

10. المزايا التي يجنيها المؤلف من إقناع الآخرين

أ. هل تبنينا لسياسة المؤلف المقترحة ستعود عليه بنفع مادي؟

إن الوعي بهذه الأنواع المحددة سيساعدك كثيرًا في تحديد المعلومات المستبعدة المناسبة. ونظرًا لوجود العديد من أنواع المعلومات المهمة المستبعدة، يتوجب دائمًا أن تسأل نفسك السؤال العام، "هل تجاهل المؤلف أو

المتحدث أية معلومات أخرى أرغب في معرفتها قبل الحكم على درجة إحكام حجته؟".

دعونا نفحص بعض الحجج التي استبعدت بعض أنواع المعلومات التي ذكرناها آنفا ونلاحظ كيف أن كل استبعاد قد يتسبب في صياغتنا لنتيجة خاطئة. تتمثل الوسيلة الوحيدة لتجنب هذه المخاطر في إضافة تلك المعلومات المستبعدة في كل حالة. لننظر في البداية في زعم يقدمه أحد الإعلانات.

يتباهى إعلان معروف عن غسول مطهر للفم بأن ذلك المطهر يحتوي على مكونات قوية جديدة تقضي على 90٪ من البكتريا التي تسبب رائحة الفم الكريهة. هل يجب أن نستنتج من ذلك أننا يجب أن نشتري هذا المنتج المعلن عنه؟ انتظر برهة! فمن بين المعلومات العديدة المستبعدة، تجاهل الإعلان أن يتضمن معلومات عن: (1) نسبة البكتريا التي تقضي عليها المنتجات الأخرى المنافسة؛ فربما يقضي بعضها على 95٪ من البكتريا؛ (2) كمية البكتريا التي تقضي عليها الطريقة العادية لتنظيف الفم بفرشاة الأسنان أو بمجرد مضمضة الماء في الفم؛ ربما تصبح رائحة فمنا جيدة بمجرد مداومة استخدام الفرشاة والمعجون في تنظيفها؛ (3) الآثار السلبية المحتملة لقتل بكتريا الفم؛ (4) الأسباب الأخرى لرائحة الفم الكريهة؛ فربما تسهم التهابات الحلق واللوزتين في انبعاث تلك الرائحة؛ (5) كمية البكتريا اللازمة لخلق الراحة الكريهة في الفم؛ ربما كانت نسبة 10٪ كافية (6) تأثير غسول الفم على الجوف من الداخل، فقد يؤذي اللثة؟ (7) المزايا والعيوب الأخرى لغسول الفم، من قبيل الطعم، والسعر، ومدة بقاء تأثير المطهر. لقد استبعد المعلنون الكثير من المعطيات المهمة التي تحتاج إليها إذا أردت أن تأخذ قرارًا صائبًا بالشراء.

أرأيت كيف أن عبارات الإعلانات من قبيل "الأطباء يوصون بكذا..."، "هذا هو الشيء الحقيقي"، "يخفض السعرات الحرارية"، "خفيف"، "خال من الدهون بنسبة 98٪"، "غني بالسعرات الحرارية"، "يمكن أن يساعد في تخفيض

الكلسترول" و"طبيعي بنسبة 100٪"، قد تكون كلها دقيقة تمامًا ولكنها تظل مضللة بسبب المعلومات المستبعدة؟

من الواضح تمامًا أن الإعلانات تستبعد الكثير من المعلومات المهمة. دعونا الآن نلق نظرة على مثال استدلالي أكثر تعقيدًا. اقرأ الاقتباس التالي واسأل نفسك ما الذي تم استبعاده، مستخدمًا القائمة التي زودناك بها:

> تدفع المرأة في بلدنا ثمنًا باهظًا للنزعة النسوية الداعية إلى المزيد من المساواة. فمن خلال تأخير سن الزواج من أجل النجاح في العمل، تواجه المرأة "نقصًا حادًا في عدد الرجال"، ما يهدد فرصتها في الزواج. فعلى سبيل المثال، كشفت دراسة حديثة عن الزواج قام بها باحثون من جامعتي هارفارد وييل أن فرصة زواج الفتاة الجامعية التي لم تتزوج حتى سن الثلاثين 20٪، وفي سن الخامسة والثلاثين، تتضاءل فرصتها إلى 5٪. فضلًا عن هذا، كشفت الدراسة عن هبوط كبير في الوضع الاقتصادي يؤثر في النساء اللائي يتم طلاقهن في ظل قانون اللاخطأ – no fault الجديد. اكتشفت دراسة قام بها أحد علماء الاجتماع أن المرأة المتوسطة تفقد 73٪ من مستوى معيشتها بعد سنة واحدة من طلاقها، بينما يتمتع الرجل المتوسط بارتفاع 40٪ في مستوى معيشته. أيضًا، لم تكن صحة المرأة العقلية في وضع أسوأ من هذا بل إنها تنحدر في تناسب مباشر مع نزوعها في البقاء دون زواج أو تطليق نفسها من أجل الوظيفة. الحال أن العزباء تشكل الآن الغالبية العظمى من عدد المرضى في عيادات الطب النفسي.

ما المعلومات المهمة التي تحتاجها قبل أن تقرر ما إذا كان يتوجب على النساء أصحاب النزعة النسوية أن يتوقفن عن الاندفاع نحو المطالبة بالمساواة بالرجال؟ دعونا نقترح عليك بعض الأسئلة.

ما الحجج المضادة أو الأمثلة المخالفة التي يمكن لأصحاب النزعة النسوية استخدامها لدحض هذا الاستدلال؟ نستطيع أن نتخيل حجة مضادة تؤكد النتائج الإيجابية وراء السعي نحو المزيد من المساواة؛ من قبيل مزيد من التنوع في اختيار الوظائف والأدوار الوطنية، زيادة الحقوق القانونية، والحرية المثمرة المتزايدة.

ما التعريفات الممكنة للصحة العقلية التي يمكن استخدامها في هذه الحجة؟ ما الافتراضات القيمة التي تعكسها هذه التعريفات؟

ما مأتى الوقائع التي استندت إليها الحجة؟ كيف عرف المؤلف بتدهور صحة المرأة العقلية وأن النساء العزباوات يشكلن الغالبية العظمى من مرضى العيادات النفسية وأن المرأة المتوسطة تواجه انخفاضًا في مستوى معيشتها قدره 73٪؟ أيضًا، ما درجة ثقتنا في النتيجة الخاصة بالاختلافات المادية؟ يبدو أن البحث يستمد أصوله من مصادر جامعية، لكن المؤلف يقدم لنا القليل من التفاصيل التي تمكننا من الحكم على جودة البحث.

مثال ذلك، هل من المفيد لك أن تعرف أن دراسة أكثر حداثة من الدراسة المذكورة، قام فيها باحث جامعي باختيار عينة مكونة من 13.4 مليون ربة منزل، عوضًا عن العينة المكونة من ستين ألفًا في الدراسة السابقة، ووجد أن لدى الجامعيات اللائي لم يسبق لهن الزواج حتى سن الثلاثين فرصة تتراوح بين 58٪ و 66٪ للزواج، وفي سن الخامسة والثلاثين تتراوح النسبة بين32 إلى 41٪، وهو رقم أعلى سبع مرات من دراسة هارفارد وييل؟ إننا نحتاج بالتأكيد لمعرفة الأساس الذي قام عليه هذا الاختلاف قبل أن نحكم على قيمة الشاهد المستخدم. هل يمكن للمناهج البحثية الأخرى أن تقدم لنا رؤية مختلفة لسعادة المرأة؟

فمثلًا، نستطيع أن نخبرك أن دراسة أجريت في التسعينات تتبعت النساء أنفسهن لأكثر من ثلاثة عقود، ذكرت أن المتزوجات زواجًا تقليديًا يتعرضن أكثر من العزباوات لمخاطر عالية للإصابة بأمراض بدنية ونفسية في حياتهن– من الاكتئاب إلى الصداع النصفي، ومن ارتفاع ضغط الدم إلى تهيج القولون. أيضًا، ذكر لويس هاريس في استبيان أجراه على مجموعة من النساء بين سن الخامسة والأربعين والستين أن الغالبية العظمى منهن أبدين عدم رغبتهن في الزواج.

كيف يختلف مستوى معيشة المطلقات والمطلقين بعد خمس سنوات؟ من الواضح، أن المؤلف يقدم لك صورة منقوصة لكيفية تأثير أهداف الحركة النسائية على المرأة. وما لم تقم أنت بتكملة تلك الصورة الناقصة، فإن قرارك بدعم أهداف الحركة النسائية سيكون قرارًا مبتسرًا بدرجة كبيرة.

أهمية الآراء السلبية

هناك نوع آخر من المعلومات المستبعدة كثيرًا ما يتم تجاهله على الرغم من أهميته، من ثم فمن المهم أن نبرزه لك: *التأثيرات السلبية المحتملة* للفعل الذي يتم الترويج له، مثل التقنيات الحديثة، التوسع الصناعي، والسياسة العامة. ويأتي تأكيدنا على الآثار السلبية هنا بسبب أن الافتراضات المقدمة لمثل هذه الأفعال عادة ما توجد في سياق ترويج المؤيدين لجني منافعهم، مثل الاختيار الأوسع والسرعة الأكبر، المظهر الأفضل، المزيد من وقت الفراغ، زيادة عمر الإنسان، والمزيد من المنتجات المتطورة. ولأن معظم الأفعال يكون لها مثل هذه الآثار الإيجابية والسلبية المنتشرة، يتوجب أن نسأل:

- ما قطاعات المجتمع التي لا تفيد من الإجراء المقترح؟ ومن الخاسر؟ وما الذي يجب أن يقوله الخاسرون عن ذلك؟
- كيف يؤثر الإجراء المقترح على توزيع القوى؟
- هل يؤثر الإجراء على وضع الديمقراطية في مجتمعنا؟

- كيف يؤثر إجراء معين على رؤيتنا للعالم: ما الذي نفكر فيه؟ كيف نفكر، وما الذي نعرفه وما الذي يمكن أن نعرفه؟
- ما تأثير الإجراء على صحتنا؟
- كيف يؤثر الإجراء في علاقتنا المتبادلة؟ وعلاقتنا بالبيئة الطبيعية؟
- هل للإجراء تأثير تراكمي، بطيء؟

نحتاج أيضا إلى أن نسأل: "ما تأثيرات الإجراء السلبية المحتملة على المدى البعيد؟".

لتبيان فائدة طرح أسئلة المعلومات المستبعدة تلك، نتأمل السؤال الآتي:

ما بعض التأثيرات السلبية المحتملة للتطورات المتزايدة في تقنيات الحاسب الآلي، وهي السياسة التي يناصرها الكثيرون في مجتمعنا؟ هل تفكر في الآتي؟

- التلوث وتدهور الحالة الصحية. هل سيستخدم مصنعو الحاسب الآلي كميات كبيرة من المواد السامة الضارة التي يجب في نهاية الأمر التخلص منها في مقالب النفايات السامة؟ أيضًا، ما آثار الجلوس فترة طويلة أمام الحاسب الآلي على صحتنا؟
- التنقل في العمل. كم عدد أولئك الذين يفقدون وظائفهم أو يضطرون إلى التحول إلى وظائف أقل أهمية؟
- التعدي على الخصوصية. ما سهولة حصول الآخرين على معلومات تتعلق بدخلنا وعاداتنا الشخصية؟
- تسارع المعلومات. ما تأثير المعلومات المفرطة على الأشخاص؟
- المركزية العسكرية. هل يحتمل مع استمرار تواصل أجهزة الحاسب الآلي العملاقة، أن تتحكم بعض الجماعات في مجتمعنا تحكمًا كبيرًا في الجوانب العسكرية؟

- انخفاض درجة التفاعل الاجتماعي. ما الوقت الذي نستهلكه في التعامل مع الآلات، عوضًا عن البشر؟

يمكن أن تجعلنا مثل هذه الأسئلة نتردد في تنفيذ الإجراء المقترح.

المعلومات المستبعدة التي تظل غائبة

إن مجرد قدرتك على طلب معلومات مهمة مفقودة لا يضمن لك استجابة مرضية. فمن المحتمل تمامًا ألا تتم الإجابة عن أسئلتك الفاحصة. لا تقنط! فقد قمت بواجبك. لقد طلبت المعلومات التي تحتاجها لاتخاذ قرارك؛ والآن ينبغي أن تقرر ما إذا كان بالمقدور الوصول إلى نتيجة دون هذه المعلومات المستبعدة. لقد حذرناك آنفا من أن الاستدلال ناقص دائما. إذن، أن تزعم تلقائيا عدم قدرتك على اتخاذ أي قرار ما دامت المعلومات مفقودة إنما يعوقك عن تكوين أي رأي.

استخدام السؤال الناقد

ماذا يجب أن تفعل بعد انتهائك من التفكير في وجود معلومات مستبعدة في حجة معينة؟ تتمثل الاستجابة المنطقية الأولى في السعي نحو الحصول على تلك المعلومات. لكن عادة ما تصطدم بالمقاومة. وتكمن مهمتك مفكرا ناقدا في أن تعبر عن عدم قناعتك بالحجة في ظل وجود معلومات مستبعدة، وأن تستمر في البحث عن المعلومات التي تطلبها، أو تقبل الاستدلال بحذر على أساس أنه أفضل من الاستدلالات المنافسة.

المعلومات المستبعدة وأسلوبك الخاص في الكتابة والتحدث

عندما تتواصل مع الآخرين، يتعين عليك بالضرورة أن تستبعد بعض المعلومات التي يحتاجها مستمعوك. ولكن، ينبغي في الوقت نفسه لخبرتك باستخدام السؤال الناقد أداة للتقييم أن تحذرك سلفًا من أن لبعض المعلومات أهميتها عند صياغة حجة قوية. عندما تشرع في الكتابة أو التحدث، يجب أن تُظهر

الاحترام لمستمعيك أو لقرائك عندما تضمّن كتاباتك أو حديثك معلومات محددة تعلم سلفًا أنها ستساعدهم في الحكم على قيمة استدلالك.

فمثلًا، عندما تقترح أمرًا معينًا، فكر في نقائص ما تدعو إليه وشارك مستمعيك في أمر هذه المشكلات. إذا لم تفعل ذلك فأنت تهينهم. إنهم يدركون وجود النقائص، من ثم يتعين عليك، من أجل الحفاظ على مصداقيتك، أن تكون منفتحًا مستعدًا للإقرار بوجودها.

سؤال نقدي: *ما المعلومات المهمة المستبعدة؟*

تمارين تطبيقية

ثمة معلومات مهمة مفقودة في كل تمرين من التمارين الآتية. ضع قائمة بالأسئلة التي ترغب في طرحها على من قاموا بكتابة هذه التمارين. وضح أهمية هذه المعلومات المستبعدة في الحكم على أهمية الاستدلال.

النص 1

يحتاج الطلبة للمزيد من النوم، إذ إن أداءهم في الامتحانات والأبحاث يتدنى عندما لا يحصلون على قسط كاف من النوم. عندما نسأل الطلبة المتفوقين عن عادات نومهم، فإنهم يجيبون دائمًا بأنهم يحصلون على قسط وافر من النوم.

فضلًا عن هذا، شاهدنا جميعًا حشود الطلبة العائدين في وقت متأخر من الليل من الحانات. لقد نشر مركز الإرشاد في جامعتنا مذكرة تم فيها توثيق حقيقة أن المسرفين في السهر الصاخب غالبا ما يكونون نفس الطلبة الذين يفصلون في نهاية الأمر من الجامعة بسبب تدني مستواهم الدراسي. ربما كان حصولهم على قسط إضافي من النوم منقذًا لهم.

عينة من الأجوبة

النتيجة: *سوف يتحسن أداء الطلبة في المدارس إذا نالوا قسطًا إضافيًا من النوم.*

المبررات

1. *يزعم الطلبة المتميزون أنهم ينامون ساعات طويلة.*
2. *يقول مركز الإرشاد في جامعتنا إن الطلبة الذين يسهرون إلى وقت متأخر كثيرًا ما يكونون نفس الطلبة الذين يفصلون بسبب تدني مستواهم الدراسي.*

قبل أن نبدأ في الإصرار على طلب المزيد من النوم، يجب أن نفحص المعلومات التي قادت إلى هذه النتيجة. فمثلًا، ما الأمثلة المناوئة؟ أليس من المحتمل أن استيقاظك طويلًا وبصورة متكررة لإنجاز عملك بصورة جيدة قد يقودك إلى الحصول على تقديرات مرتفعة؟ ثم، ما كمية النوم الإضافية التي يحصل عليها الطلبة المتميزون؟ هل يحققون نتائج دراسية أفضل إذا ناموا فترات أقل؟

بالإضافة إلى ما سبق، ما الذي نعرفه عن كيفية إجراء المسح الإحصائي على الطلبة المتفوقين؟ لا شيء على الإطلاق!! أخيرًا، هل لدى مركز الإرشاد أي دليل مقنع على أن من يظلون مستيقظين إلى وقت متأخر هم حقًا نفس المجموعة التي تحصل على أدنى الدرجات؟

تلك كانت بعض الأسئلة القليلة التي نرغب في طرحها قبل أن نعتمد على المعلومات المقدمة في هذه التدريب.

ملخص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

ما المعلومات المهمة المستبعدة؟

عندما يحاول مؤلف معين أن يقنعك بأمر ما، كثيرًا ما يغفل معلومات مهمة. وكثيرًا ما تكون لهذه المعلومات أهميتها عند تقييم أهمية ذلك الأمر. ومن خلال السعي نحو الحصول على هذه المعلومات، يمكنك تحديد ما إذا كان المؤلف قد قدم لك معلومات كافية تدعم الاستدلال. فإذا كان المؤلف قد استبعد الكثير من المعلومات، فلا يمكنك قبول المعلومات التي يقدمها لتعضيد النتيجة. من هنا، يتعين عليك رفضها.

مختارات من أسئلة الموقع الخاص بالكتاب

حدد المعلومات المهمة المستبعدة في كل من الأمثلة الآتية

- يفيد كثير من المتسوقين هذه الأيام من التبضع عبر الإنترنت. لقد تم شراء ما قيمته 3.1 بليون دولار من البضائع خلال العام الماضي وحده. ومن المتوقع أن تصل مبيعات الأعياد عبر الانترنت إلى ما لا يقل عن ضعف أرقام العام الماضي، أي ما بين 6 إلى 8.6 بليون دولار في الولايات المتحدة وحدها. مثل هذا النمط من التسوق يتيح مزايا عديدة: الراحة، تعدد فرص الاختيار، ومقارنة فرص التسوق المختلفة. ما الذي يدعو المتسوقين إلى مغامرة الخروج بعيدًا عن منازلهم وسط الطرق السريعة المزدحمة ومراكز التسوق المكتظة إذا كانت متعة التسوق الإلكتروني بين أصابع أيديهم؟
- لصناعة التبغ أهميتها القصوى بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة. في عام 1992، صدرت الولايات المتحدة ما قيمته 1.7 بليون دولار من التبغ. ولا يتضمن هذا الرقم الاستهلاك المحلي لمائتين وسبعين مليون أمريكي، يصل عدد المدخنين بينهم إلى 25٪. ومن شأن القيود والإجراءات الإضافية أن تخفض من هذا الاستهلاك، مما يعني فقدان الوظائف وانخفاض عائدات التصدير التي نحتاجها بشدة في ظل العجز المالي الهائل الذي يعاني منه الاقتصاد الأمريكي الآن.

13

النتائج الوجيهة الممكنة

لعلك أصبحت الآن معَدا بصورة جيدة لتبحث عن الثمار الفكرية، بحيث تميز بين المبررات القوية والضعيفة. في الحجج الوصفية، تتمثل المبررات القوية في صورة شواهد مقنعة من قبيل نتائج الدراسات البحثية الدقيقة، والمماثلة المناسبة، واللجوء إلى السلطة ذات المصداقية، أو الأمثلة المقنعة. وبالنسبة للحجج القيمية، تتمثل المبررات القوية في صورة مبادئ أو قضايا قيمية تقوم بتحديدها باعتبارها أفضل قضايا مناسبة أو دعها.

تأمل المثال الآتي:

> حان الوقت لإنهاء ثورة الطلاق التي خبرناها خلال الثلاثين عامًا الماضية. لقد خلقت قلاقل اقتصادية للكثير من الأمهات كما أدت بعدد لا نعرفه من الآباء للتخلي عن مسؤولياتهم المالية تجاه أبنائهم. بالإضافة إلى ذلك، جعلت عددًا لا حصر له من الأطفال يعانون من تأثيرات خبرة الطلاق المريرة. هكذا، فإن إلغاء قوانين طلاق اللاخطأ no fault divorce laws – في الحالات التي تشتمل على

وجود أطفال يعد أمرًا معقولًا. إن تحويل الطلاق إلى أمر صعب المنال، من شأنه أن يجبر الكثير من الآباء والأمهات على البقاء معًا لحل مشاكلهم، مما يخفض بدوره من معدل الطلاق.

هل يجب بعد قراءة الفقرة السابقة أن تحث عضو المجلس الوطني في دائرتك على أن يؤيد إلغاء قوانين الطلاق تلك؟ هب أنك اختبرت مبررات المؤلف في الفقرة السابقة وتيقنت من معقوليتها. هل تستطيع ذكر نتائج أخرى يمكن أن تتساوى في درجة اتساقها مع هذه المبررات كما حدث مع النتيجة التي يقدمها المؤلف؟ سوف نقترح عليك في هذا الفصل نتائج بديلة محتملة.

نادرًا ما ستواجه موقفًا يمكن فيه استنتاج نتيجة واحدة معقولة فقط. من هنا، يجب أن تتيقن من أن النتيجة التي تتبناها هي أكثر النتائج معقولية وأكثرها اتساقًا مع قيمك المفضلة. ومن شأن إدراكك أن نفس المبررات يمكن أن تقدم تأييدًا لنتائج تختلف عن نتيجتك أن يزيد اهتمامك بأية اختبارات إضافية تساعدك في تحديد أفضل النتائج.

سؤال نقدي: *ما النتائج الوجيهة الممكنة؟*

الافتراضات والنتائج المتعددة

يستحيل التفسير الأحادي الجانب سواء للشواهد التي تحاول تدعيم زعم وقائعي معين أو مجموعة من المبررات القوية التي تؤيد نتيجة مفترضة. المبررات لا تتحدث عادة عن نفسها بصورة جلية. وكما سبق وشاهدنا مرات عديدة، يتم الوصول إلى النتائج فقط بعد أن يقوم شخص ما بتقديم تأويلات أو افتراضات معينة حول معنى المبررات.

إذا قمت بتقديم افتراض مغاير لمعنى المبررات، سوف تصل إلى نتائج مختلفة. وحيث إننا نمتلك مستويات مختلفة من الدقة التصورية، والأطر المرجعية، والمعرفة القبلية، فإننا كثيرًا ما نختلف حول النتائج المفضلة. إننا نصل إلى نتائج متباينة من المبررات نفسها لأن خلفياتنا وأهدافنا المتباينة تجعلنا ننحاز إلى افتراضات مختلفة عندما نقرر ربط المبررات بالنتائج.

أحيانًا يذكر الكاتب أو المتحدث نتائج بديلة يمكن الوصول إليها في ضوء المبررات التي يقدمها. لكن كثيرًا ما يتعين عليك اقتراح بدائل ممكنة. للقيام بهذا العمل الخلاق، حاول أن تتخيل نوع الافتراضات المختلفة التي تمكّن الشخص من الانتقال من المبررات التي حددتها إلى نتيجة أخرى. تذكر، من الممكن تكوين نتائج كثيرة محتملة وفقًا للمبررات نفسها. سوف يساعدك الجزآن التاليان في التعرف على فكرة تعدد النتائج المحتملة.

التفكير المثنوي: معوقات السعي نحو التفكير في نتائج متعددة

عدد الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها "بنعم" البسيطة أو "لا" المطلقة جد قليل. عندما يفكر الناس على طريقة قسمة الأبيض والأسود، بنعم أو لا، صواب أو خطأ، أو في ضوء الصحيح أو غير الصحيح، فإنهم ينخرطون في *التفكير*

المثنوي. يتكون هذا الضرب من التفكير من افتراض وجود إجابتين ممكنتين فقط لسؤال له في الواقع أكثر إجابة ممكنة.

لقد تعرفنا على التفكير المثنوي من قبل عندما ناقشنا أغلوطة إما - وإما. تفسد هذه الأغلوطة، والتفكير المثنوي بصفة عامة، الاستدلال من خلال تقييدها المفرط لرؤيتنا. فبعد أن ننظر في اختيارين متاحين، نعتقد أننا انتهينا من الأمر بحيث نغفل العديد من الاختيارات الأخرى والكثير من الآثار الإيجابية التي كان من المحتمل أن تنشأ عن الأخذ بواحد من تلك الاختيارات.

وكثيرًا ما يكون من يأخذون بالفكر المثنوي متصلبي الفكر غير متسامحين لأنهم يعجزون عن فهم أهمية السياق بالنسبة لأية إجابة معينة. ولكي تفهم هذه النقطة بجلاء، تخيل الموقف الآتي:

يطلب منك رفيقك في غرفة السكن الجامعي أن تساعده في إعداد أحد الأبحاث المطلوبة منه. يتعلق ذلك البحث بمناقشة السؤال: هل ينبغي لنا أن نقول الحق؟ ويتطلب البحث من الطالب أن يدافع برأيه الشخصي عن موقفه سواء "بنعم" أو "لا". لقد سبق وعرفت أن التفكير المثنوي يمكن تجنبه من خلال التحفظ على النتائج، أي بوضعها في السياق. وتتطلب عملية التحفظ منك أن تطرح الأسئلة الآتية بصدد أي نتيجة:

1. متى تكون دقيقة؟
2. أين تكون دقيقة؟
3. لماذا أو لأي غرض هي دقيقة؟

عندئذ تبدأ في تطبيق هذه العملية على البحث المطلوب منك. هل ستصاب بالدهشة من جراء الإحباط المتزايد لرفيقك في السكن حين تشرح له أنه خلال أوقات معينة، وفي مواقف معينة، يجب على المرء أن يقول الحق بغرض توقير قيم

أو أهداف معينة؟ إن صديقك ينتظر منك إجابة واحدة "بنعم" أو "لا"؛ لكنك تقدم له إجابة معقدة مؤداها "يتوقف الوضع على... ".

والتفكير المثنوي المتصلب يحد من مجال قراراتك وآرائك. الأسوأ من هذا، أن هذا النوع من التفكير يبسط المواقف المعقدة تبسيطًا مخلًا. من هنا، فإن من يأخذون بهذا الضرب من التفكير مرشحون بدرجة كبيرة للوقوع في الخلط والتشويش.

يوضح الجزء التالي القيود التي يسببها التفكير المثنوي.

وجهان أم عدة أوجه؟

قبل أن نتفحص عدة حجج تتضمن نتائج عديدة محتملة، دعنا نتأكد من فهمك وتقديرك للعدد الكبير من النتائج الممكنة مقارنة بالخلافات المهمة. إليك ثلاثة أسئلة معاصرة:



1. هل تقيس اختبارات IQ الذكاء؟
2. هل مقترحات الرئيس الضريبية محبذة؟
3. هل يجب تعيين القضاة أم انتخابهم؟

يبدو أول وهلة أنه يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة، شأن العديد من الأسئلة الأخرى، بنعم أو لا. رغم أن أفضل إجابة هي تلك التي تكون بنعم أو لا غير المقيدة، تتميز الإجابة بكلمة ربما بأنها غالبًا ما تضطرك لأن تقر بأن معرفتك الراهنة لا تخول لك تقديم إجابة محددة حاسمة. ولكن في الوقت الذي تتحاشى تقديم مثل هذه الإجابة، فإنك تكوّن قرارًا مؤقتًا أو رأيًا يستدعي التزامًا ويستوجب في نهاية الأمر فعلًا. وحالما تدرك استحالة تيقنك من الإجابة عن سؤال معقد، يفضل أن تقبل ضرورة اتخاذ القرارات حتى عندما تدرك أن هناك فهمًا أو معلومات مهمة مفقودة. ومن الحصافة أن تبحث عن معلومات إضافية تزيد بها من تعضيد آرائك، ولكن عند مرحلة معينة يجب أن تتوقف عن البحث

وتشرع في اتخاذ قرارك، حتى عندما تكون أقوى إجابة تريد الدفاع عنها هي "نعم، ولكن...".

أعد النظر في الأسئلة الثلاثة التي سبقت الفقرة السابقة، ثم حاول أن تحدد النتائج الممكن تبنيها إجابة عن كل سؤال. من الطبيعي أن تكون الإجابة بنعم أو لا أحد الخيارات الممكنة. هل هناك إجابات أخرى؟ نعم، هناك العديد! دعنا ننظر فقط في القليل من الإجابات الممكن تقديمها على أول هذه الأسئلة:

هل تقيس اختبارات IQ الذكاء؟

1. نعم، ولكن بمعنى أن الذكاء يعني الاستدلال المنطقي.
2. نعم، عند تقديم تلك الاختبارات لأطفال ينتمون إلى نفس الخلفية الاجتماعية والثقافية.
3. نعم، ولكن عند استخدامها مع الأطفال المبتدئين فقط.
4. نعم، عندما تتوافق درجات الاختبار بصورة كبيرة مع مقاييس الدافعية.
5. نعم، ولكن مع نمط الذكاء المفيد في المدارس.
6. لا، إذا عرفنا الذكاء بأنه ذلك العامل الذي يقود إلى النجاح لاحقًا في المجال الذي يختاره الفرد.
7. لا، إذا فشلت هذه الاختبارات في الاشتمال على معطيات تم جمعها شفويًا.

لاحظ أننا أضفنا في كل حالة شرطًا ضروريًا قبل إمكان تبرير النتيجة. في حالة غياب أية معطيات أو معلومات، فإن كل واحد من النتائج السبع السابقة يمكن أن يكون الأكثر معقولية. النتائج السبع السابقة ليست سوى أمثلة قليلة من النتائج التي يمكن تقديمها إجابة عن السؤال الأول. هكذا، من الممكن أن تكون هناك إجابات كثيرة على سؤال معين، وليس مجرد إجابتين فقط.

والآن، حاول أن تقترح خمس نتائج ممكنة للسؤال الثالث: *هل يجب تعيين القضاة أم انتخابهم؟*

ربما تكون النتيجة الآتية خطرت لك: يتم انتخابهم، شريطة تبيان أن معظم من سيدلون بأصواتهم يفهمون جيدًا المهام الملقاة على عاتق القاضي بصورة تكفي لاختيار يتسق مع العدالة المنشودة. ربما تكون قد فكرت في النتيجة الآتية: يتم تعيينهم، خاصة في الولايات التي يكون متوسط الأصوات في السباق التشريعي فيها أقل من خمسين في المائة خلال العشر سنوات الماضية. غير أنه من المحتمل ألا نختار أيا من النتيجتين السابقتين. لماذا نحن واثقون من ذلك؟ لأن هناك عددًا هائلًا من النتائج الممكنة لهذا السؤال. سوف تكون مصادفة بعيدة الاحتمال أن تختار إحدى الإجابتين من بين قائمة ضخمة من النتائج المحتملة. نأمل أن تصل إلى ذلك العدد الكبير من الإجابات، فمعرفتك بإمكان وجود نتائج متعددة سيقف حائلًا بينك وبين القفز المبتسر نحو نتيجة واحدة.

البحث عن نتائج متعددة

نعرض في هذا الجزء حجتين تتضمنان نتائج متعددة يمكن صياغتها من المبررات المقدمة في كل حجة. الغرض من وراء ذلك هو أن نقدم لك بعض النماذج كي تستخدمها عند البحث عن نتائج. في كل حالة، سنقدم لك بنية الحجة قبل أن نقترح عليك نتائج بديلة. يمكن للاقتراح الآتي أن يساعدك في بحثك: تفحص المبررات دون الاطلاع على النتائج، ثم حاول أن تحدد أكبر قدر ممكن من النتائج التي تلزم عن تلك المبررات. تستطيع دائمًا أن تستخدم أسئلة متى، وأين، وكيف لتكون عونًا لك في الوصول إلى نتائج بديلة.

النتيجة: يجب ألا تكون هناك قوانين تقيد تناول المشروبات الكحولية.

المبررات: 1. بإمكان أي شخص الحصول على المشروبات الكحولية إذا رغب في ذلك، بغض النظر عن عدد سنوات عمره.

2. تسمح بعض الدول حتى للأطفال الصغار بتناول كأس من الخمر مع وجباتهم، ولم تتأثر تلك الدول سلبا بذلك.

دعونا نبدأ بقبول هذه المبررات باعتبارها معقولة. ماذا عسانا أن نفعل بها بعد ذلك؟ تتضمن إجابة الكاتب نتيجة واحدة: يجب التخلي عن كل القيود التشريعية التي تعوق الحصول على المشروبات الكحولية.

ولكن حتى تسليمنا بهذين المبررين، لا يخول لنا بالضرورة الوصول إلى النتيجة نفسها. ولا تقل النتائج الأخرى في معقوليتها نسبة إلى تلك المبررات. فقد ينتج عن ذلك، مثلًا، أننا يجب أن نقيد الحصول على المشروبات الكحولية، فيما عدا داخل منازل الشباب اليافعين حيث يمكن للآباء أن يوجهوا عاداتهم الاستهلاكية في تناول المشروبات الكحولية.

أو، قد توحي هذه المبررات بأننا نحتاج إلى تشريع أكثر صرامة لتناول المشروبات الكحولية يمنع ما تم افتراضه في المبرر الأول. نرغب إذن فيما يختص بالمبرر الثاني أن نضيف إلى هذه القوانين الصارمة شرطا إضافيا يستثني تناول الخمر في المنازل. ولا تتأيد هذه البدائل بالمبررات المنطقية فحسب، وإنما تقود إلى نتائج تختلف تمامًا مع النتيجة الأصلية.

نتيجة: لا يجب أن يمنع الكونجرس تجريم الماريجوانا.

المبررات:

1. أثبت فريق من العلماء البريطانيين أن تدخين الماريجوانا قد يتسبب في تلف خطير للمخ.

2. يجابه مدخنو الماريجوانا خطر نقص الخصوبة.

3. كثيرًا ما يتحول مدخني الماريجوانا إلى تعاطي الهيروين.

ما النتائج التي يمكن استخلاصها؟ إحدى النتائج المحتملة تتمثل في عدم تجريم الماريجوانا في منطقة محلية ما ثم ملاحظة التأثيرات التي تترتب على ذلك قبل تعميم الأمر على المستوى القومي. ومن البدائل الممكنة أيضًا، أن يتبنى

الكونجرس بحثًا يتم تصميمه لتطوير مادة تنتج آثارًا تماثل تلك التي تحدثها الماريجوانا لكنها تتلافى آثارها الجانبية الضارة. ثمة نتيجة أخرى ممكنة تستند إلى التمسك بقيمة المسئولية الفردية، ألا وهي السماح ببيع سجائر الماريجوانا في المحال التجارية جنبا إلى جنب مع المنتجات التي تحوى مواد خطيرة، ويقوم هذا الافتراض على أساس أن للأفراد الحق في استخدام المخدرات إذا رغبوا في ذلك. لاحظ أن هذه النتائج الثلاث تبقى ممكنة حتى إذا سلمنا بصدق المبررات الثلاثة السابقة. هكذا، كثيرًا ما يمكن استخدام المبررات نفسها لتعضيد عدة نتائج متباينة.

فعالية العبارات الشرطية

إذا تأملت كل النتائج البديلة السابقة التي ناقشناها في هذا الفصل، فسوف تلاحظ أن كل نتيجة تكون ممكنة لأننا نفتقد وجود معلومات وتعريفات، وافتراضات معينة، أو وجود الإطار المرجعي الذي نحلل به المبررات. من هنا، نحن نستطيع تكوين نتائج متعددة من خلال الاستخدام الحصيف للعبارات الشرطية، حيث نفترض شرطًا يسمح لنا بالوصول إلى نتيجة معينة. لاحظ أن استخدام العبارة الشرطية يسمح لنا بالوصول إلى نتائج معينة دون التظاهر بامتلاك معرفة تفوق ما نعرفه بالفعل حول قضية خلافية بعينها.

عندما تضع العبارة الشرطية قبل النتيجة، فإنك بذلك تشير إلى أن نتيجتك تتأسس على مزاعم أو افتراضات معينة لست متيقنًا منها. لكي تدرك ما نعنيه بذلك، تأمل مثال القضايا الشرطية الآتية التي قد تسبق النتائج:

1. إذا كانت حرية الأديان هي المقصودة حين يتحدث الكاتب عن فقدان حريتنا الأساسية، فإن ...
2. إذا استمر معدل الارتفاع في المواليد خلال السنوات الخمس القادمة، فإن ...
3. إذا استطعنا البرهنة على أن معظم من يستخدمون اليوم الدفاع بادعاء الجنون هم في الواقع مرضى عقليون، فإن ...

تزودك العبارة الشرطية بنتائج متعددة قد ترغب في تقييمها قبل أن تتخذ قرارًا بصدد القضية الخلافية المعنية، كما أنها تزيد من قائمة النتائج الممكنة التي تستطيع اختيار رأيك من بينها.

الحلول البديلة نتائج

كثيرًا ما نواجه موضوعات معروضة بالصيغة الآتية:

هل يجب أن نفعل س؟ هل س سلوك مرغوب فيه؟

تقود مثل هذه الأسئلة إلى التفكير المثنوي. كثيرًا ما يخفي طرح السؤال بهذه الطريقة سؤالًا أكثر تفصيلًا، "ماذا عسانا أن نفعل مع ص؟" (التي تتكون عادة من مجموعة من المشكلات الملحة). إن إعادة صياغة السؤال بهذه الطريقة تقودنا إلى تكوين نتائج متعددة في صورة معينة: حلول لمشكلات تثيرها المبررات. تكوين حلول متعددة يزيد كثيرًا من درجة مرونة تفكيرنا...

عندما تتمثل مبررات الحجة الوصفية في صورة قضايا تعبر عن مشكلات عملية، عليك أن تنظر في الحلول المختلفة للمشكلات باعتبارها نتائج محتملة.

مفاتيح لتحديد نتائج بديلة

1. حاول أن تحدد أكبر عدد ممكن من النتائج المحتملة التي تلزم عن المبررات.
2. استخدم العبارات الشرطية للتحفظ على النتائج البديلة.
3. أعد صياغة الموضوع إلى "ماذا يجب أن نفعل مع ص؟".

التأثير المحرر لإدراك نتائج بديلة

لو كان المنطق، أو الوقائع، أو الدراسات أمرًا ذاتي التفسير، لاختلفت مقاربتنا للموضوع الذي نقوم بدراسته. يتطلب الأمر أن نعثر على شخص آخر غيرنا، ربما معلم، ليزودنا بالاعتقادات التي يجب أن تكون لدينا. ولكنا، على وجه التحديد، يجب أن نسعى إلى الحصول على مجموعة واحدة محددة من المعتقدات التي يمليها الوقائع والمنطق.

رغم أننا نكنّ للوقائع والمنطق احترامًا جمًا، فإننا لا نستطيع أن نبالغ في تقدير دورهما كمرشدين لصياغة النتائج. ذلك أن دورهما في المساعدة ينتهي عند هذا الحد؛ وبعدئذ يتعين علينا أن نمضي بقية الطريق نحو الاعتقاد، مستخدمين العون الذي حصلنا عليه من المنطق والوقائع.

تتمثل الخطوة الأولى في استخدام هذه المساعدة في البحث عن نتائج محتملة متعددة تتسق مع المنطق والوقائع كما نعرفها. هذا البحث يحررنا بصورة مهمة. إنه يحررنا من النموذج الجامد من التعليم الذي حددناه فيما سبق. وحالما نقر بتعدد النتائج المحتملة، يستطيع كل واحد منا أن يستمتع بنشوة اختياره الخاص.

نريد أن نحذرك من أن شعور الإثابة الذي كثيرًا ما يواكب تكوين نتائج متعددة قد يغريك بأن تعتبرها جميعًا متساوية المصداقية ومن ثم تظن أن مهمتك قد انتهت بتدوينك قائمة النتائج. لكن تذكر أن بعض النتائج يمكن أن تبرر بصورة أفضل من غيرها، وأن أكثر النتائج مصداقية هي تلك التي يكون لها التأثير الأكبر في رد فعلك نحو استدلال المؤلف. وهكذا، بعد أن تنتهي من تطبيق مهارات تفكيرك الإبداعية في تكوين قائمة النتائج المتعددة، فإنك تحتاج إلى مراجعة مصداقية كل واحدة منها.

تلخيص

نادرًا ما تعني المبررات شيئًا واحدًا. فبعد أن تنتهي من تقييم مجموعة من المبررات، يبقى أمامك أن تقرر أكثر النتائج اتساقًا مع أفضل المبررات في الخلاف.

لكي تتحاشى التفكير المثنوي في بحثك عن أقوى النتائج، قدم سياقات بديلة للنتائج من خلال استخدام أسئلة متى، وأين، وكيف.

التحفظ على النتائج سوف يجنبك مثالب التفكير المثنوي. وستزودك العبارات الشرطية بطريقة للتعبير عن هذه التحفظات.

دعونا ننظر مجددًا في حجة رد قوانين الطلاق دون خطأ، التي تحدثنا عنها في صدر هذا الفصل. ما النتائج البديلة التي تتسق مع المبررات المقدمة؟

نتيجة المؤلف: يجب إبطال قوانين الطلاق دون خطأ.

نتائج بديلة:

1. إذا كانت حرية الاختيار أهم من الأمان المالي، فيجب ألا نبطل قوانين الطلاق دون خطأ.
2. إذا كان من الممكن بيان أن قوانين الطلاق دون خطأ تسبب صراعات عائلية إضافية من خلال صراع الآباء وإجبار الأطفال على اختيار صف أحد الطرفين، فإن أفضل الحلول لمخاوف المؤلف قد تكمن في العمل على تقليل هذا الصراع، ربما من خلال تشجيع وسطاء للصلح في حالات الطلاق عوضًا عن التقاضي أمام المحاكم.
3. إذا كان من الممكن البرهنة على أن قوانين الطلاق دون خطأ ليست سببًا رئيسًا في ارتفاع معدلات الطلاق، أو أنها سبب أقل أهمية من عوامل أخرى من قبيل ارتفاع عدد حالات الزواج بين أولئك الذين يشغلون وظيفتين أو تغيير الأدوار الأسرية المنوطة بالوالدين، يجب عدم تغيير قوانين الطلاق بدون خطأ.

هناك العديد من النتائج الممكنة البديلة في ضوء مبررات المؤلف. ومن شأن وضعها في الحسبان أن يحسِّن من جودة استجابتنا.

تمارين تطبيقية

سؤال نقدي: *ما النتائج الوجيهة الممكنة؟*

حاول أن تحدد نتائج مختلفة يمكن استدلالها من المبررات لكل حجة من الحجج الآتية:

النص 1

عندما يضطر الناس للعيش معًا في مكان واحد، فإنهم يجابهون مشكلات عديدة. فالطلبة في مختلف أنحاء حرمنا الجامعي يهجرون غرف السكن الجامعي لعدم رضاهم عن ترتيبات سكنهم السابقة. ويتمثل حل هذه المشكلة في منع المشكلات قبل حدوثها. فإذا اعتاد مكتب السكن الجامعي على أن يجري مسوحًا إحصائية واستبيانات لاهتمامات الطلبة قبل أن تطأ أقدامهم الحرم الجامعي، فقد ينجحون في الجمع بين الأفراد الذين لهم اهتمامات مشتركة في غرف السكن الجامعي. لكن مكتب السكن الجامعي يصيبنا بالإحباط حين يسمح بحدوث المتاعب المرتبطة بمحاولة السكن مع رفيق غرفة غير مريح.

النص 2

عندما اشتريت حاسبًا آليًا منذ ثلاثة أشهر مضت وشرعت في استخدامه لأغراض الدراسة، ارتفعت درجاتي بمعدل نصف علامة. أيضًا تقول مجلة Consumer Reports أن بعض أجهزة الحاسب الآلي مصممة خصيصًا لخدمة الأغراض التعليمية، وهذا مؤشر واضح على أنها سوف تحسِّن من الأداء الدراسي. إذن، يتعين على كل طالب، عند دخوله الجامعة، أن يشتري جهاز حاسب آلي.

النص 3

بينما تقود سيارتك وسط طرقنا السريعة المزدحمة، تشاهد المزيد والمزيد والضخم والأضخم من الشاحنات الرياضية التي تمر بك. لقد تزايدت الانتقادات حول هذه الشاحنات خلال السنوات القليلة الماضية، وبدأت سمعتها في الانحدار حتى أن الممثلين الكوميديين يسخرون منها في الحانات باستمرار. هل السخرية المتزايدة من الشاحنات مبررة؟ أعتقد أنها مبررة تمامًا، فالحملة ضد هذه السيارات ليست مجرد مسألة مزاج شخصي. الشاحنات الرياضية تؤذي الناس بطرق عديدة.

وتكمن المشكلة الكبرى في أن هذه الشاحنات تقتل العديد من الأمريكيين. إن قيادتك لواحدة من هذه الشاحنات الرياضية يضاعف على الأقل من احتمال أن تقتل شخصًا آخر في أي حادث، فيما تقوله دراسة قومية حديثة. السبب في ذلك يرجع إلى أن وزن هذه الشاحنات أكبر من وزن السيارات العادية، كما أنها تفوقها ارتفاعًا. وعندما تصدم الشاحنة سيارة أخرى، فإنها تسحقها. وتقدم دراسة حديثة شواهد تبين أنها أكثر خطورة من غيرها من السيارات العادية الأخرى. حيث بينت الدراسة أن اصطدام شاحنة بسيارة عادية تسبب في قتل عدد من الأشخاص يفوق ما يسببه اصطدام السيارات العادية بعضها ببعض.

وعلى الرغم من اعتقاد الكثيرين أنهم أكثر أمنًا داخل الشاحنات الرياضية لأنها ضخمة وثقيلة الوزن، فإن معدلات الحوادث القاتلة لركاب تلك الشاحنات يماثل معدلها في السيارات العادية. احتمالات أن يلقى المرء وعائلته حتفهم عند ركوب شاحنة رياضية ضخمة تماثل احتمالات موته داخل سيارة متوسطة الحجم، وفقًا لدراسة أجراها مجلس السلامة الوطني للسيارات. ما السبب في ذلك؟ الشاحنات

الرياضية تزيد من احتمال الوفاة عند تدهور السيارة وانقلابها. فإذا انقلبت شاحنة رياضية، فإن احتمالات قضاء من فيها نحبه يزيد عشرة أضعاف عنه حال تعرضه لحادث في سيارة هوندا سيفك. أيضا، تتسبب الشاحنات الرياضية في تلوث البيئة لأنها مستثناة من القواعد المطبقة على السيارات العادية. القوانين الراهنة تسمح لهذه الشاحنات ببعث ملوثات تزيد خمس مرات عن السيارات العادية في كل ميل. تخيل كيف يبدو الضباب والدخان في مدننا إذا استمر جنون شراء تلك الشاحنات الرياضية.

لقد حان الوقت لأن يستيقظ الأمريكيون ويكفوا عن شراء الشاحنات الرياضية، ما لم تكن لديهم حاجة ملحة لشراء هذه السيارات الضخمة، غير الآمنة الملوثة للبيئة.

عينة من الاجوبة

النص 1

النتيجة: فشل مكتب الإسكان الجامعي في تحمل مسؤولياته تجاه الطلبة.

المبررات:

1. يعاني عدد كبير من قاطني الغرف من المشكلات.
2. لا يمكن منع المضايقات بين سكان الغرف.
3. يمكن للمواءمة بين اهتمامات الطلبة أن تجعلهم أكثر ارتياحًا.

إذا قبلنا مصداقية هذه المبررات، نستطيع أيضًا أن نستدل بصورة معقولة على النتائج الآتية:

إذا كان الهدف الأساسي لمكتب الإسكان يتمثل في تشجيع التفاعل بين

الطلاب المتباينين، فإن إحدى النتائج المحتملة أنهم يقومون بوظيفتهم بصورة فعالة.

يتعين على مكتب الإسكان المسئول قانونًا أن يقدم التماسًا إلى المشرعين يطلب استثناءً للقوانين الحالية يسمح لهم أن يوائموا بين الطلاب وفقًا لكتيب التنوع الإرشادي الذي يتم توزيعه من مكتب المدعي العام.

لاحظ أن النتيجتين البديلتين تضعان مكتب الإسكان في موقفين متباينين مقارنة بالصورة السلبية الواردة في النتيجة الأصلية.

النص 2

النتيجة: يجب على كل الطلبة شراء جهاز حاسب آلي.

المبررات:

1. عندما اقتنى المؤلف حاسوبًا منذ ثلاثة أشهر مضت، ارتفع معدل درجاته بما يساوى نصف معدل.
2. تصنع بعض أجهزة الحاسب الآلي لخدمة الأغراض التعليمية فقط.

نستطيع، وفقًا لهذه المبررات، أن نستدل على عدة نتائج بديلة.

فالطلبة المماثلون للمؤلف يجب أن يستخدموا الحاسوب في الأغراض التعليمية. وإذا كانت المسؤولية الفردية مفضلة على المسؤولية الجماعية، والطالب يرغب في رفع درجاته، يتعين عليه شراء حاسوب للأغراض التعليمية.

إذا لم يكن بالإمكان البرهنة على أن الطالب لا يستطيع أن يستخدم بكفاءة الحواسيب الآلية المنتشرة في المواقع المركزية داخل الجامعة، يتعين على الجامعات أن تزود كل سكن جامعي بأجهزة حاسب آلي.

تلخيص السؤال الناقد

مكمن أهمية هذا السؤال

ما النتائج المعقولة الممكنة؟

عندما تتخذ قرارًا بقبول نتيجة المؤلف أو رفضها، يجب أن تتيقن من أن المؤلف انتهى إلى أكثر النتائج معقولية. كثيرًا ما يتجاوز المؤلف حدود الاستدلال عندما يصل إلى النتيجة. ومن خلال تحديد النتائج البديلة المعقولة، يمكنك أن تحدد أي النتائج البديلة، إن وجدت، تكون مستعدًا لقبولها مقابل نتيجة المؤلف. وتعد هذه الخطوة الوسيلة الأخيرة لقبول نتيجة المؤلف أو رفضها.

14

تطبيـق ومراجعـة

في هذا الفصل نجمل كل شيء من أجلك. سوف نبدأ بسرد الأسئلة النقدية في قائمة. نأمل أن تعمل قائمة المراجعة هذه كمرشد متاح أمامك حتى تصبح الأسئلة أمرًا معتادًا. عندما تقع عينك على مقال، أو محاضرة، أو مناظرة، أو كتاب دراسي، أو إعلان تجاري، أو رسالة على الإنترنت، أو أي مادة أخرى تتعلق بموضوع يهمك، سوف تكتشف جدوى هذه القائمة حين تساعدك في مراجعة كل سؤال تطرحه.

بعد ذلك، سنقوم بتطبيق الأسئلة النقدية من خلال التقييم الناقد لموقف واحد يتعلق بمسألة خلافية معاصرة. الغرض الجوهري من هذا النقاش هو تقديم مثال لتطبيق متسق لكل خطوات التفكير الناقد.

نقترح عليك أن تتابع النقاش واضعًا عدة أهداف نصب عينيك. إذ تستطيع أن تعتبر هذا النقاش بمثابة مراجعة لما فهمته في الفصول السابقة. هل تشعر بقدرة أفضل في الحكم على قيمة استدلالات الآخرين؟

قائمة مرجعية بأسئلة التفكير الناقد

12. ما المسألة وما النتيجة؟

13. ما المبررات؟

14. أي الكلمات والعبارات يعاني من غموض؟

15. ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟

16. ما الافتراضات الوصفية؟

17. هل هناك أية أغاليط في الاستدلال؟

18. ما مدى وجاهة الشواهد؟

19. هل هناك أسباب منافِسة؟

20. هل الإحصاءات مضللة؟

21. أية معلومات مهمة حذفت؟

22. ما النتائج الوجيهة الممكنة؟

طرح السؤال المناسب: مثال شامل

سوف نقدم في البداية فقرة تلخص جانبًا واحدًا من جوانب موافقة الوالدين

على إجهاض القاصرين. ثم سنتبع هذا الجزء بمناقشة مستفيضة للأسئلة النقدية الإحدى عشرة.

يواجه المراهقون مشكلات اجتماعية وعاطفية معقدة، ولا يمكن تحاشي هذا النوع من المشكلات، غير أنه يتم إعداد معظم المراهقين لمجابهتها بصورة عقلانية. ونظرًا لهذا الإعداد السيىء، فإن تواصلًا فعالًا وأمينًا بين الآباء والمراهقين أصبح أكثر أهمية من أي وقت مضى. فالحكمة المتراكمة لدى الآباء بفضل خبراتهم، يمكن أن تمثل نبراسًا يهدي أطفالهم إلى أفضل القرارات. غير أن هذه الحاجة الماسة للتواصل يتم وأدها، من خلال التوسع في الحقوق الفردية لهؤلاء القصر.

من الأمثلة المثيرة للقلق على أن حقوق القصر قد نالت أكثر مما تستحق، القانون الفيدرالي الذي يسمح للقصر بالحق في الإجهاض دون موافقة الوالدين. ومبررات هذا القانون ترجع إلى أن الفتاة لن تحصل في الغالب على بغيتها إذا ما أسرت إلى والديها برغبتها في الإجهاض. غير أن ما لم يدركه هؤلاء المناصرون أن مجرد رغبة الفتاة في إجهاض نفسها لا يعني أنها يجب أن تحصل على هذا الحق. فكر مليًا في الأمر. هل ترغب أن تأخذ ابنتك قرارًا أهوج يتعلق بمثل هذا الأمر المهم؟ يجب إذن تغيير هذا القانون قبل أن يدمر حياة المراهقين.

قارن هذا الأمر مع الطفل الصغير الذي يدخل في نزاع مع رفيق مشاغب. قد يرغب الطفل في الرد عليه بالسباب أو بالتفوه بملاحظات بذيئة أو عراك بدني. غير أن الطفل لا

يدرك إلا بعد نصح الوالدين أن المواجهة تجلب المزيد من العدوانية واحتمال الأذى البدني.

بالمثل، فالفتاة التي تكتشف أنها حامل تتغلب عليها العواطف والأسف، والارتباك، والشعور بالذنب، والإحباط، والخوف. ومع استمرار ضغط هذه الانفعالات عليها، قد تتصرف دون وعي. إنها في أمس الحاجة للإرشاد الناضج العقلاني الذي يمكن أن يقدمه الآباء لتحاشي اتخاذ قرار متعجل.

يذهب المؤيدون أيضًا إلى أن الموافقة القسرية للوالدين سوف تعمل فحسب على تدمير علاقة الوالدين بالأبناء من خلال تصعيد الصراع والتوتر. غير أن الأمر على عكس ذلك تمامًا. فطلب موافقة الوالدين يمنع الموقف المأساوي الذي لا مفر من وقوعه إذا ما اكتشف الوالدان أن ابنتهم أجرت علمية الإجهاض دون موافقتها.

بالطبع، سيحدث بعض التوتر حين تفصح الابنة عن حملها، بيد أن هذا التوتر المبدئي ليس سوى ثمن بخس يتم دفعه مقابل علاقة صريحة صادقة. القوانين التي تسمح بإجراء الإجهاض دون موافقة الوالدين تحرم الفتيات من طلب نصيحة أقرب الناس إليهن. لقد تطورت قوانين عدم موافقة الوالدين من خلال القلق المشروع على حقوق القصر، ولكن ماذا عن حقوق الآباء؟ إن القانون يطلب موافقة الوالدين على إجراء القاصر للعمليات الجراحية. وباستثناء الحالات الطارئة، لا يتلقى الطفل القاصر الاهتمام الطبي حتى يحصل على موافقة أحد الوالدين، وينطبق هذا

الأمر حتى على رغبة القاصر في ثقب شحمة أذنه! في مثل هذه الحالات، يقر القانون بحق الوالدين في معرفة مصلحة أطفالهم. من شأن السماح للقصر بالمضي في الإجراءات الجراحية الخاصة بالإجهاض دون موافقتهم أن يسلبهم هذا الحق. وإذا كانت الحكومة تعتبر سلامة وصحة القاصر بهذه الأهمية، فعليها أن تصون هذه السلامة في كل الحالات.

يرغب الوالدان أيضًا في معرفة ما إذا كان أطفالهما قد أجروا عمليات إجهاض لما قد تتضمنه هذه العمليات من معاناة بدنية أو آثار جانبية وعاطفية، لا يمكن تقريبًا الإفلات منها. ففي مسح إحصائي لأطباء النساء والولادة، قام 91٪ منهم بمعالجة مرضى من مضاعفات نجمت عن عمليات إجهاض مشروعة. اشتملت هذه المضاعفات على النزيف المتعذر التحكم فيه، والنزف الداخلي، والنوبات المرضية، والعدوى، وآلام البطن، وتمزق عنق الرحم.

ولا تقل التأثيرات السيكولوجية عن ذلك ضررا، ومثالها الاضطرابات المترتبة على التوتر اللاحق للإجهاض والاكتئاب. تظهر دراسة بحثية حديثة أن المراهقات اللائي مررن بخبرة الإجهاض يعانين من الاكتئاب بمعدل يفوق أقرانهن ممن لم يمروا بمثل بتلك الخبرة. وتظهر دراسة أخرى أحد الجوانب المرعبة المتمثلة في أن 60٪ من النساء اللائي يعانين من مضاعفات ما بعد الإجهاض تتولد لديهن ميول للانتحار.

إذا لم يدرك الوالدان أن بناتهم أجرين عمليات إجهاض، فكيف يمكن أن ينتبهوا للإشارات التحذيرية

للانتحار فضلًا عن الاضطرابات الأخرى؟ الإجابة هي إنهم لا يستطيعون؟ كما أن هذه الأعراض الجانبية، في غياب العلاج الصحيح، قد تغدو أكثر تدميرًا لصحة الفتاة بصورة أسوأ مما لو تمت معالجتها مباشرة.

وكثيرًا ما يستشهد أولئك الذين يعترضون على طلب موافقة الوالدين بآراء مؤسسات ذائعة الصيت تتفق مع آرائهم، مثل مؤسسة تنظيم الأسرة. لكن هذه المؤسسة ترفض طلبات موافقة الوالدين لأسباب اقتصادية وليس لأسباب أيديولوجية. وتتناقص حالات حمل المراهقات في المؤسسات بما يقرب من 85٪ في الولايات التي تتطلب الموافقة الإلزامية للوالدين على إجهاض القاصرات. ويؤدي تراجع حالات الحمل إلى تراجع ضخ الأموال في تلك المؤسسات. ومن الواضح أن مؤسسة تنظيم الأسرة لن تسهم في دعم ممارسة لا تحقق لها ربحًا.

ولا يخدع الدعم المزعوم لهذه المؤسسات الجميع. ففي عدة اقتراعات، أيد أكثر من 70٪ ممن أدلوا بأصواتهم قوانين ضرورة إخطار الوالدين. كما أظهرت عدة مؤسسات دينية تأييدًا قويًا لهذه القوانين. غير أن المحاكم الليبرالية والحكومة المتصلبة تفشل في الاستجابة لرغبات الجمهور. إن ما لا تدركه المحاكم والحكومة هو أهمية قيام تواصل فعال بين الأطفال والوالدين بخصوص موضوعات العصر الحساسة.

ما المسألة وما النتيجة؟

الموضوع المثار في الفقرة السابقة وصفي: هل يجب الحصول على موافقة

الوالدين على إجهاض القاصرات؟ وقد عرفنا أن هذه هي المسألة من خلال ما يروم المؤلف البرهنة عليه. وتدعم كل مبررات المؤلف النتيجة بنعم، أي ضرورة الحصول على موافقة الوالدين. وتبرز المبررات المطروحة المشكلات التي تواجه القوانين الحالية ومزايا إلغائها.

ما المبررات؟

دعونا نلخص المبررات التي قادت إلى النتيجة بأنه يجب حصول القاصرات على موافقة الوالدين لإجراء علميات الإجهاض.

1. أضحت الحاجة إلى تواصل فعال أكثر حيوية من أي وقت مضى؛ ومن شأن هذا القانون أن يقضي على مثل هذا التواصل.

مبرر مساعد: يعجز معظم المراهقين عن التعامل مع الموضوعات الاجتماعية والعاطفية المعقدة بأنفسهم.

2. القاصر عاطفي وطائش بدرجة لا تسمح له باتخاذ مثل هذا القرار.

مبرر مساعد: قرار الإجهاض يشبه رد فعل طفل معين تجاه طفل آخر مشاغب حيث تتغلب لديه العواطف على العقلانية.

3. قوانين الحصول على موافقة الوالدين لا تصعد من الصراع والتوتر؛ العكس هو الصحيح.

4. يسلب مثل هذا القانون الآباء حقوقهم المسلم بها عند اتخاذ إجراءات العمليات الجراحية. 5. معرفة الآباء بإجراءات الإجهاض تقلل من صدمة الآثار الجانبية العاطفية والبدنية التي لا مفر من حدوثها.

مبرر مساعد أول: 91٪ من أطباء النساء والولادة عالجوا قاصرات من مضاعفات الإجهاض، مثل النزيف اللاتحكمي، والنزيف الداخلي، إلخ.

مبرر مساعد ثان: تظهر الأبحاث ارتباطًا بين إجراء الإجهاض والاكتئاب.

6. لا ينبغي أن نركن إلى حجج مؤسسة تنظيم الأسرة لشبهة مصلحتها الاقتصادية من وراء التمسك بالقانون.

7. يحبذ الأمريكيون قوانين إحاطة الآباء علمًا بالإجهاض

مبرر مساعد: أظهر استطلاع للرأي أن 70٪ يؤيدون مثل هذه الإحاطة.

8. تؤيد المؤسسات الدينية قوانين الإحاطة.

أي الكلمات أو العبارات يعاني من غموض؟

دعونا ننظر في البداية إلى احتمال وجود غموض قد يضعف من الاستدلال السابق وذلك بالفحص الدقيق لمبررات المؤلف الأساسية. ثمة غموض مهم يكتنف الحجة كلها. إذ ما المقصود على وجه الدقة "بموافقة الآباء؟".

يمكن صياغة العبارة بصورة واضحة ـ يجب أن يقول أحد الوالدين إنه يسمح للقاصر أن تجري الإجهاض ـ لكن هذه العبارة قد تفسر بعدة طرق. في واقع الأمر يختلف تفسير عبارة "موافقة الآباء" من ولاية إلى أخرى.

لاحظ كيف يتأثر رد فعلك نحو قوانين إحاطة الآباء من خلال اختيار أحد التعريفات البديلة الآتية لمصطلح "موافقة الآباء":

أ. موافقة أحد الوالدين.

ب. موافقة الوالدين معًا، باستثناء حالات الطلاق، حيث يتم الحصول على موافقة من بيده الوصاية فقط.

ج. موافقة الوالدين معًا، دون استثناء.

إذا كنت تعتقد، مثلًا، أن الحصول على موافقة الوالدين معًا تخلق توترًا عائليًا كبيرًا، فسوف تكون أقل تأييدًا للنتيجة إذا كان الكاتب يحبذ التعريف الثالث.

بالإضافة إلى ما سبق، لا تحدد الفقرة السابقة المقصود بكلمة الوالدين من

الناحية القانونية. فالأجداد هذه الأيام يقومون بتنشئة العديد من الأطفال. هل تكون موافقة الجد أو الجدة مناسبة إذا كانت الفتاة تعيش مع أحدهما؟ من الواضح، أننا قد نوافق أو نعترض على النتيجة وفقًا لمعنى موافقة الآباء؛ هكذا فإن العبارة غامضة جدًا.

يتضمن المبرر الثاني غموضًا مهمًا أيضًا ـ الآثار الجانبية العاطفية. فعلى الرغم من أن المؤلف يورد مثالين لمثل هذه الآثار، فإن درجة رغبتنا في اعتبار هذا المبرر سندا قويا للنتيجة تتوقف على إحساسنا بتكرار، وشدة، واستمرارية مثل هذه الآثار الجانبية.

ما الخلافات القيمية وما الافتراضات؟

تقدم المقالة دراسة مهمة لموضوع تضارب القيم. ولكي ندرك هذا التضارب، يجب أولًا أن نميط اللثام عن افتراض أحد القيم الضرورية التي أسهمت في تحديد الموضوع على صورته التي جاء عليها. فقبل الشروع في مناقشة متطلبات موافقة الوالدين على الإجهاض، يجب أن يكون الشخص أولًا من مؤيدي حق المرأة في الإجهاض. يشار إلى الأفراد الموافقين على حق الإجهاض عمومًا بأنهم أنصار حق الاختيار Pro-choice، وهو تعبير يشير إلى حق المرأة في اختيار القيام بالإجهاض. من هنا، فإن مؤلف الفقرة يثمن حق الفرد في الاختيار بمعنى من المعاني.

غير إن حق الفرد في الاختيار يتعارض مع قيمة أخرى مفترضة: المسؤولية الجمعية. فحجة طلب موافقة الوالدين برمتها تقوم على تصور أن مجتمع البالغين يتمتع بمسؤولية جماعية تخول له التحكم في بعض حقوق القصر. من هنا، فتفضيل قيمة المسؤولية الجماعية على المسؤولية الفردية يؤثر بوضوح في اختيار الكاتب للمبررات والنتيجة.

يمكن أيضًا التعرف على قيمة أخرى مفضلة من خلال علاقة المبرر الأول والثالث بالنتيحة. فالصراحة والأمانة مفضلتان على الخصوصية والاستقلالية.

وطلب الحصول على موافقة الوالدين يعد أمرًا صريحًا وأمينًا فيما يتعلق بأفعال الفرد المحتملة. غير أن الصراحة والأمانة، تتعارضان مع حق الفتاة في الاحتفاظ بخصوصية بعض الأمور في حياتها وفي اتخاذ ما يتعلق بجسدها من قرارات.

ما الافتراضات الوصفية؟

لكي تكون المبررات الأول، والثالث، والخامس صادقة ومن ثم مؤيدة للنتيجة، يجب أن نفترض أن الوالدين سوف يتصرفان بعقلانية من أجل أفضل مصلحة لأطفالهما. غير أن هذا الافتراض الوصفي موضع ارتياب. فمن الجائز جدًا أن العديد من الآباء سيثورون عندما يعلمون بحمل بناتهم، ومن ثم يترتب على ذلك أثر سلبي يؤثر على تواصل الأسرة وعلى عملية اتخاذ القرار. ومن الافتراضات الضمنية في الفقرة السابقة تصور أن الآباء يتمتعون بالحصافة، والحكمة، والعقلانية. فإذا اعتقدنا عوضًا عن ذلك أن الأمر لا يكون بهذه الصورة النمطية، فمن المرجح أن نتشكك في صدق هذه المبررات.

ثمة افتراض وصفي ثان مهم يكمن وراء زعم المؤلف في المبرر الأول مؤداه أن التوسع في بسط الحقوق للقاصرات يضعف رابطة التواصل بين الآباء والأطفال. وباستخدامه مصطلح "يضعف" يفترض المؤلف أن التواصل الفعال بين الآباء والمراهقات الحوامل قائم الآن بالفعل. غير أننا نعلم أن الآباء يعانون كثيرًا في التواصل مع المراهقين.

يشعر الكثير من القصر بالعزلة عن آبائهم ومن ثم لا يشعرون معهم بالارتياح عند مناقشة مسائل شخصية من قبيل العلاقات الجنسية أو الإجهاض. ومن المحتمل أن تغيير القانون قد يضعف في الواقع من التواصل القائم ويؤخر اتخاذ قرار الإجهاض الذي قد يكون له مخاطره على صحة الابنة. هكذا، يدفعنا هذا الافتراض الإشكالي للارتياب في صدق المبرر. ثمة افتراض آخر يربط المبرر المساند بالمبرر الأصلي ـ أن الأب أفضل شخص يمكن أن تستشيره المراهقة الحامل. غير أن الأشخاص البالغين الآخرين، مثل أصدقاء العائلة أو الأخصائية

في المدرسة قد يكونون أكثر عونًا لأنهم أقل تورطا في الموقف من وجهة نظر عاطفية.

يعد المبرر الخامس افتراضًا وصفيًا آخر له أهميته بالنسبة للحجة. يعتمد صدق هذا المبرر على افتراض أن الفتاة المراهقة التي تجرى الإجهاض دون موافقة والديها لن تفصح عن قرارها بعد الانتهاء من عملية الإجهاض. لأن الإجهاض يمثل قرارًا شخصيًا خاصًا، قد ترغب الفتاة في الانتظار حتى ينتهي الأمر لتخبر والديها، وعندئذ يمكن أن ينتبهوا لاحتمال وجود آثار جانبية. فإذا أخذنا بالاعتقاد بأن معظم الفتيات سوف يفصحن عن إجهاضهن إلى آبائهن بعد إتمامه، سوف نرتاب في صدق هذا المبرر.



هل هناك أية أغاليط في الاستدلال؟

هناك العديد من المغالطات التي تبطل بالفعل الحجة السابقة. أولًا، يصرف المؤلف انتباهنا عن الموضوعات الحقيقية باستخدام لغة عاطفية. فتعبيرات من قبيل "حقوق القصر نالت أكثر مما تستحق"، "القرارات الطائشة"، "وتدمير الحياة"، تجعل القارئ يأخذ موقفًا سلبيًا من القانون الحالي. أيضًا، تبدو عبارات من قبيل "رابطة التواصل" و"إنشاء قنوات اتصال" ذات منحى إيجابي يخلق ارتباطًا إيجابيًا لموقف المؤلف.

ويصرف المؤلف مرة أخرى انتباهنا عندما ينتقد مؤسسة *تنظيم الأسرة*. فهو يرتكب هنا أغلوطة الحجة الشخصية عندما يهاجم المؤسسة عوضًا عن انتقاد أفكارها. قد تكون مؤسسة *تنظيم الأسرة* متحيزة ضد قوانين موافقة الوالدين، لكن قد تكون لديها مبررات وجيهة لرفضها. لقد كانت لدى الكاتب فرصة ليؤدي للقارئ خدمة جليلة من خلال التركيز على مبررات مؤسسة *تنظيم الأسرة* عوضًا عن التركيز على تأثير الجوانب المالية. فكل من الطريقتين تصرف انتباهنا عن الموضوع الأساسي وعن المبررات المحددة المناسبة، مثل مزايا وعيوب قوانين موافقة الوالدين. وتقع أغلوطة *السؤال المشحون* في سياق المبرر الثاني. فالقضية

المتضمنة في الفقرة الثانية "هل ترغب أن تتخد ابنتك قرارًا متهورًا فيما يتعلق بهذا الموضوع المهم؟"، والقضية "ينبغى تغيير هذا القانون قبل أن يدمر حياة المزيد من المراهقات"، تفترضان أفكارًا تحتاج إلى برهان. إذ لم يتم حتى الآن تقديم أدلة تثبت أن هذه القرارات متهورة وأن حياة المراهقات تم تدميرها. بالإضافة إلى هذا، تتضمن الحجتان بعض مغالطات الاستدلال. أولًا، المبررات من الثاني حتى الأخير ترتكب أغلوطة *الاحتكام إلى الجمهور* من خلال اللجوء إلى الاستعانة برأي الأغلبية. كما أنها ترتكب أغلوطة *الافتراض الخاطئ* لربطها بين المبرر والنتيجة القائلة بأنه إذا أحبت الأغلبية شيئًا ما، فلا بد أن ذلك الشيء الصحيح. ثانيًا، يعتبر الاستشهاد بدعم المؤسسات الدينية في المبرر الأخير *لجوءًا خاطئًا إلى السلطة*. إذ نحن في حاجة لأن نتساءل عن مبررات وشواهد اللجوء إلى السلطة أو الجماهير؟

ما مدى وجاهة الشواهد؟

في البدء نسأل، هل لدى المؤلف أية شواهد على مزاعمه؟فإذا كانت الإجابة بنعم، عندها نسأل، ما نوع الشواهد التي يقدمها المؤلف؟ تتلخص شواهد المؤلف في الاسشهاد بثلاث دراسات بحثية، وبمماثلتين، وباللجوء إلى السلطة. ونظرة فاحصة على هذه الشواهد تبين أن مزاعمه تفتقر إلى الشواهد المحكمة.

يقدم المؤلف في الفقرة الثانية مماثلة؛ فمماثلة الطفل المشاغب تطرح بوصفها شاهدا على أن القاصر يحتاج لأحد الأبوين لكبح الانفعالات المتهورة. ويقع التماثل المتعلق هنا بين طفل صغير يتعرض للمضايقة وفتاة قاصر تقرر إجراء عملية إجهاض، ومثاله المماثلة بين الرغبة في عدم التصرف بحماقة، وحقيقة أنه في كلتا الحالتين يقود الخطأ إلى عواقب وخيمة. غير أن الاختلافات تشكك في قيمة استخدام المماثلة هنا كشاهد. يتمثل أحد الاختلافات في صغر عمر الطفل ودرجة نضجه، فالأطفال الكبار في السن عادة ما يكونون أكثر نضجًا من الأطفال الأصغر سنًا. ثمة اختلاف آخر يتمثل في رد الفعل المحتمل للوالدين تجاه الفعل.

فمن المرجح أن يتصرف الوالدان بعاطفة جياشة وحكمة أخلاقية في حالة الإجهاض بدرجة تفوق رد فعلهما تجاه مضايقة الطفل المشاغب لابنهما. وهناك اختلاف ثالث يتمثل في دور الخصوصية. فالتفكير في إجهاض جنين فتاة أكثر خصوصية من التفكير في التصدي لمشاغبات الأطفال.

ثمة استدلال مماثلي آخر استخدمه المؤلف لتدعيم المبرر الرابع، حيث تذهب الحجة إلى أن موافقة الوالدين تكون ضرورية عندما تمر القاصر بإجراءات طبية ـ حتى إذا تعلق الأمر بمجرد ثقب الأذن. تفترض المماثلة هنا أن الإجهاض يقع ضمن الإجراءات الطبية. غير أن هذه المماثلة عرضة لنفس التساؤلات التي أثرناها حول المماثلة الأولى الخاصة برد فعل الوالدين المتوقع وخصوصية فعل الحمل.

يشير المبرر الخامس إلى مسح إحصائي لعدد من أطباء النساء والولادة كشاهد على وجود احتمال كبير لأن تعاني الفتاة من الأعراض الجانبية للإجهاض. وهذا الشاهد ضعيف، لنقص المعلومات المتاحة حول عملية المسح، مما يترك أسئلة مهمة دون إجابة. كم يبلغ عدد الأطباء الذين تم إجراء المسح عليهم؟ هل كانت العينة على مستوى الدولة، أم الولاية، أم عينة محلية؟ هل كانت العينة عشوائية؟ أيضا كم عدد السنوات التي شارك فيها الأطباء في ذلك المسح؟ وما مقدار تواتر المشكلات المختلفة. كل المعلومات السابقة مهمة وغائبة على الرغم من أهميتها. وبدون وصف تفصيلي إضافي للمسح الإحصائي، لا يمكن اعتباره شاهدًا مساعدًا.

وتتضمن الفقرة الختامية للمقال أخطاء مماثلة بخصوص المسح الإحصائي المستخدم. إذ لا يوجد مصدر يحدد العينة ومدى شمولها. فكر، على سبيل المثال، في الاختلاف المحتمل في الآراء بصدد عينة مكونة من أشخاص في عمر الخامسة والعشرين يعيشون في ولاية ليبرالية مثل كاليفورنيا وعينة أخرى تتكون من أشخاص في عمر الخمسين يعيشون في ولاية أكثر محافظة مثل تكساس.

هل هناك أسباب منافسة؟

تم تدعيم المبرر الخامس على أساس دراسة بحثية اكتشفت ارتباطًا بين الإجهاض والاكتئاب، بصورة تعني أن الإجهاض هو سبب الاكتئاب. غير أن الارتباط بينهما لا يبرهن على مثل هذه العلاقة السببية! ويمكن للأسباب المنافسة أن تبرهن على هذه العلاقة. فعلى سبيل المثال، من المحتمل جدًا أن تحمل الفتاة ذات النزوع الاكتئابي وأن تفكر في القيام بالإجهاض. إذ إن مستوى تقدير الذات قد يؤثر في كل من الرغبة في الحمل والنزوع نحو الاكتئاب، وهو أمر من شأنه أن يحدث الارتباط السابق. كما أن الاعتماد على الآخرين قد يؤثر في الميل إلى الحمل أو الميل إلى الاكتئاب.

هل الإحصاءات مضللة؟

تضللنا بعض الإحصاءات عندما تبرهن على شيء بينما تستنتج شيئًا آخر. فكاتب المقال، مثلًا، يصف المخاطر الجسدية والعاطفية المخيفة المرتبطة بالإجهاض بهدف حثنا على دعم قوانين موافقة الوالدين. الإحصاء القائل إن 91٪ من أطباء أمراض النساء والتوليد عالجوا مريضات عانين من مضاعفات الإجهاض القانوني لا يثبت سوى أن معظم أولئك الأطباء عالجوا هؤلاء المريضات. لكنه بالتأكيد لا يبرهن على أن 91٪ من المريضات عانين من تلك المضاعفات! في الواقع، لا تخبرنا الإحصاءات باحتمال ترتب المضاعفات على الإجهاض.

أيضًا من الواضح أن المقصود من الإحصائية القائلة بأن 60٪ من النساء اللائي عانين من مضاعفات ما بعد الإجهاض كانت لديهن ميول انتحارية هو توضيح الخطر الداهم الذي يواجه الفتاة المقبلة على الإجهاض. لكن هذه الإحصاءات تبرهن فقط على أنه من المحتمل لامرأة تعاني من اضطرابات ما بعد الإجهاض أن تكون لديها أفكار انتحارية، ولا تبين أنه من المحتمل أن تكون لدى فتاة قاصر أجرت عملية إجهاض أفكار انتحارية. هناك معلومات مهمة مستبعدة

تتعلق بعدد القاصرات اللائي أجرين إجهاضا ومررن بأعراض توتر ما بعد الإجهاض. ربما كانت النسبة واحد في الألف.

أية معلومات مهمة استبعدت؟

نظرًا لأن الحجة السابقة، شأن كل الحجج تقريبًا، تمثل استدلالًا ناقصًا، فإن كم المعلومات المستبعدة كبير جدًا. من هنا يجب علينا عند استعراض الأسئلة التي لم يتم الإجابة عليها أن نركز اهتمامنا على المعلومات. أولًا، يجب أن نسأل ما إذا كانت هناك حجج مناسبة مؤيدة أو داحضة مستبعدة. فمثلًا، هل كان من الممكن أن يقود إدراج المؤلف لحجج مؤسسة *تنظيم الأسرة* إلى رد فعل مخالف لاستدلاله؟

ثمة معلومات مهمة أخرى مستبعدة تتعلق بأدلة المؤلف لتعضيد افتراضه أن القاصرات عاجزات عن التعامل مع مواقف كالإجهاض بعقلانية كافية. فبينما يمكن البرهنة على أن العقلانية والحكم يكونان مشوشين في مرحلة المراهقة أو أن للمراهقين مستويات عقلانية متعددة من المعرفة تختلف باختلاف مراحل حياتهم، فإن المؤلف لم يذكر أي دليل يدعم أو حتى يقترح هذه الفكرة. المؤلف يأمل منك ببساطة أن تساوي بين العمر الزمني ومستوى النضج العقلي.

وأيضًا، يفشل المؤلف في رؤية التأثيرات السلبية الكامنة في تبني قوانين موافقة الوالدين. يتمثل أحد هذه الآثار السلبية في المخاطر التي يفرضها على صحة الفتاة. فقد تؤجل الفتاة طلب موافقة والديها على الإجهاض حرجًا أو خوفًا من الرفض. وكلما طالت فترة الحمل قبل الإجهاض، زادت مخاطر الإجراءات. من هنا، فمثل هذه القوانين قد تؤخر اتخاذ إجراءات الإجهاض الذي لا مفر من حدوثه في فترة مبكرة من الحمل قدر المستطاع. وتكمن بعض الآثار السلبية الأخرى المحتملة في ازدياد عدد حالات الإجهاض التي تتم في الغرف الخلفية، والولادة دون مساعدة أحد، والتخلي عن الطفل الوليد، إذ إن المراهقات في سعيهن للإجهاض سيبحثن عن طرق يتجنبن بها تنفيذ القانون.

وبالنسبة للمبرر الخامس، قد تكون المعلومات المحددة المتعلقة بتكرار وشدة الآثار الجسدية والعاطفية للإجهاض مفيدة. أيضًا، قد تؤدي المقابلات الشخصية مع القاصرات من ولايات تطبق وأخرى لا تطبق قوانين موافقة الوالدين على الإجهاض إلى اقتراح فروض تتعلق بأثر عدم ضرورة إخطار الآباء بالتطورات التي تعقب الإجهاض على المدى البعيد.

ثمة أثر سلبي آخر محتمل على المدى البعيد. فتطبيق مثل هذه القوانين قد يفتح الباب على مصراعيه أمام طوفان من الانتهاكات لحقوق القصر. والحجة الكلاسيكية هنا هي: إذا قلصنا من الحقوق في مجال معين، فلم لا نقلصها في مجال آخر؟ ولا ينبغي لشيوع هذه الحجة أن يثنينا عن فحص صحتها من الناحية المنطقية. فإذا تم قبول تبرير قوانين موافقة الوالدين وتطبيق مبررات مماثلة على موضوعات أخرى، كحق القاصر في اختيار الطرف الذي يعيش أو تعيش معه بعد الطلاق، فمن المرجح قبول المبررات مرة أخرى. قبل أن تناصر هذه الحجة أو تلك، ينبغي أن تضع في حسبانك الآثار المحتملة على المدى البعيد.

ما النتائج الوجيهة الممكنة؟

دعونا نبدأ بسرد المبررات التي كانت أقل عرضة للنقد من جانبنا ـ مع الإقرار بأن الاستدلال بمجمله يحتوي على أخطاء. بعد ذلك سوف نحدد نتائج بديلة تتسق مع هذه المبررات.

1. القصر عاطفيون ومتهورون بحيث لا يستطيعون اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالإجهاض.
2. سوف تقلل معرفة الآباء بالإجهاض من الآثار الجانبية الجسدية والعاطفية.

تذكر أننا نبحث عن نتيجة وجيهة تغاير نتيجة المؤلف وفقًا لأفضل المبررات المقدمة.

إحدى النتائج البديلة المتوافقة مع المبررات القوية المقدمة تقر أنه على المجتمع أن يجعل القاصرات يناقشن مشكلاتهن بيسر، قبل وبعد الإجهاض، مع شخص آخر غير الوالدين، مثل المرشد المدرسي، أو رجل دين، أو الأطباء في العيادات. تكمن إحدى النتائج الأخرى الممكنة في التشجيع على تقديم المزيد من البرامج التي تيسر التواصل بين الآباء والمراهقين. فمثل هذه الجهود قد تزيد من احتمال قيام القاصرات طواعية باستشارة آبائهم ومن ثم تجعل قراراتهم أقل انفعالًا.

ثمة نتيجة ممكنة أخرى تتمثل في توعية الآباء ليكونوا منتبهين لأعراض الاكتئاب والانفعالات العاطفية الأخرى، ربما من خلال الصحف والتليفزيون. إذا استطعنا البرهنة على أن القاصرات الأكبر سنًا أكثر نضجًا من الأقل سنًا، فمفاد إحدى النتائج البديلة الوجيهة أن تكون موافقة الوالدين على الإجهاض إلزامية في بعض المواقف، كما في حال سعي الفتاة الأقل من أربعة عشر عامًا إلى إجراء الإجهاض.

لقد اقتصر نقاشنا الناقد فقط على بعض جوانب الخلاف حول موافقة الوالدين على إجهاض القاصرات. يمكنك أن تصب اهتمامك على جوانب أخرى من الحجة. وفي النهاية، إذا كنت مهتمًا بهذا الموضوع، فينبغي أن تقرر أي الاستدلالات تؤيد. مهمة التفكير الناقد تقتصر على ذلك. أما الخطوة الأخيرة فتتوقف عليك أنت.

يمكنك أن تشعر نسبيًا بالثقة إذا أخذت بقائمة الأسئلة التي قدمناها لك، لأنك تكون طرحت الأسئلة المناسبة حول الحجة واستعددت جيدًا لتكوين رأيك الخاص المبرر الذي يتعلق باستدلال المؤلف. ولكي تصل إلى قرارك الخاص في هذا الموضوع، فإننا ننصحك بالبحث عن معلومات أخرى متعلقة بالموضوع وأن تختار المبررات والقيم الأكثر اتساقًا مع ما تعرفه وما تهتم به.

كلمة أخيرة

التفكير الناقد أداة وجدت لمساعدتك. قيامه بهذه الوظيفة قد يتم بصورة جيدة أو صورة سيئة. ونود أن نختتم الكتاب بحضك على الاستخدام الأمثل لاتجاهات ومهارات التفكير الناقد التي بذلت قصارى جهدك لتنميتها.

أسلوب تفكيرك الناقد

باعتبارك مفكرًا ناقدًا، أصبحت لديك القدرة لأن تسلك كالمحارب المشاكس، الذي يبحث دائمًا عن سبل يرد بها مكر أولئك الذين يحيدون عن الاستدلال السليم. بيد أن التعلم وفقًا للكثير من الرؤى المهمة ليس سوى نشاط اجتماعي. نحن في حاجة إلى بعضنا بعضا من أجل التطوير، ومن أجل النقاش والحديث. وليس من بيننا من هو موهوب لدرجة تجعله يقف وحيدًا في وجه الصعوبات التي يواجهها.

من هنا، يحتاج المفكرون الناقدون لأن يعوا ما يقولون عندما يستخدمون تفكيرهم الناقد. عندما تستخدم التفكير الناقد، فإنك تبعث برسالة معينة إلى الآخرين تتعلق بما يعنيه التفكير الناقد بالنسبة لك. ويتحقق تأثير هذه الرسالة

حين تجمع بين الدهشة والإثارة اللتين تنتابان الطفـل مع الطبيعة الارتيابيـة التـي تنتاب أبرع العلماء، والتي يخفف من غلوائها تواضع يشبه تواضع القديـسين. إن تفكيرك الناقد يبرز أمام الآخرين كطريق للوصول إلى نتـائج أفـضل. لكنـك لا تسعى إلى الوصول إلى تلك النتائج بغرض التفوق على أصحاب النتائج الأخرى، بل لتمضي بنا قدمًا نحو فهم أفضل لأنفسنا.

والنقد دائمًا عمل يتطلب الكثير من الحذر. ففي كثير مـن الأسر والمـدارس، يتماهى الاختـلاف في الرأي مع السلوك الفظ. وفي مثـل هـذه الظـروف، يكـون الـدور الاجتماعــي المفـضـل هــو قبــول أي استدلال معلــن عـلى مـضض. وبوصفك مفكـرا ناقدا، ينبغي أن تستخدم القوة الكامنـة في أسـئلتك الناقـدة في مثل هذا السياق وأن تعمل بوعي كي تتيقن من أن تفكيرك الناقد يبدو في أفـضل صوره.

وأفضل إستراتيجية هي أن تقدم نفسك، كما فعل المؤلف الذي قدم الحجة في

البداية، على أنك تتحسس الطريق، طامحًا إلى الوصول إلى نتائج أفضل. وليس المهم لمن يكون السبق في الوصول إلى أفضل النتائج؛ وإنما المهم هو البحث عن أفضل النتائج. فإذا ألمحت إلى من يريدون إقناعك بأنك شريك لهم في عملية كشف يرجى من ورائها الفائدة لك ولهم، فربما يعتبرون أسئلتك الناقدة أداة لا غنى لكل منكما عنها.

إستراتيجيات التفكير الناقد الفعال

كيف يمكنك أن تجعل الآخرين يشعرون بأن تفكيرك الناقد إن هو إلا أداة حبية، يمكن أن ترتقي بحياة المتحدث والمستمع، القارئ والمؤلف؟ دائمًا ما تنتابنا الحيرة أمام هذا السؤال، شأن سائر المفكرين النقاد.

والآن دعونا نختتم هذا الكتاب ببعض الطرق التي نحاول أن نستعملها.

1. كن متيقنًا من رغبتك الحقيقية في فهم ما يقال. اطرح أسئلة تنم عن رغبتك في فهم وقبول نتائج جديدة.
2. أعد التفكير فيما سمعت أو قرأت ثم اسأل نفسك عما إذا كان فهمك للحجة يتسق مع ما قيل أو كتب.
3. اعرض أسئلتك الناقدة كما لو كنت ترغب في المعرفة. لا أخطر على استعمال التفكير الناقد من معايرة الآخرين بارتكابهم الأخطاء.
4. اطلب مبررات إضافية قد تمكن الشخص من صياغة حجة أقوى من التي قدمها أصلًا.
5. ابذل قصارى جهدك لاستمرار النقاش. عندما يعرض التفكير الناقد كقنبلة، فإن التفكير في الموضوع يتوقف.

6. اطلب موافقة الآخرين كي تبحث عن أي مواطن ضعف في الاستدلال. الغرض من وراء هذه الإستراتيجية هو تشجيع الشخص الآخر على أن يفحص الحجة معك.

7. اترك انطباعًا بأنك والشخص الآخر صنوان متعاونان، تعملان بغرض الوصول إلى الهدف نفسه ـ نتائج أفضل. نحن تواقون دائمًا إلى الاستماع لكل من قام بتطوير إستراتيجيته الخاصة ليجعل التفكير الناقد أفضل ما يكون.





"لم يكن اختيار هذا الكتاب أمرا هينا بأي حال، لا بسبب ندرة ما كتب في التفكير الناقد بل بسبب وفرته. لقد كان بالمقدور الركون إلى كتب ونصوص أخرى، إذ ليس لنا أن نزعم أن هذا أفضل ما كتب في ذلك التخصص. المفاضلة نسبية، فهي ترتهن بالمعايير التي تمت وفقها، والقول بوجود بدائل أفضل قد لا يعني سوى الحكم بتوفر معايير مغايرة. غير أننا نحسب أنه وفق معايير الشمولية في تغطية أهم المحاور، والبساطة في العرض، ووفرة الأمثلة التطبيقية ما كان لنا أن نختار سوى ما اخترنا، أقله بمقتضى درايتنا بما يتوفر من أعمال في هذا المجال.

على ذلك، ثمة معيار لم نأخذ به، ولعله لزام علينا تبرير إحجامنا عن الأخذ به. الأمثلة التي تعرضها الأعمال المترجمة مستقاة في أغلبها من المجتمع الغربي، الأنجلوسكسوني تحديدا، وهي لا تشكل بحال القضايا الأكثر أهمية في ثقافتنا. الإجهاض والاستنساخ والمواد الإباحية وقتل المرحمة وامتلاك الأسلحة والقصاص عبر تنفيذ عقوبة الإعدام، وما في حكمها من قضايا خلافية في كثير من المجتمعات الغربية، مسائل لا تحظى عندنا بالأولوية، بحسبان أن القضايا الأخلاقية التي يتخذ منها الدين موقفا صريحا - وكثير من القضايا التي تعرض لها على هذه الشاكلة - لا تشكل القضايا الأكثر حظوة باهتمام مجتمعنا."





